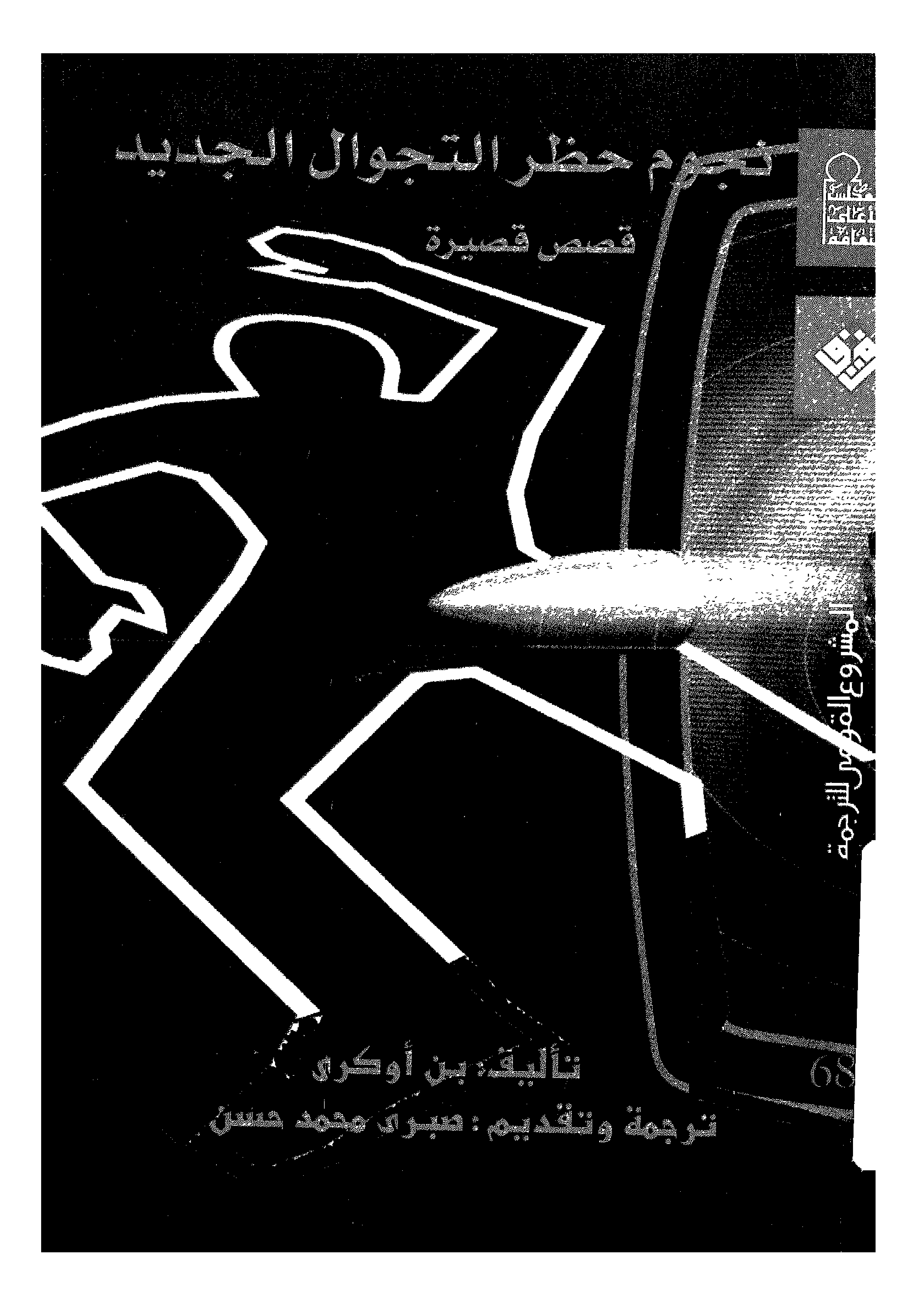

نجوم حظر التجوال الجديد
قصص قصيرة
تأليف: بن أوكري
ترجمة وتقديم: صبري محمد حسن
المشروع القومي للترجمة

المشروع القومى للترجمة

نجوم حظر التجوال الجديد

(قصص قصيرة)

تأليف : بن أوكرى
ترجمة وتقديم : صبرى محمد حسن



٢٠٠٤

المشروع القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العـــدد : ٦٨٢
- انجوم حظر التجوال الجديد
- بن أوكرى
- صبرى محمد حسن
- الطبعة الأولى : ٢٠٠٤

هذه ترجمة كتاب

Stars of the New Curfew

by Ben Okri

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St , Opera House, El Gezıra, Cairo

Tel : 7352396 **Fax :** 7358084.

المحتويات

تقديم

بن أوكرى : الإنسان والأعمال

Ben Okri

بن أوكرى ، روائى نيجيرى ، وكاتب قصة قصيرة وشاعر ، وهو أيضًا أحد الكتاب الأفارقة البارزين ، وهو فى كتاباته يجرب الكثير من الأشكال الأدبية ، والأساليب المختلفة ، فضلاً عن استعماله لكثير من الموروثات . بدأ بن أوكرى حياته كاتبًا من كتّاب الواقعية ولكن موضوعاته تتعلق بما بعد الاستعمار ، وبعد استكشاف بن أوكرى لطريقة تيار الوعى نشر بعض الروايات التى كانت خليطًا من الواقعية ، والحداثة ، والأشكال الأدبية ، وبخاصة تلك الأشكال التى تتعلق بثقافة اليوروبا ، وأصبح أسلوبه ، فى ذلك الاتجاه ، يتميز بما يمكن أن نسميه الواقعية السحرية ذات النكهة الأفريقية ، بالرغم من أن المؤلف نفسه أكد الأبعاد الواقعية لكتاباته من منطلق أن الأساطير والمعتقدات المحلية إنما مجرد جزء من العالم الواقعى ، أو إن شئت فقل : عالم الحياة الحضارية ، وليس من منطلق وجود تلك الأساطير والمعتقدات جنبًا إلى جنب مع العالم الواقعى ،

وأشعار بن أوكرى تؤكد هذه المقولة وبخاصة فى قصيدته المعنونة "مرثية أفريقية " :

نحن المعجزات التى خلقها الله

لتتذوق ثمرة الزمن المرة

نحن تحف

وذات يوم معاناتنا

سوف تتحول إلى عجائب الأرض .

ولد بن أوكرى بصفته واحداً من أفراد شعب اليوروبا ، فى مدينة منّا Minna لوالدين هما جريس Grace وسيلفر Silver أوكرى ، وبعد مولده انتقل والده إلى إنجلترا لدراسة القانون ، وبذلك يكون بن أوكرى قد أمضى سنوات عمره الأولى في مدينة بكهام في جنوب لندن . التحق بن أوكرى بالمدرسة الابتدائية فى لندن ، ولكنه عاد مع والديه إلى نيجيريا فى السابعة من عمره ، واستطاع والده أن يمارس عمله القانوني في ليجوس وسط أولئك الذين لم يستطيعوا الحصول على أتعاب قانونية مجزية – وقد جعل بن أوكرى من مسألة الأتعاب هذه مادة لقصصه ورواياته فيما بعد – وقد خيّمت الحرب الأهلية النيجيرية (حرب بيافرا) على طفولة بن أوكرى . قرأ بن أوكرى كثيراً جدا فى طفولته ، كما روت له أمه حكايات أفريقية كثيرة ، ثم التحق بكلية اليوروبا فى مدينة وارى Warri التى كانت تبعد مسافة ٤٠٠ ميل عن أسرته فى

ليجوس ، وقد أكسبه ذلك السفر المضنى خبرة حيث يقول عنه : " إنه زرعنى بين الناس " ، وأمضى فى تلك الكلية سنوات قليلة نظراً لأنه كان يجرى إخراجه من المدارس بصفة مستمرة ، الأمر الذى جعله يواصل تعليمه المنزلى على نطاق واسع فى مدينة ليجوس ، ولكن ، كيف اكتشف بن أوكرى فى نفسه موهبة الكتابة ؟

الإجابه عن هذا السؤال نجدها عند بن أوكرى نفسه ، عندما كان جالسًا ذات يوم فى غرفة بأحد فنادق نيويورك ، بعيداً عن المدينة النيجيرية التى ولد فيها منذ ٣٣ عامًا مضت ، وراح يتذكر كيف بدأت عنده موهبة الكتابة وهو فى سن الرابعة عشرة :

"أمطرت السماء فى ذلك اليوم ، وهذا هو اليوم الذى غيّر حياتى . كل أفراد الأسرة كانوا خارج المنزل إلا أنا وحدى . كنت جالسًا فى غرفة المعيشة وتناولت قصاصة من الورق رسمت عليها ذلك الذى كان فوق ذلك الرف الذى كان معلقًا فوق الحائط ويعلو المدفأة . استغرق منى ذلك الرسم حوالى ساعة واحدة ، ثم تناولت قصاصة أخرى من الورق وكتبت قصيدة ، واستغرقت كتابة القصيدة منى حوالى عشر دقائق ، ونظرت إلى الرسم ثم نظرت إلى القصيدة ، كان الرسم مخيفًا .. وكانت القصيدة مقبولة ومحتملة ، واتضح لى أن ذلك يمثل لى منطقتى الطبيعية" .

يقول بن أوكرى : «أنت تعلم أنى رُوِيَتْ لى قصص ، بل كلنا رُوِيَتْ لنا قصص عندما كنا صغاراً فى نيجيريا ، وتعين علينا أن نروى نحن

قصصًا تشد الآخرين وتشوقهم ، وليس مسموحًا لنا أن نروى قصصًا يعرفها الآخرون ، إذ يتعين علينا أن نحلم مبدعين قصصًا جديدة» .

" ولم يخطر ببالنا أن تلك القصص إنما تحتوى - فى واقع الأمر - على وجهة نظر فريدة عن العالم ، الأمر هنا يشبه إلى حد كبير ذلك النهر الذى ينساب خلال الفناء الخلفى من منزلك ، النهر موجود دومًا فى ذلك الفناء ، ولم يخطر قط ببالنا أن نلتقط له صورة أو نحاول استكناه أساطيره ، إنه موجود وحسب ، هو يجرى فى عروقنا ، كما يجرى فى أرواحنا أيضًا ".

كل هذه القصص بدأت تطالعنى بوجوه وأصوات جديدة بعد غوصى فى أعماق الحداثة ، وبعد أن بدأت أحس أن طموحى أصبح أفضل من حرفتى ، وبعد فترة من الوحدة والحنين إلى الوطن بعيدًا عن نيجيريا . عندما بدأت تطالعنى تلك القصص بوجوه جديدة وأصوات جديدة وجدت أن البشر يطبعون بصماتهم على القصص التى يروونها لأنفسهم فى الأحلام ، أو إن شئت فقل القصص التى يختزنونها منذ طفولتهم ، كما انطبعت على طفولة بن أوكرى أيضًا ذكرياته عن الحرب الأهلية فى نيجيريا ، وذكرياته عن موسيقى شبابه الراقية .

وبعد أن أنهى بن أوكرى دراسته الثانوية عمل كاتبًا فى محل من محلات الدهانات ، وفشل فى الالتحاق بالجامعة ، وبدأ يكتب مقالات عن المشكلات الاجتماعية والسياسية ، ولم ينشر القسم الأكبر من تلك المقالات ، ولكنه عندما كتب قصصًا قصيرة عن تلك المقالات لقيت تلك القصص رواجًا كبيرًا فى الصحف النسائية ، وكذلك فى الصحف

المسائية ، وفى سن التاسعة أتم بن أوكرى روايته الأولى التى اختار لها عنوانًا هو : زهور Flower وظلال Shadows ونشرها فى العام ١٩٨٠ الميلادى ، والرواية تدور عن رجل أعمال ناجح عكر عليه أقاربه صفو حياته ، وقد كتب بن أوكرى تلك الرواية طبقًا لأصول الكتابة ، أو إن شئت فقل المذهب الواقعى ، بالمعنى الحقيقى لذلك المصطلح ، وفى العام ١٩٨٧ انتقل بن أوكرى إلى إنجلترا ، حيث درس الأدب المقارن فى جامعة إيسكس Essex. كانت تلك الفترة من حياته صعبة جدا ، حيث عاش « حياة خشنة وصعبة ، كان معتمداً فيها على مواهبه ، إذ كان بلا مأوى ، وعاش فى الشوارع ، وفى بيوت الأصدقاء ، وكان سعيداً كما كان يائسًا أيضًا " . كان يكتب فى تلك الأيام ، وينام من حين لآخر على أرضيات المكاتب ، واضطر إلى ترك الجامعة دون الحصول على الدرجة العلمية بسبب قلة موارده المالية ، كما عمل أيضًا محرراً للشعر فى مجلة غرب West أفريقيا Africa، ورفت من عمله لتشدده فى إجازة واختيار ما ينشر ، وعمل أيضًا مذيعًا مع هيئة الإذاعة البريطانية ، وفى العام ١٩٨٤ الميلادى رشّح بن أوكرى واحدة من قصصه لتفوز فى مسابقة قصص الأقلام الجديدة .

رواية بن أوكرى الثانية التى أعطاها عنوان مناظر طبيعية داخلية ، والتى نشرت فى العام ١٩٨١ الميلادى ، ليست سوى تتبع لمغامرات شاب صغير يعمل دهانًا فى مدينة ليجوس ، والتى قال عنها فى إحدى مقابلاته إن " سكان الغيتات هم الموسيقيون العظام " . الرواية فيها جرس غير عادى ، حياة خيالية ، وأنت عندما تكون ذلك الفقير المسكين ،

ستجد أن كل " ما تبقى لك هو إيمانك بالخيال " . وبطل الرواية الذى يدعى أوموفو Omovo يقبل كل ما يحيط به ، عن طيب خاطر ، باستثناء أن يكون دهانًا .

كتب بن أوكرى بعد روايته الثانية مجموعتين من القصص القصيرة أولاهما بعنوان « أحداث الضريح » ، نشرت فى العام ١٩٨٦ الميلادى ، والثانية بعنوان « نجوم حظر التجوال الجديد » ونشرتها دار فايكنج الأمريكية فى العام ١٩٨٩ الميلادى . وفى هذه المجموعة بدأ بن أوكرى تجريب تقنيات روائية جديدة . ويجب ألا يغيب عن بالنا هنا أن السواد الأعظم من قصص هذه المجموعة يتناول موضوع الحرب الأهلية التى دارت فى بيافرا فى نيجيريا ، ولكنه يتناول تلك الحرب من منظور طفل من الأطفال ، وهذا هو ما أشار إليه بن أوكرى فى واحدة من قصائده بعنوان " توهجات الريح " :

هناك نار باردة فى الهواء

أنا أسمعها

تأتى على

أربيات (*)

الأبطال

(*) واحدة أربية ، بضم الهمزة وتسكين الراء وكسر الباء وفتح الياء ، وهو ما بين الفخذين فى الإنسان . (المترجم)

وتجعّد أمعاء

الشهداء .

اسم النار

مطبوع على شهود القبور :

أسماء معتصرة من درنات الحياة

ومن الجُبْن الجماعى .

وقد ذاع صيت هذه المجموعة ، إذ قال عنها الناقد البريطانى جراهام سويفت :" هذه مجموعة من القصص الكهربية التى يربط فيها بن أوكرى الطاقة الفوضوية بالثقة الكاملة بالنفس " . وقالت عنها جريدة الأويزيرفر البريطانية : "هناك كثير من الروائيين الذين يكتبون مثل بن أوكرى ، وكثيرون أيضًا ممن يشتركون معه فى موهبة إبداع نسيج الحياة اليومية ، وكثيرون أيضًا ممن يستطيعون أن ينحتوا خلال السطح كيما يكشفوا ، مثلما يفعل بن أوكرى ، أساطير الأسلاف وأساطير من هم أكبر سنا ومقامًا، الذين كانوا يستعملونها كى يبقونا فى أماكننا ويمنعوا حركتنا – ولكن هناك قلة قليلة من الروائيين هم الذين يستطيعون فعل تلك الأشياء الثلاثة فى وقت واحد . ومسألة تحقيق بن أوكرى لهذه الأشياء الثلاثة فى هذه المجموعة من القصص القصيرة ، دون أن يفقد توازنه ، تجعل إنجازه هذا وحيداً ومنفرداً ."

المجلة Review الأدبية Literary أثنت أيضًا على تلك المجموعة القصصية عندما قالت : " فى هذه المجموعة نجد أن أسلوب بن أوكرى

الخفيف والاقتصادى يعمل عمله ومن ورائه خلفية عامرة بالرعب والفزع .. ومن هنا نراه يبدع قصصًا يصطبغ بالطابع السريالى الخاص بالحكايات الخرافية ."

مجلة نيو New ستتسمان Statesman والمجتمع Society قرَّظت تلك المجموعة عندما قالت : " قصص بن أوكرى الست كلها عبارة عن ذكريات "حقيقية " من الحياة فى نيجيريا .. يقدمها بن أوكرى بمهارة فائقة .. وهذه المجموعة القصصية دليل لا يقبل الشك أو الجدل على عاطفة بن أوكرى وموهبته " .

جريدة تايم Time أوت Out قالت : " إنها مجموعة نافذة من القصص القصيرة المقنعة والمروعة بنفس القدر "، يضاف إلى ذلك أن الملحق الأدبى لجريدة التايمز البريطانية قال : " يبدو من هذه المجموعة أن بن أوكرى أصبح له أسلوبه الخاص وإبداعه الخاص .. بساطة أسلوبه ووضوحه يضفى على خرافاته الحديثة طابع الأسطورة " .

رواية بن أوكرى التى اختار لها عنوان " الطريق الجائع " ، والتى نشرت فى العام ١٩٩١ الميلادى، ليست سوى رحلة بن أوكرى الأدبية الفذة والبطولية ، وقد حصلت تلك الرواية على جائزة بوكر Booker. والنقاد يصفون تلك الرواية بأنها الرواية السحرية الواقعية فى غرب أفريقيا، وقصة تلك الرواية مبنية على عشية استقلال نيجيريا ، والراوى فى تلك الرواية اسمه أزارو Azaro، وهذه الكلمه من لغة اليوروبا

ومعناها " الطفل الروح " ، وبن أوكري يصف الراوي بأنه Abiku مستخدمًا هذه الكلمة أيضًا من لغة اليوروبا وهي تعني " الرضيع الجائع ". وحياة ذلك الرضيع في طفولته ، حياة غامضة وقدّر له أن يموت في طفولته ثم يبعث من جديد مرة بعد أخرى للأم نفسها . وبن أوكري في هذه الرواية ، يصف صراع آزارو ونضاله وهو يقاوم قَدَرَهُ ونضاله أيضًا من أجل أن يبقى على قيد الحياة في ظل جوع أسرته ومرضها وعنفها . هذه القصة تدور في عالم الأحلام ، عالم أولئك الذين ينتظرون البعث من الموت . وفي الرواية نجد أن رفاق آزارو الروحيين يحاولون سحبه بصفة مستمرة إلى عالمهم ، ونلحظ في الرواية أن والد آزارو يخوض سلسة من المعارك الأسطورية في الوقت الذي ترعى فيه أمه تماسك الأسرة مستفيدة في ذلك من شجاعتها وعملها الشاق ، كما نقرأ عن تحلل وفساد مدام كوتو الدجالة التي يزور آزارو حانتها ، وفي النهاية يضطر آزارو أن يختار بين آلام الموت وأرض الأرواح ، ويبدو أن بن أوكري استعار عنوان هذه الرواية من قصيدة كتبها ولي Wole سوينكا Soyinka بعنوان : " يحتمل ألا تمشي مطلقًا عندما ينتظر الطريق ، جوعان ".

روايته المعنونة " أغاني الاحتواء " التي نشرت في العام ١٩٩٣ الميلادي لها بنية روائية أبسط من بنية " الطريق الجائع "، غير أنها تعد تطويراً لوجهة نظر المؤلف الأسطورية والشعرية عن هذا العالم .

في مجال الشعر ، صدر لـ بن أوكري كتابًا بعنوان مرثية أفريقية ، نشر في العام ١٩٩٢ الميلادي ويتناول موضوعات كلاسيكية عن الحب

وعن الوحدة وعن الموت أيضًا ، وتجاوبًا من بن أوكرى مع التقارير التى نشرت عن مجاعة السودان ، نشر فى العام ١٩٩٣ الميلادى بجريدة الجارديان ، قصة قصيرة بعنوان " صلاة من أجل الحياة " مستهدفًا بها جمع التبرعات لأعمال الخير والإغاثة ،" كلما زاد جوعى ، ازدادت رؤيتى لهم – أصدقائى القدامى الذين سبقونى إلى الوفاة والموت ، وهم يتشبثون بالذباب . إنهم يتغذون حاليًا على ضوء الهواء ، وينظرون إلينا – نحن الأحياء – وأعينهم مليئة بالشفقة والعطف " .

يقول بن أوكرى فى رواية " *الحب الخطير* " :

" لدى الإغريق القدامى مقولة بأن القُبَّرة دفنت والدها فى رأسها . ادفن تلك الفتاة فى قلبك . ادفنها فى فنك . إذًا عشْ يا ولدى ، عشْ بنارٍ لا تنطفئ . دَعْ كل ما تعانيه حاليًا ؛ فذلك يعطيك كل الأسباب التى تمكنك من تسود حياتك وتسود فنك . عش حياة عميقة ، حياة كاملة . تجرأ . كن مثل السلحفاة – نمِّ فيك درقة صلبة كيما تحمى قلبك القوى . كن مثل النور – حلِّق فوق آلامك واحمل بيرق العجب من حياواتنا إلى أبعد أركان الدنيا . سيغذون روحك . وإياك أن تنسى أن الناس يعانون أيضًا ويناضلون ، وإنك سوف تحس بالأمان مع الفن " .

وبن أوكرى هو أبرز أفراد جيله من الكتاب النيجيريين ، وبخاصة أن ذلك الجيل هجر وتخلى عن الموضوعات الاجتماعية والتاريخية التى طرقها شنوا أتشيبى Chinua ،Achebe وراح يجمع بين الأشكال الروائية الحديثة والموروث الأدبى وكذلك الموروث الشفهى للنيجيريين . ومع أن كتابة بن أوكرى أفريقية تمامًا من حيث مادتها وأسلوبها ،

إلا أنها تستعصى على البطاقات والمصطلحات، فقد قرأ الرجل وهو فى سن مبكرة الأساطير الإغريقية القديمة ، وقرأ شكسبير ، وإبسن ، وسوفوكليس Sophocles ، وقرأ برناردشو ، وتولستوى ، وتورجنيف ، ودوستويفسكى ، ومارك توين ، وقرأ أيضًا إسحق نيوتن .

حصل بن أوكرى على عدة جوائز منها : جائزة كتّاب الكومنولث المخصصة لأفريقيا فى العام ١٩٨٧ الميلادى ، وجائزة أغاخان للرواية التى تمنحها مجلة Review باريس Paris ، كما حصل أيضًا على جائزة شبانتى روفينو الأدبية الدولية ، وكذلك على جائزة جرانزانى Grinzani، كافور Cavour.

صبرى محمد حسن

نحن نحمل عوالمنا التى تزدهر

عوالمنا التى أصابها الفشل

كرستوفر أوكيجو

فـى ظـلال الحـرب

وصل ثلاثة من الجنود فى تلك الليلة إلى القرية ، وأدى وصولهم إلى بعثرة الماعز والدجاج ، قصدوا خمارة أوراق النخيل، وطلبوا قرعة من نبيذ النخيل ، وراحوا يشربون وسط جحافل الذباب .

كان أوموفو Omovo يراقب أولئك الجنود من النافذة بينما كان ينتظر خروج والده ، كان أوموفو هو ووالده يستمعان إلى المذياع ، فقد ابتاع والده ذلك المذياع من طراز جروندج من واحدة من العائلات التى اضطرت للهرب من المدينة عندما نشبت الحرب . كان الوالد قد غطى المذياع بقطعة من القماش الأبيض مبالغة منه إلى حد يكاد يجعل من ذلك المذياع معبوداً . كانوا يستمعون إلى أخبار القصف بالقنابل والغارات الجوية التى كانت تشن على المنطقة الداخلية من البلاد . مشط والد أوموفو شعره وفرقه بعناية ووضع لطمًا على وجهه شيئًا من المحاليل العطرية التى تستعمل بعد الحلاقة ، وحاول ارتداء ذلك المعطف الرث الذى زاد حجمه عليه منذ زمن طويل .

حملق أوموفو وهو يطل من النافذة ، ومستاء من والده ، فى تلك الساعة ، وطوال الأيام السبعة الماضية ، كانت هناك امرأة غريبة ترتدى برقعًا أسود فوق رأسها ، تمر على المنزل ومن أمامه ، قصدت تلك المرأة أعالى طرق القرية وممرّاتها ، كما عبرت الطريق السريع ، ثم اختفت فى الغابة ، وهنا راح أوموفو ينتظر ظهورها مرة ثانية .

انتهت نشرة الأخبار ، وأعلن المذيع عن احتمال حدوث خسوف للقمر فى تلك الليلة ، جفف والد أوموفو العرق من فوق جبهته باستخدام راحة يده وقال فى شىء من المرارة :

' كما لو أن خسوف القمر هو الذى سينهى هذه الحرب ' .

سأله أوموفو : ' ما هو الخسوف ؟ '

' الخسوف هو ذلك الذى يحدث عندما تظلم الدنيا وتحدث أشياء غريبة . '

' أشياء غريبة مثل ماذا ؟ '

أشعل والده سيجارة .

' يبدأ الموتى فى التحرك ويغنون ، وعليه لا تتأخر كثيراً خارج المنزل ، أفهمت ما أقول . '

أومأ أوموفو برأسة علامة الموافقة .

' الخسوفات تكره الأطفال . إنها تأكلهم . '

لم يصدق أوموفو والده . ابتسم والده ، ثم أعطى ولده مصروفًا مقداره عشرة كوبوات Kobo، ثم قال :

' أطفئ المذياع . ليس من المستحب أن يستمع طفل إلى أخبار الحرب .'

أطفأ أوموفو المذياع، وسكب والده شيئًا من النبيذ إكرامًا لآلهته الوثنية، ثم راح يصلى لأسلافه بعد ذلك ، وبعد أن انتهى من الصلاة

تناول حافظة أوراقه ثم راح يتبختر برشاقة ، وراقبه أوموفو وهو يشق طريقه متجهًا إلى أعلى الطريق متوجهًا إلى موقف الحافلات الذى يقع على الطريق الرئيسى ، وبعد أن وصلت الحافلة ، واستقلها والده ، فتح أوموفو المذياع من جديد ، وجلس على أفريز النافذة انتظارًا لمجيء المرأة. كانت عندما شاهدها آخر مرة وهى تمر مسرعة من أمام المنزل ، تحدث حفيفًا بثوبها الواسع أصفر اللون ، وهنا توقف الأطفال عن ذلك الذى كانوا يفعلونه وراحوا يطيلون النظر إلى تلك المرأة ، كان أولئك الأطفال قد سبق لهم أن قالوا : إن تلك المرأة ليس لها ظل أو خيال ، وقالوا أيضًا إن قدميها لم تلمسا الأرض قط، وعندما مرت عليهم تلك المرأة راحوا يرمونها بالأشياء ويقذفونها بها ، ولكن المرأة لم تجفل أو تتراجع ، بل إنها لم تسرع خطاها ، ولم تنظر حتى إلى الخلف .

كانت الحرارة على أشُدِّها، بدأت الضوضاء تخفت وتفقد حدتها ، وراح القرويّون يتعثرون فى مختلف أعمالهم كما لو كانوا يمشون أثناء نومهم . شرب الجنود الثلاثة نبيذ النخيل وراحوا يلعبون لعبة الدّامة (*) تحت وهج الشمس الشديد . لاحظ أوموفو أن الجنود الثلاثه كانوا ينادون الأطفال كلما مروا على الخمّارة ، وكانوا يتحدثون معهم ، ويعطونهم بعضًا من النقود ، وهنا نزل أوموفو بسرعة مستخدمًا الدرج (السلم) وراح يمر ببطءٍ أمام الخمارة ، حملق الجنود فيه ، ثم ناداه واحد منهم عندما كان فى طريق عودته .

(*) لعبة الدّامة : لعبة السِّيجة ، وهى لعبة تشبه الشطرنج (المترجم) .

سأله : ' ما اسمك ؟ '

تردد أوموفو ، وابتسم ابتسامة المتضرر ، ثم قال : اسمى هكلبس 'Heclipse

ضحك الجندى ، ثم تفل فى وجه أوموفو . كان وجه الجندى مليئًا بالأوردة ، وبدا على رفاقه استياؤهم من فعلته تلك ، وراحوا يهشون الذباب وعادوا إلى مواصلة لعبة الدّامة التى كانوا يلعبونها . كانت بنادق الجنود ملقاة على الطاولة (المنضدة) ، لاحظ أوموفو أن البنادق كان مكتوبٌ عليها بعضَ الأرقام . قال الرجل :

' هل سمّاك والدك بهذاالاسم لأن شفتيك كبيرتان ؟ '

نظر رفيقا الجندى إلى أوموفو ثم ضحكا .

أومأ أوموفو برأسه علامة الموافقة .

قال الرجل : ' أنت صبى طيب .' ثم صمت قليلاً ، وسأل أوموفو ، بنغمة صوتية مختلفة :

' هل رأيت تلك المرأة التى تغطى وجهها بقماش أسود ؟ '

' لا '.

أعطى الرجل أوموفو عشرة كوبوات ثم قال :

' إنها جاسوسة ، وهى تساعد أعداءنا . إذا رأيتها ، تعال وبلّغنا بذلك على الفور ، هل سمعت ما أقول ؟ '

رفض أوموفو أن يأخذ النقود وعاد ثم صعد إلى الطابق العلوى ، ثم عاد إلى الجلوس من جديد فوق إفريز النافذة . كان الجنود ينظرون إليه بين الحين والآخر ، وسرعان ما غلبه الحر وجعله يروح فى النوم وهو فى الوضع جالساً . صاحت الديكة المهتاجة ، وأيقظته ، وبدأ يستشعر فترة العصر وهى تتحول تدريجيا إلى فترة المساء . نام الجنود فى الخمارة ، ثم حان موعد أخبار الساعة ، وراح أوموفو يستمع ، دون فهم أو وعى ، إلى خسائر الحرب فى ذلك اليوم . استسلم المذيع للغيبوبة ، ثم تثاءب ، ثم اعتذر وبدأ يقدم المزيد من تفاصيل القتال .

نظر أوموفو إلى الأعلى وشاهد المرأة وقد تجاوزت الخمارة بالفعل ، كان الرجال قد غادروا الخمارة ، شاهدهم أوموفو وهم يشقون طريقهم الملتوى بين الطنف البارزة من أسقف المنازل المصنوعة من القش ، وهم يترنحون خلال لفحات الحر ، كانت المرأة تسبقهم فى اتجاه أعالى الطريق ، نزل أوموفو بسرعة وراح يتتبع الرجال ، كان أحدهم قد خلع القسم العلوى من الزّى الذى كان يرتديه ، كان لذلك الجندى الذى يقف فى الخلف ردفان كادا يفتقان سرواله ، وعندما دخل الجنود الغابة توقفوا عن تتبع المرأة ، وساروا فى طريق غير الطريق التى كانت تسير فيه ، يبدو أنهم كانوا يعرفون ما يفعلون ، وسارع أوموفو إلى أن تكون المرأة فى مرمى بصره ومراقبته .

تتبع أوموفو المرأة خلال الأعشاب والنباتات الكثيفة . كانت المرأة ترتدى إزاراً باهت اللون وشالاً رمادى اللون ، فى حين كان القناع الأسود يغطى وجهها ، كانت تحمل سلة حمراء فوق رأسها ، نسى

أوموفو تمامًا أن يحدد إن كان لتلك المرأة ظلاً أو لا ، كما نسى أيضًا تحديد ما إذا كانت قدماها تلمسان الأرض أو لا تلمسانها .

مر أوموفو على ضياع لم تكتمل ، بلوحات إعلاناتها المتباهية المتقشرة ، وأسوارها المتهدمة ، ومر أيضًا على مصنع من مصانع الأسمنت المهدمة ، كانت الكتل قد تهاوت على شكل كومات ، فى حين هجر العمال أماكن إقامتهم ، كما مر أيضًا على شجرة من الأشجار التى يقال لها شجرة خبز القرود ، وجد تحتها جثة كاملة لحيوان كبير ، ونزل ثعبان من أحد الأغصان وزحف خلال الأدغال التى تغطى سطح الأرض ، وسمع أوموفو ، عن بعد ، صوت موسيقى عالية ينبعث من حافة الصخرة ، كما سمع أيضًا أناسًا يرددون شعارات الحرب ويتغنون بها بأصوات تفوق الضوضاء كلها .

تتبع أوموفو المرأة إلى أن وصلا إلى مخيم غير منظم فوق السهل الموجود فى الخلف ، وشاهد أشكالاً ظلِّية وهى تتحرك فى إضاءة الكهف غير الكاملة ، ذهبت المرأة إلى تلك الأشكال الظلية ، أحاطت تلك الأشكال بالمرأة ولمستها وسمحن لها بدخول الكهف . سمع الصبى أصوات تلك الأشكال المرهقة وهى تشكر المرأة ، وعندما ظهرت المرأة بعد ذلك لم تكن تحمل السلة الحمراء ، وهنا اقتاد بعض الأطفال ذوى المعى المنتفخة هم ونساء يرتدين الأثمال ، اقتادوا تلك المرأة إلى منتصف المسافة فى اتجاه أعالى الطريق ، ثم لمسوها ، بعد شىء من التردد ، كما لو كانوا لن يروها بعد ذلك ، ثم عادوا إلى حيث جاءوا .

تتبع أوموفو المرأة إلى أن وصلا إلى نهر عامر بالطين والطمى ، وهنا تحركت المرأة كما لو كانت قوة خفية تحاول الطيران بها ، شاهد أوموفو قوارب مقلوبة ، كما شاهد أيضًا آثار ملابس غارقة فوق المياه الداكنة ، كما شاهد أيضًا بعض القرابين والأضاحى التى كانت تطفو فوق سطح الماء : أرغفة من الخبز داخل لفافات من البوليثين ، وقرعات مملوءة بالطعام ، وعلب الكوكاكولا ، وعندما نظر أوموفو إلى القوارب للمرة الثانية وجد أنها تحولت إلى أشكال شبيهة بجثث الحيوانات الميتة المتورمة ، شاهد أيضًا عملات قديمة على ضفة النهر ، كما لاحظ أيضاً رائحة مخيفة فى الهواء ، ثم سمع بعد ذلك صوت تنفس ثقيل صادراً من الخلف ، ثم سمع بعد ذلك صوت شخص يكح ويتفل ، وتعرف الصوت على أنه لواحد من الجنود الثلاثة كان يستحث زميليه كى يسرعا الخطى، وهنا اندلف أوموفو مختفيًا فى ظل شجرة من الأشجار ، ومر عليه الجنود ، وبعد ذلك بفترة قصيرة سمع صرخة ، فقد وصل الرجال إلى المرأة وأمسكوا بها ، والتفوا من حولها .

صاح أحد الرجال : ' أين الآخرون ؟ '

لزمت المرأة الصمت .

' أنت أيتها الساحرة . تريدين الموت ، أليس كذلك ؟ أين الآخرون ؟'

ظلت المرأة صامتة ، وحنت رأسها ، وسعل أحد الجنود ثم بصق فى اتجاه النهر .

صفعها على وجهها وهو يقول : ' تكلمى ! ! انطقى ! .'

نزع الجندى المتين الخـــمـــار عن المرأة وألقى به على الأرض ، وانحنت المرأة لتأخذ القناع ثم وقفت وهى جاثية على ركبتيها ، وكان رأسها لا يزال منحنياً . كان رأسها أصلع ، ومشوهاً بشروخ عميقة . كان على خدها جرح غائر . دفعها الجندى عارى الصدر ، وسقطت على وجهها وظلت بلا حراك ، تغيرت الأضواء للمرة الأولى فوق الغابة ، وشاهد أوموفو لأول مرة أيضًا الحيوانات الميتة على صفحة الماء فى النهر ، وقد كانت فى الحقيقة جثث رجال كبار، كانت تلك الجثث معلقة أو متشابكة مع أعشاب النهر، وكانت أعينهم منتفخة ، وقبل أن يصدر عنه أى رد فعل ، سمع صرخة أخرى ، بدأت المرأة تصحو من جديد ، وخمارها فى يدها ، وتحولت صوب الجندى المتين ومسحت على وجهه ورفعت بندقيته إلى مستوى معدتها ، وقبل أن يسمع أوموفو صوت الطلقة بلحظة واحدة ، أخافه صوت ناتج عن هفهفة الأجنحة كان ينبعث من المكان الذى كان يختبئ فيه ، وراح يجرى ويصرخ خلال الغابة ، وتبعه الجنود ، وجرى أوموفو خلال ضباب بدا وكأنه كان يتصاعد من الصخور ، وبينما كان يجرى شاهد بومة تحملق فيه وتطيل النظر إليه من عش من ورق الشجر ، وداس على جذور شجرة من الأشجار ثم أغمى عليه عندما اصطدم رأسه بالصخر .

كان الظلام شديداً عندما أفاق أوموفو ، وحرك أصابعه أمام وجهه فلم يرَ شيئًا ، وصرخ عندما حسب الظلام عمى ، وراح يدور حول نفسه، ثم اصطدم بالباب ، وعندما أفاق من تلك الصدمة سمع أصواتًا فى الخارج ، كما سمع المذياع أيضًا يقرقع عن الحرب ، وشق طريقه إلى

الشرفة ، وهو مندهش لعودة بصره إليه، ولكنه عندما وصل إلى الشرفة اندهش عندما وجد والده جالسًا فى الكرسى الغائر ، ويشرب نبيذ النخيل مع الجنود الثلاثة . اندفع أوموفو إلى والده وأشار وهو شارد الذهن إلى الرجال الثلاثة .

قال والده : ' يتعين عليك أن تشكرهم ؛ فهم الذين أحضروك إلى هنا من الغابة . '

وراح أوموفو، الذى غلبه الهذيان وأعياه ، يحكى لوالده ذلك الذى رآه ، ولكن والده ، وهو يبتسم معتذرا للجنود ، حمل ولده ونقله إلى سريره .

عـوالـم تـزدهـر

كنت فى عملى ذات يوم عندما جاءنى رجل يسألنى عن اسمى ، ولسبب أو آخر لم أتمكن من إخباره باسمي على الفور ، فضلاً عن عدم انتظاره كيما يستطيع التوصل إليه ، ولذلك أدار ظهره إليّ ومضى إلى حال سبيله ، وفي موعد الغداء قصدت المقصف كيما أقتاتْ بشيء ما ، وعندما عدت إلى مكتبى جاءنى شخص يقول لى : إن نصف عمال الإدارة جرى فصلهم من العمل ، وكنت أنا واحداً من أولئك المفصولين .

كنت أعمل فى تلك الإدارة منذ زمن بعيد ، ولذلك تركت العمل بلا غضاضة ، وحزمت أشيائى فى ذلك اليوم وصفيت ديونى المالية ، وركبت سيارتى (المخلَّعة) الصغيرة وعدت إلى منزلى ، وعندما عدت إلى منطقة سكنى أوقفت سيارتى على بعد ثلاثة شوارع من الشارع الذى أقيم فيه ، نظراً لوعورة الطرق ، وبينما كنت فى الطريق إلى مسكنى أهاج فيّ منظر مجمعات شقق الفقراء السكنية هى والأكواخ المصنوعة من الزنك إحساس النوم والنعاس ، وقابلتنى دوامات الغبار الذى كان ينبعث من الطرق غير المعبّدة . كل شيء كان يلمع ويتلالأ مثل السراب بأنواعه المختلفة فى الأجواء شديدة الحرارة .

وفى ساعة متأخرة من مساء ذلك اليوم قصدت لشراء بعض الطعام المطبوخ ، وأثناء عودتى إلى المنزل التقانى أحد الجيران وقال لى :

' كيف حالك ؟ '

قلت : ' أنا بخير '.

' هل أنت متأكد أنك بخير ؟ '

' نعم . ولكن لماذا تسألني ؟ '

قال الجار : ' حسن ، أنا أسأل لأنك تتجول كما لو كنت بلا عينين '

' ماذا تقصد ؟ '

' لقد توقفت عن استعمال عينيك منذ أن ماتت زوجتك ، ألم تلاحظ أن معظم أهل المجمع قد ولُّوا ؟ '

' ولُّوا إلى أين ؟ '

' فروا طلباً للنجاة .'

' ما سبب ذلك ؟ '

' لا تسألني عن السبب .'

' ولماذا لم تولِّ أنت أيضاً ؟ '

' أنا سعيد ببقائي هنا .'

قلت : ' وأنا أيضاً سعيد بوجودي هنا . ' ثم ابتسمت وذهبت إلى غرفتي .

وبعد ساعتين فقط من ذلك الحوار الذي دار بيني وبين جاري دق باب غرفتي ، فتحت الباب واندفع ثلاثة رجال إلى داخل الغرفة ، كان

اثنان منهم يحمل كل واحد منهما سكينًا ، في حين كان يحمل ثالثهم بندقية ، لم يكن هؤلاء الثلاثة أشقياء أو متوحشين ، وكل ما فعلوه أنهم طلبوا مني الجلوس في هدوء على السرير وطلبوا مني أيضًا مشاهدة ما يفعلونه إذا ما أردت ذلك . راقبتهم وهم ينظفون غرفتي ويجردونها من كل مقتنياتي المهمة، كما أخذوا أيضًا النقود التي وصلت إليها أيديهم ، ودردشوا معي عن سوء الطرق وسوء الحكومة ، كما تكلموا أيضًا عن كثرة نقاط التفتيش التي تنتشر في المنطقة ، وبينما كانوا يتحادثون معي كوّموا أشيائي وحملوها إلى سيارة النقل التي كانت معهم ، كما لو كانوا يساعدونني على الانتقال من مكان إلى آخر ، وبعد أن انتهوا من تحميل أشيائي في سيارة النقل قال الرجل الذي يحمل البندقية :

' هذا هو ما نسميه السرقة العلمية ، وإذا ما سعلت عقب انصرافنا فسوف أفتح النار على عينيك ، هل سمعت ما قلته لك ؟ '

أومأت برأسي موافقًا ، وتركني وهو يبتسم ، وبعد لحظة سمعت صوت اللوري الذي كانوا يستقلونه يجري على الطريق غير المعبّد ، واندفعت إلى خارج الغرفة لأجد أنهم قد اختفوا ، وعدت إلى غرفتي لتحديد ما يجب عمله بعد ذلك . لم يكن بوسعي إبلاغ الشرطة على الفور نظرًا لأن أقرب قسم من أقسام الشرطة كان يبعد أميالاً كثيرة عن المكان الذي أعيش فيه ، وحتى لو استطعت إبلاغ الشرطة فلم يكن في وسعها فعل أي شيء ، وجلست على سريري محاولاً إقناع نفسي بأني كنت حظيظًا تمامًا أن بقيت لي السيارة ومبلغٌ من المال في البنك ، ولكني لم أهنأ بالإحساس بذلك الحظ ؛ والسبب في ذلك أن شخصًا

ما طرق بابى بعد رحيل اللصوص بفترة قصيرة ونهضت واقفًا لأفتح باب الغرفة لأفاجأ بخمسة من الجنود يحمل كل واحد منهم مدفع ماكينة وقد دخلوا مندفعين إلى داخل الغرفة . الواضح أن اللصوص لم يستطيعوا أن يفلتوا ، فقد جرى توقيفهم فى نقطة من نقاط التفتيش وإنقاذاً لأنفسهم أبلغوا الشرطة أننى شريك لهم ، وبلا مقدمات ، وبقدر كبير من الغلظة ، جرّنى رجال الشرطة جراًّ إلى سيارتهم الجيب ، وقد أصابتنى مخاوف إعدامى باعتبارى لصًّا مسلحاً بكثير من الهلع . أبلغت الجنود أننى أنا الذى سُرِقت ، وهنا انهال الجنود على ضربًا ظنًّا منهم أننى كنت أستخف بذكائهم عن طريق كذبة مسبوكة من هذا القبيل ، وبعد أن اقتادونى بعيداً عن سكنى والبنادق مصوبة إلى ظهرى ، خرج جارى من غرفته وعندما شاهد الجنود معى قال :

' قلت لك إنك ليس لك عينان .'

ثم اتجه جارى إلى واحد من أولئك الجنود ، وأدهشنى عندما قال :

' ياعزيزى الجندى ، أرجو أن تعامله بما يستحق . كنت أظن دومًا أن هناك خطأ ما فى ذهنه ' .

اقتادنا الجنود جميعًا إلى أقرب مركز من مراكز الشرطة ووضعنا جميعًا فى زنزانةٍ واحدة ، وهنا راح اللصوص الحقيقيون يضحكون ويبتسمون له ، على أثر تلك اللعبة المسلية ، وأثناء الليل جاء الجنود إلينا وضربونا بالسياط عندما رفضنا الاعتراف بأى شىء . وفى الصباح

أخذنا بعض رجال الشرطة إلى خارج الزنزانة وجردونا من ملابسنا وطلبوا إلينا مواجهة الشارع ، وهنا كان المارة فى الشارع ينظرون إلينا ويولون مسرعين ، كنت أصيح متحدثًا عن براءتى وطلب رجال الشرطة منى التزام الصمت ، ووقفنا عراة فى الشارع طوال القسم الأكبر من نهار ذلك اليوم ، وسخر الأطفال منا ، وأهانتنا النساء ، وجاء المصورون وبرقت آلات تصويرهم فى عيوننا ، وعندما حل الليل جاءنى أحد رجال الشرطة وعرض على فرصة تقديم رشوة كيما أخرج من ذلك المأزق ، واشتد غيظى وكاد التراب يقفل عينى ، وقلت للشرطى إننى يتعين على الذهاب إلى البنك أولاً ، ودفع اللصوص المطلوب منهم وأخلى سبيلهم . ووضعونى فى زنزانة مليئة بأناس ظلوا يصرخون طول الليل ، وفى الصباح اصطحبنى أحد الجنود إلى البنك ، وسحبت مبلغًا من المال ودفعت الرشوة المطلوبة ، وعدت إلى منزلى حيث نمت بقية النهار .

أخذت دُشًا فى الصباح ، وأثناء تجوالى فى المجمع اندهشت لغياب الضوضاء الجماعية ، فلم تكن هناك موسيقى تنبعث من الغرف، ولم يكن هناك أطفال يصيحون ، ولم يكن هناك أزواج وزوجات يتعاركون من خلف الستائر الحمراء ، لم يكن هناك فى المجمع سوى الدجاج والفئران فى الفناء الخلفى . خرج جارى من الحمام وابتسم لى عندما رآنى .

قال وهو يتأسف : ' إذن ، فقد خلُّو سبيلك '.

صحت قائلاً : ' أنت رجل شرير '.

قال الجار ببرود متجاهلاً كلامى : ' الناس لم يعودوا يخرجون بعد. الجو هنا هادئ تمامًا ، وأنا أحب هذا الجو '.

' لماذا كنت أحمق وشريراً معى إلى هذا الحد ؟ '

' أنا لا أثق بالناس الذين ليس لهم أعين .'

' كان يمكن إن يحكم على بالإعدام . '

' وهل أنت أفضل من أولئك الذين أعْدِموا .'

أطلت النظر إليه مستنكرًا ما يقول ، وتركنى حيث غسل يديه من المضخة وعاد وهو يجففهما فى بنطاله ، ودفعنى داخلاً إلى غرفته ، وبعد ذلك بلحظة رأيته يخرج من غرفته .

ما زلت أحس برغبة فى النعاس بالرغم من الحمام الذى أخذته . دخلت غرفتى وارتديت ملابسى ، ثم اتجهت إلى مقدمة المجمع السكنى . وجلست على مقعد من المقاعد ورحت أنظر إلى الشارع . هذه الكنائس التى تحيط بى لم تعد تؤدى صلواتها وأغنياتها باستعمال مكبرات الصوت . كان الأذين ، أو إن شئت فقل : المؤذن ، صامتًا ، كان الشارع مهجورًا . لم تكن هناك علامات أو مؤشرات على الرعب والفزع . كانت طاولات بيع الكتب ما تزال عامرة بالكتب ، وكانت المحلات ما تزال مفتوحة أيضًا ، ولكن لم يكن هناك أحد ، كما كان هناك طيور عدة فى الجو ، تحلق وتتحلق هنا وهناك ، وها هو مذياع نسيه صاحبه مفتوحًا فى مكان ما ، وتلك عنزة تتجول فى الشارع وهى تحوم حول جذور شجرة من الأشجار ، وهذه الديكة لم تَصِحْ ، وبعد برهة من الزمن كان كل ما بداخلى عبارة عن طنين مرتبك ، إنه العجز عن فهم ما يدور . كان هناك شئ يزحف علينا جميعًا ، ونظرًا لأن الشارع كان خاليًا فلم

أستطع تبيُّن أو فهم كنه ذلك الشيء . جلست خارج الغرفة أقاوم البعوض ، إلى أن أرخى الليل سدوله ، وخطر ببالي أن الزمن قد اعتراه شيء ما ، فقد حسبت أننى أجلس فى مكان فارغ بلا تاريخ . لم تكن الريح باردة . وفجأة انطفأت الأنوار كلها ، هُيِّئ لى أن روح الدنيا كلها قد ماتت . استمرت تلك الإغماءة فتره طويلة .

ظللت أتجول أيامًا كثيرة فى ظلام المدينة . كنت أقود سيارتى فى النهار بحثًا عن عمل . كان العمال فى جميع الأماكن التى ترددت عليها مفصولين بأعداد كبيرة من أعمالهم . لم تكن هناك إضرابات أو مظاهرات . استمعت فى بعض الأحيان من الإذاعة إلى ما تذيعه رئاسة الدولة . تكلم رئيس الدولة عن التقشف ، وعن أحكام ربط الحزام الوطنى وشده ، كما تحدث أيضًا عن المستقبل الباهر . كان صوته يبدو وحيداً ، كما لو كان يتحدث فى غرفة شاسعة وخالية ، وعزفت الموسيقى بعد أن انتهى رئيس الدولة من حديثه ، وبدت الموسيقى كما لو كانت تعزف فى غرفة كبيرة خالية .

كنت أخرج فى المساء بحثًا عن الأصدقاء . رحلوا ولم يعطوا أى تفسير أو مبرر لرحيلهم ، بل إنهم حتى لم يتركوا عناوينهم ، وعندما ترددت على مجمعاتهم السكنية اندهشت لسرعة تغير الأحوال . بدا لى أن معدل التحلل فى المجمعات السكنية كان سريعًا . هذه هى الأبواب قد تركها الناس مفتوحة . تلك هى بيوت العناكب تتدلى من فوق مقدمات المجمعات السكنية ، وخارج منزل أحد الأصدقاء رأيت صبيا يحملق فىَّ بعينين خائفتين ، وعندما هممت بسؤاله عن مكان صديقى ، نهض

واقفًا وراح يجرى . عدت إلى سيارتى ورحت أتجول فى المدينة بحثًا عن أناس أعرفهم ، وبدأت بعد ذلك ألاحظ بعض الأشياء . كان هناك أناس مبعثرين فى أنحاء المدينة ، ولم يكن الخوف ظاهرًا على وجوه هؤلاء الناس . بدا لى العالم وكأنه يجرى تفريغه من محتوياته ، وعندما أطلت النظر إلى الناس خطرت ببالى فكرة غريبة : بدوا لى وكأنهم أناس يمشون أثناء نومهم ، وأوقفت سيارتى ودلفت فيما بينهم كى أنظر إليهم من قرب ، وأتحدث إليهم ، وتبين حقيقة ما يجرى (فقد توقفت الإذاعات والصحف عن تقديم المعلومات منذ زمن طويل) خرجت إلى الشارع واقتربت من امرأة كانت تقلى اليام على جانب الطريق . نظرت المرأة إلىّ بعينين متقدتين متشككتين .

سألتها : ' ما هذا الذى يحدث للبلاد ؟ '

' لا شئ . '

' أين ذهب الناس ؟ '

' لم يذهب أحد إلى أى مكان . ولماذا تسألنى ؟ اذهب بعيدًا عنى واسأل شخصًا آخر . '

وعندما هممت بالانصراف ازدادت النار لهيبًا ، الأمر الذى أضاء وجه المرأة ، ورأيت على وجهها كتابة منحدرة إلى الأسفل ، ورأيت على جبهتها كلمات وعلى خديها كلمات ، ثم لاحظت بعد ذلك أن يديها كانتا مغطاتين بالكتابة أيضًا . اقتربت من المرأة كيما أقرأ تلك الكلمات ، ولكنها بدأت تصرخ ، سمعت بعد ذلك وقع أقدام الجنود الناتج عن

الحديد الموجود فى أحذيتهم ، وهم يجرون فى الشارع متجهين نحونا ، وسارعت بالذهاب إلى سيارتى وركبتها وابتعدت عن المكان .

وبينما كنت أقترب من بيتى لاحظت كتابات على وجوه عدد كبير من الناس . ولم أفهم السبب الذى حال بينى وبين ملاحظة ذلك من قبل ، وهنا غلبتنى فكرة وجود كتابة على وجه جارى ، وهنا عدت إلى البيت فورًا .

كان الظلام قد أرخى سدوله عندما وصلت منزلى ، ولم أخاطر بوضع السيارة على بعد مسافة ثلاثة شوارع من محل سكنى ، ولذلك آثرت توقيفها أمام المجمع السكنى الذى أعيش فيه ، وأنا أحسب أن حقيقة الحذر هذه هى التى جعلت فكرة الهرب تخطر على بالى لأول مرة . تزايد عدد الطيور فوق الشارع الذى نسكن فيه . كان المذياع ما يزال مفتوحًا فى مكان بعيد ، ولكن بطارياته أخذت تضعف شيئًا فشيئًا . كانت الريح تصفر خلال المجمعات السكنية ، كما راحت الكلاب الضالة تتجول فى الشارع . جلست فى الخارج ورحت أنتظر مجيء جارى ، وعندما لم يعد بعد فترة طويلة ، قصدت بيته وطرقت بابه ، ولم يرد على أحد ، وعدت إلى غرفتى وتناولت شيئًا من الطعام ، ثم خرجت وجلست أمام المنزل مرة ثانية . استمعت إلى صوت المذياع وهو يتضاءل شيئًا فشيئًا ، كما استمعت أيضًا إلى أصوات عسكرية حادة . واستمعت أيضًا إلى الريح وهى توتر أغصان الأشجار . راحت القطط الضالة تطيل النظر إلىّ فى الظلام . دخلت غرفتى ونمت تلك الليلة وأنا أحس أن شيئًا يتثاقل على وعيى ، وعندما استيقظت فى الصباح لاحظت وجه

رئيس الدولة وحده يستحوذ على ذهنى . أخذت دُشًا ، وتناولت شيئًا من الطعام وخرجت لأطرق باب غرفة جارى . كان ما يزال لم يأتِ بعد .

تأهبت للخروج ولكن الرعد كان يدوى فى السماء ، وبحلول وقت العصر بدأت السماء تمطر . امتلأ الشارع بالماء ، وفاضت قنوات تصريف المياه ، واندفع الماء متدفقًا من أبواب الغرف المفتوحة إلى داخل الغرف نفسها ، كما سال المطر على الطاولات هى والأشياء المعروضة عليها ، ثم سال بعد ذلك على الملابس التى تركها أصحابها منشورة ومعلقة . ازداد هبوب الريح وهزت سقف منزلنا ، وتوترت أغصان إحدى الأشجار ثم انشرخت وتحطمت ، ومن بعد شاهدت الدخان يتجمع فوق المنازل ، وانهمر المطر بلا توقف طوال يومين ، ومع ذلك ، لم يكن جارى قد عاد بعد . وصل الماء إلى صدَّام سيارتى . أخيرًا ، أطفأ ماء المطر المذياع الذى كان صوته ينبعث من بُعد . أذاع رئيس الدولة بعض الأشياء اليائسة عن تنظيف الإسطبلات الوطنية ، وبقيت فى غرفتى محبوسًا بسبب المطر ، واستمعت إلى الماء الذى لم يتوقف صوت تساقطه ، وبدأ المطر يتسرب من خلال سقف الحجرة ، وسمعت قطة تموء ويعلو مواؤها فوق الضوضاء كلها . فى بعض الأحيان كانت تتزايد سرعة سقوط المطر ، وأفلح المطر فى تغشية كل من الزمن والذاكرة ، وسرعان ما بدا المطر وكأنه ينهمر بلا انقطاع منذ زمن طويل ، وفى مساء اليوم التالى خطر لى أمر ما . اتجهت إلى النافذة ، وأذناى يتذبذب فيهما تساقط قطرات مياه المطر ، ونظرت من النافذة . حدث ذلك عندما اكتشفت أنه قد ضاعت منى مؤقتًا أسماء الأشياء .

بقيت داخل غرفتى إلى أن توقف هطول المطر ، كما أمضيت يومًا

آخر داخل الغرفة كيما تتمكن المياه من الغوص فى التربة الحبلى ، وذهبت إلى غرفة جارى وطرقت بابه مرات عدة ، ثم دخلت غرفته بعد ذلك . لم يتحرك أى شىء من مكانه ، ولكن ظهر أن جارى كان قد اختفى تمامًا ، وفى اليوم الرابع خاطرت بالنزول إلى الشارع وشاهدت زيادة الكوارث ، فهذه أشجار تساقطت ، وتلك منازل تهدمت بفعل قوة الريح وقوة المطر أيضًا ، وهذه قطاط نافقة تطفو فوق مياه قنوات تصريف مياه المطر ، وخلا الجو من الطيور ، وعدت ثانية إلى غرفتى . كان رأسى يعج بالإشارات ، وأخرجت صندوقى وحشوته بأوراقى وملابسى ، وحزمت كل ما لدى من طعام ووضعته فى شنطة السيارة ، وتركت بابى مفتوحًا ، وعرجت على غرفة جارى مرة أخيرة ، وركبت سيارتى وشرعت فى رحلة لم أكن أعرف مقصدها عبر ذلك الجزء غير المزروع من البلاد .

لم يكن الخروج من المدينة أمرًا سهلاً ؛ إذ كان هناك العديد من سدادات الطرق، كما كان الجنود منتشرين فى كل أنحاء المكان . أوقفنى الجنود وفتشوا سيارتى ، وفى كل نقطة من نقاط سدادات الطرق كان الجنود يعلقون على الطعام الموجود فى شنطة السيارة . سألونى عن مقصدى ، وقلت لهم إننى ذاهب لزيارة والدتى المريضة المقيمة فى القرية، ثم كانوا يسألوننى بعد ذلك عما إذا كنت أحسب أن الناس جوعانين أم لا ، وعندما أجبتهم بالنفى ، كان الجنود يأخذون شيئًا من الطعام ويشيرون إلىّ بمواصلة المسير ، وعندما وصلت الموقع الأخير من مواقع سدادات الطريق لم يعد يتبقى لى من الطعام سوى قدر ضئيل

جدا ، ولم يكن ذلك هو سبب قلقى وحيرتى . إن سبب قلقى وحيرتى ، أثناء مسيرى بالسيارة خلال الغابات ، كان يتمثل فى أن السيارة كانت سبب متاعبى بصورة دائمة . كانت السيارة تتوقف وكان يتعين على الانتظار حتى تبرد الماكينة ، وعندما كانت السيارة تبدأ فى الدوران والحركة كان ذلك على غير ما يرام ، وظهر أن السيارة هى التى كانت تقودنى ، فقد كانت هى التى تحدد السرعة ، وهى التى تهدئ السرعة أيضًا بمحض إراداتها التى لا تنازع .

فى مدينة التراب الأحمر

(١)

كان إموخاى جالسًا على الجدار أمام المنزل عندما بدأت المناورات الجوية . كان الرجل مفلسًا ، وسبق له أن أعد خطة للذهاب مع صديقه إلى المستشفى أملاً فى كسب شىء من النقود . كان قد بات على الطوى ومعدة خالية ولم يتناول أى شىء من الطعام فى صباح ذلك اليوم .

راح إموخاى Emokhai، بعد أن جفف عينيه كيما يتمكن من فتحهما وغلقهما ، يراقب الطائرات العسكرية التى كانت تحلق فوق رأسه . كانت الطائرات تتدرب على الانقضاض استعدادًا للعرض العسكرى الذى سيجرى فى فترة ما بعد الظهيرة . كانت الطائرات تطير فى تشكيلات تتقاطع مساراتها مع بعضها البعض ثم تدور على شكل دائرة. كانت الطائرات تتوقف فى السماء ، وتهوى إلى الأسفل كما لو كانت ستصطدم بالأكواخ الموجودة أسفلها ، ثم تحلق من جديد متجهة صوب عنان السماء تحت سيطرة دقيقة من الطيار . انشده سكان المدينة من تلك الاستعراضات ، وكانت الأطفال تصيح إثارة وفرحًا ، أما النساء فقد وضعن أيديهن على صدورهن ، وهن يعبرن عن اندهاشهن الشديد ، ولكن إموخاى لم يتأثر أو يهتز لذلك .

كان اليوم يوافق الذكرى الخمسين لمولد الحاكم العسكرى . كانت المدينة تعج بتواجد كثير من العسكريين . سرت شائعة مفادها أن الاحتفالات الحالية ستكون أبهى الاحتفالات ولن ينساها الناس على امتداد سنوات قادمة .

قفز إموخاى نازلاً من فوق الجدار . كان الجو حارا جافا ويحمل الهواء كثيراً من الغبار ، واتجه الرجل صوب ماما جوى Joy التى كانت تبيع أرزاً مطبوخاً أمام منزله . نظرت إليه ماما جوى ثم قالت :

' حاكمنا هذا يعرف كيف يحتفل . '

رد عليها إموخاى : ' لا عليك منه ' .

راحا يراقبان الطائرات ، واستبد به الحر الجاف ، وفجأة فاحت رائحة لها رائحة البيض المتعفن من الجانب الآخر للطريق . انقضّت الطائرات ، وألقت ظلاً عملاقًا كبيراً وسريعًا فوق الأكواخ الصغيرة .

سألها الرجل سؤالاً عابراً : ' هل لك أن تقرضينى خمسة نيرات أخرى ؟ '

غطت ماما جوى عينيها واقشعرت من الرعد الناتج عن الطائرات :

' وماذا عن المبلغ الذى أنت مدين به لى فى واقع الأمر ؟ '

' سأدفعه لك عندما يجىء مرجومى . '

' هذا هو ما تقوله لى دومًا . '

' هل تعطينني شيئًا من الأرز ؟ '

' وضعت له كمية صغيرة على طبق من البلاستيك أخضر اللون . أكل إموخاى الأرز بنَهَمٍ ، دون أن يتأثر بالرائحة العفنة الصادرة من الشارع ، ثم غسل الطبق بعد أن انتهى من تناول الأرز ، وجفف يديه ثم قال :

' أنا أحسن حالاً حاليًا . '

شكر إموخاى ماما جوى وانطلق يبحث عن صديقه . قفز فوق قناة من قنوات الصرف ، وراح يسير فى الطريق الذى كانت الفضلات تحيط به من الجانبين ، هنا باغته الظل المعدنى لإحدى الطائرات المنقضة . ارتجف الرجل ، وعندما نظر إلى الأعلى كانت الطائرة المتذبذبة قد انطلقت مرتفعة إلى عنان السماء . تسلل إموخاى إلى المنطقة الخلفية من نادى ' جود سماريتان للقمار ' ، الذى كان مدينًا لمديره بمبلغ من المال ، ثم عبر بعد ذلك طريق الحافلات ، وعلى الجانب الآخر من ذلك الطريق كان هناك رجل يدفع عربية عليها حمل ثقيل من اليام . دخل إموخاى إلى الشوارع النظيفة التى كانت تحمل أسماء الأغنياء ، والحكام ، والمقاتلين من أجل الحرية ثم اتجه بعد ذلك إلى المناطق الغابية عند حافة المدينة . كانت تلك المنطقة محاطة بأسوار من الأسلاك الشائكة ، وخلال الفراغات فيما بين أشواك تلك الأسلاك استطاع أن يتبين كثيراً من البهارج والزينات . تشمم إموخاى الهواء للمرة المئة ، كيما يتأكد إن كان للحاكم العسكرى مساحات من الأرض المزروعة بنباتات الماريجوانا فى المنطقة المجاورة .

شق الرجل طريقه إلى محل القمار الوحيد فى المدينة والذى لم يكن مدينًا لأى أحد فيه . كان الجميع فى ذلك المحل يتحدثون عن استعراض عيد ميلاد الحاكم . دخل إموخاى إلى الغرفة الخلفية التى كان الدخان يتصاعد منها ، ويمارس الجالسون فيها لعبة البوكر . لم يكن مرجومى فى تلك الغرفة . قال مدير مكتب القمار :

' كان هنا فى وقت سابق . كان معه ثلاثة آسات ولكنه خسر نقوده أمام الفلوش ، ومبلغ علمى أنه فى حالة سيئة . '

غادر إموخاى غرفة القمار قاصداً خمارتهما المفضلة التى تقع بعد ذلك بشارعين، وعندما دفع الستائر الحمراء والصفراء جانبًا هاجمته ضوضاء الحانة . كان المكان مزدحمًا بالناس ، كما كانت كل الطاولات مشغولة ، لم يكن هناك مكان حتى للوقوف ، كما كان الهواء حافلاً بكثير من الذباب ، وتناهى إليه ضجيج الأصوات . كان مدير الحانة فى نقاش حاد مع ثلاث مومسات وبائع من البائعين الذين يجرون العربات . كانت موسيقى الحياة المرفهة تنساب من مكبرات الصوت ، وكان الزبائن يتحدثون فى كل ركن من أركان الحانة عن عمر الحاكم الحقيقى ، كما لو كانوا يتنافسون أيضًا حول ما إذا كان زعيمًا جيداً ، أو أنه مجرد لص آخر لم يجرِ اكتشافه بعد .

شق إموخاى طريقه بصعوبة بين الأجسام التى تتصبب عرقًا . كان الجو حارا داخل الحانة وبدت مروحة السقف وكأنها تزيد المكان حرارة على حرارته . عثر إموخاى على مرجومى Marjomi جالسًا فى ركن

بعيد ، على مقعد مستدير مرتفع ، وكأسه فارغة أمامه ، ويهتز رأسه بحركة عصبية . بدا عليه أنه كان مخموراً تماماً ، ومرجومى شخصية نحيفة جداً تظهر أوردة عنقه بشكل واضح . من عادة هذا الرجل عندما يجلس أن يطلق بين الحين والآخر سيلاً من اللعنات والسباب والاتهامات والمهاترات التى لا يوجهها إلى شخص بعينه، وإنما هى موجهة إلى كل واحد من البشر ، وقد أصبح مرجومى بلا عمل بعد هروب زوجته مع تبَّاع إحدى الشاحنات مفتول العضلات ، ويبدو أن الحظ تخلى عنه أيضاً مع رحيل زوجته وهروبها منه ، وكان من عادته أن يكسب عيشه عن طريق ألعاب القمار المختلفة وعن طريق المقامرة على مباريات كرة القدم ، يضاف إلى ذلك ، أنه كان سخيا جدا فى مسأله البقشيش ، إذ استطاع الآخرون الذين كانوا أكثر منه وعياً ، وأكثر منه حرصاً وتقتيراً أن يفتحوا لأنفسهم محلات من وراء الإكراميات السابقة التى أعطاهم إياها ، ولكنه لم يعد مطلقاً ذلك الرجل . وهو يلهى نفسه حالياً بنبوءات نوستراداموس **Nostradamus** من ناحية ، وصوفية لوبسانج **Lobsang** رامبا **Rampa** من ناحية ثانية ، وقد أدى ارتباكه هذا إلى اعتماده على الحظ إلى حد بعيد جدا ، وترتب على ذلك دخوله فى مشاحنات مع الجنود ، كما أودى ذلك به أيضاً إلى سب الغرباء ولعنهم فى الحانات وبخاصة فى المناقشات التى تدور حول السياسة ، كما أسفر ذلك عن دخوله فى مناقشات فلسفية مسهبة مع نساء لم يسبق له أن التقاهن من قبل . كان من عادته أن يكون مرحاً فى حالة ارتفاع روحه المعنوية ، أما الآن فهو مكتئب بسبب انخفاض روحه المعنوية .

قال إموخاى وهو يقف خلف مرجومى :

' سمعت يا صديقى أنك خسرت كل نقودك . '

استدار مرجومى ، وأطال النظر إليه ، وتناول كأسه الفارغة وشرب منها ، ثم قال :

' كان معى ثلاثة آسات Aces وخسرت أمام الفلوش (*) '

' حظ سيئ '.

' أتمنى لك حظًا سيئًا لك أنت ' .

ابتسم إموخاى وحمل جسمه الثقيل على ' البار ' Bar ، وصمت الاثنان فترة من الوقت .

قال إموخاى فى النهاية : ' ماذا حدث لك ؟ '

' لا شىء '

' ولكن كان من المفترض حضورك إلى المكان الذى أعيش فيه . '

' اطلب لى مشروبًا من فضلك . '

' أنا مفلس ، والمفترض أننا كنا سنذهب إلى المستشفى . '

' هذا الحر يصعب معه الحديث فى المال والأعمال . '

(*) خمس أوراق من نوع واحد فى البوكر . (المترجم)

' هل سنذهب إلى المستشفى أو لا ؟ '

' سنذهب بعد أن أتناول المشروب . '

أطال إموخاى النظر إلى مرجومى .

أخيراً قال : ' أنت مجنون ' .

انفجر مرجومى فى نوبة من الضحك الحاد .

' اليوم هو يوم ميلاد حاكمنا ، ولماذا أنت جاد بهذا الشكل ؟ '

كتم إموخاى إحباطه الذى نتج عن شدة الحرارة وشدة الجوع ، ثم قال :

' أنا لا شأن لى بك ، ولكنى سوف أذهب إلى هناك . '

' إلى أين ؟ '

' إلى المستشفى . '

غادر إموخاى الحانة ، على أثر الضيق الذى أصابه من جراء الذباب من ناحية ورائحة نبيذ النخيل غير الطازج . كانت درجة الحرارة خارج الحانة تتفوق على نفسها ، وكان إموخاى يتنفس بصعوبة ، وعبر الطريق وراح ينتظر . أخرج علبة سجائره من جيبه وأشعل سيجارة ، ومن عادة إموخاى كراهيته للتدخين على معدة خالية ، وسرح فكره فى مرجومى بينما كانت نسوة السوق ومنادى السيارات يحيطون به . فكر الرجل فى نوبات غضب صديقه ، وارتفاع ضغط دمه الذى أنقذه من

الموت جوعًا . كما فكر أيضًا في المال . خرج مرجومى من الحانة وهو يهز رأسه ، ثم يمم المسير في الاتجاه الذى سار فيه إموخاى . قصد إموخاى طاولة من طاولات البيع ووقف يستظل بها ، وكانت هناك قناة راكدة من قنوات تصريف المياه ، وأطال النظر إلى علب الكوكاكولا الفارغة وإلى صفحات الصحف التى كانت تطفو مع الطحالب ، وعبر مرجومى الشارع على مهل .

سأل إموخاى : ' هل تخاف الموت وتخشاه ؟ '

فى البداية ، سار مرجومى خلف إموخاى ولم يقل شيئًا ، وبينما كانا يسيران كانت توربينات الطائرات تزمجر من فوقهم ، ولمح إموخاى خوذة رأس واحد من الطيارين داخل كابينة القيادة خضراء اللون .

' ولماذا أخشى الموت وأخافه ؟ '

ومر عليهما موكب سيارات تحمل عددًا كبيرًا من الناس الذين يصرخون ويتصايحون ، وجاءت السيارات الفخمة بعد ذلك الموكب ، ومن خلف تلك السيارات الفاخرة جاءت الدبابات المدرعة .

مرًا على مبنى المحكمة العليا ، وتماثيلها البرونزية التى تذكر بالإمبراطورية القديمة ، وذهبا إلى المكان والأماكن التى تحللت فيها التماثيل ورموز السلطة بفعل الشمس وبتأثير الرمال والريح ، ومرًا على مكان كان يستعمل سوقًا لبيع العبيد قبل مائة عام من الآن ، وأثناء مسيرهما أحس إموخاى أن أنفه ورئتيه كادا يتوقفان بفعل الغبار والروائح الكريهة التى تنبعث فى الهواء . أشعل سيجارة أخرى ، ومرًا

على البنك الذى راجت من حوله شائعة مفادها أن الحاكم كان المساهم الرئيسى فيه ، وأثناء مرورهما فى طريق أكينوا Ekenwa شاهدا سلسلة الأسواق المركزية التى قالت الصحف إنها مملوكة للحاكم ، ولكنها باسم شخص لا وجود له .

جرجر إموخاى خطاه ومضى قدمًا وهو يطيل النظر إلى المبانى . ومن خلفه كان يسير مرجومى وهو يتمتم عن اكتشاف بعض الملاحق والمرفقات . كانت الضوضاء المنبعثة من محلات التسجيل ، ومن غرف الشباب العاطلين ، وكذلك الفزع والرعب الذى كان ينتج عن استعمال آلات التنبيه فى السيارات ، فضلاً عن الحرارة الشديدة التى تتسبب فى الجفاف ، كل ذلك كان يلاحقهما وهما فى طريقهما إلى المستشفى . وقف إموخاى يستظل بأغصان شجرة جرداء من أشجار البرتقال ، كانت تبعد ياردات قليلة عن بوابة المستشفى ، إلى أن لحق به مرجومى . كان مرجومى يسير فى طريقٍ ملتوٍ ، كما كان شارد الذهن مما جعله يتعثر فى الشارع ويسير بخطوات سريعة هُيِّئ له أنها لا تسعفه فى قطع مسافة كبيرة ، يضاف إلى ذلك أن التعبير الذى ظهر فى عينيه أسبغ عليه شكل المجرم الموسمى الذى يمارس نشاطه بين الحين والآخر . وصل مرجومى إلى إموخاى ، ووضع إحدى يديه على كتفه ، ثم نظر إلى مستشفى الملكة ماريا التذكارى ، بلوحاته التذكارية ، وتماثيله التى تآكلت بفعل الغبار والتراب ، وسيارات الإسعاف التى علاها الصدأ وتكسرت وجرى وضعها فى فناء المستشفى ، ويافطة المستشفى ، ثم قال:

' لابد ، يا صديقى ، أن هناك شيئًا من الخطأ بالنسبه لنا . '

' ماذا تقصد ؟ '

' من المؤكد أن هناك وسيلة أفضل . '

' ما هذا الذى تقوله أيها الرجل ؟ إن معك دمًا ثمينًا ، أيها الرجل ، هيا بنا . '

وبذلك دخلا المستشفى فى مساء ذلك اليوم . عاملتهما الممرضات معاملة سيئة ، حيث وضعاهما فى غرفة الانتظار . واستدعت الممرضات إموخاى أولاً ، ودخل إلى واحدة من وحدات الدم المزدحمة بالناس . وجلس مرجومى يهز رأسه ، ويلوح بيديه ، قلقًا على الكرسى غير المريح الذى كان يجلس عليه ، وبعد أن هاد إموخاى من بيع لتر من الدم بدا عليه الاضطراب والشحوب ، وراح يترنح وهو يخرج من باب غرفة الانتظار ، ثم جلس بعد ذلك على كرسى من الكراسى ، وأغمض عينيه وراح يتنفس بصعوبة .

مضت فترة طويلة قبل أن تستدعى الممرضات مرجومى ، وقبل أن يستدعينه كان قد أثار شيئًا من المتاعب ، فقد قصد واحدة من الممرضات ودار بينهما النقاش التالى :

صاح فيها قائلاً : ' أنا بحاجة إلى هذه النقود ' .

ردت عليه الممرضة ، ثم تركته واقفًا لحاله : ' لقد بعت من دمك كمية كافية هذا الأسبوع . هل تظن أننا نشربه ، هل تظن ذلك ؟ '

عاد مرجومى إلى غرفة الانتظار ، وراح يقطعها جيئة وذهابًا ، وهو متهيج هياجًا شديداً . كان حاله سيئًا فى مساء ذلك اليوم ، فقد اعتاد أن يكون واحداً من عمال المدينة الذين لا يكلُّون ولا يملون ، وهو عندما لا يكون فى مكاتب القمار ، يزاحم محاولاً تسويق الرهان على خيول السباق ، تراه فى الجراج يساعد الناس على ركوب هذه السيارة الأجرة أو تلك . كان من عادته الحصول على مراهنات الخيول من منظومة خاصة من المنظومات العددية أو الرقمية ، وقد انهارت تلك المنظومه بعد أن تركته زوجته ، وبعدها لم يعد يُسَوِّق الرهان على سباق الخيول مطلقًا ، واشتهر مرجومى بالدجل ، وراح المراهنون يطلقون عليه النكات لأنه كان يسوق خيولاً للسباق لم يسبق له أن راهن عليها ، وساء حاله فى الجراج أيضًا : فقد ازداد حاله سوءًا ، وراح يتخطى قواعد منادى السيارات العرفية ، وبدأ المنادون الآخرون ينظرون إليه على أنه ليس واحداً منهم بحكم عدم انتظامه معهم ؛ والسبب فى ذلك أن منادى السيارات الجيد يحتاج إلى نوع من الولع والشغف الخاص ، وأداء عمله بشكل سريع وبهمة وطاقة . خسر مرجومى همته وطاقته ، وبالتالى شطبه المنادون من قائمتهم وتحول إلى شخص كسول ، مستسلم للنوبات والفورات ، شخص ينظر إلى نفسه نظرة غريبة .

كان ذلك هو حاله الذى بدا عليه تلك الأمسية ، حيثما كان يتحرك جيئة وذهابًا ، إذ كانت هناك طاقة غريبة ومجنونة تستحوذ على تحركاته.

قال إموخاى متسائلاً : ' لماذا لا تجلس يا مرجومى ؟ فأنت تبدو مثل كتكوت فقد رأسه . '

رد عليه مرجومى وهو يجلس : ' عليك بتدبير أمورك ولا تتدخل فى شئون الغير . '

جاءت ممرضة بعد ذلك واستدعته لدخول وحدة الدم ، وتبعها وهو يسير متعثراً . تركته الممرضات يجلس على الوسادة دون مبالاة وبلا اهتمام ، وأعملت الممرضات حقنة فى وريد من أوردته وحصلن على مقدار من الدم ، ثم لفت الممرضة بإحكام شريطاً مطاطيا حول عضده ، ثم نفخت ذلك الشريط ، وطلبن منه أن يطبق يده . كانت الممرضات متعجلات . كان المستشفى يعج بالإصابات الناجمة عن عمليات السرقة ، وعن المصادمات مع الجنود ، وضحايا القتال باستعمال الزجاج ، فضلاً عن أولئك المصابين بكل أنواع الأمراض ، ومنهم المريض ومنهم من هم فى النزع الأخير . كانت كل عنابر المرضى مملوءة عن آخرها ، يضاف إلى ذلك أن المرضى كانوا يرقدون فى الطرق والممرات ، يتأوهون ويصرخون فى ذلك المساء القائظ .

بدأ مرجومى يأتى بإشارات مشوشة بذراعه الحرة . كان يشعر بتعب شديد بسبب إحكام الشريط المطاطى .

أمرته الممرضة قائلة : ' أطبق يدك ! '

أطبق مرجومى يده وراحت الممرضات يسحبن دمه ببطء باستعمال المحقن . أسفرت مراقبته للدم الذى يسحب منه عن إصابته بالدوار ، وظهر الإحساس بالغثيان فى عينيه .

صاحت الممرضة قائلة : ' افتح عينيك .'

فتح الرجل عينيه ونظر حوله . أحس وكأنه يحلم .

أردفت الممرضة قائلة وهى تضحك : ' وإلا سوف تتكسر الإبرة وتبقى فى وريدك . '

بقى مرجومى مستيقظًا مستخدمًا فى ذلك كل إرادته . تجمع دمه فى الأنبوب واندفعت العصارة الصفراء إلى فمه ، وأبقاها فى فمه ، وهو يترنح فى الحر داخل وحدة المستشفى . كان انسياب دمه فى الأنبوب الزجاجى يثير دهشته وعجبه ، وبعد أن انتهت الممرضات من أخذ الدم المطلوب نصحته بتناول الطعام الغنى بالبروتين .

قالت الممرضة : ' عليك أيضًا بأكل الفاكهة ، وإلا ستتحول إلى هيكل عظمى تغطيه بشرة جافة .'

عندما بدأ مرجومى يستشعر أنه راح فى حلم بدلاً من أن يفيق من حلم آخر ، بدأ يسير مترنحًا وهو يخرج من وحدة الدم ومنها إلى غرفة الانتظار، ثم بعد ذلك إلى عرض الشارع وفى يديه نيرتان ، وتبعه إموخاى .

' كنت ذاهبًا لحال سبيلك ، أليس كذلك ؟ '

أراه مرجومى النيرتين اللتين حصل عليهما ثمنًا للدم .

قال مرجومى وهو يحملق بلا قصد فى اتجاه الأمام : ' هذا أقل مما تأخذه المومس . '

انصرف مرجومى بعد ذلك وسط ضوضاء الطائرات ودويها ، وعندما أصبح فى وهج الشمس تمامًا غالبه النعاس ، ولكنه كان يحاول

أن يفتح عينيه ويسير مترنحًا ، وكأنه قد أصابه عمى مفاجئ . كان الجو حارا تمامًا ، بل إن سيارات الإسعاف القديمة ' المكهنة ' ، والتى علاها الصدأ ، كانت تعكس الضوء والحرارة أيضًا . أحدث مرجومى ضوضاء غريبة ، كما لو كان يعيد شحن نفسه ، ثم واصل مسيره خلال الحرارة والغبار ، واستمر الرجل فى تمتمته مع نفسه ، وأخذ يسير متعثرًا ، وهو مرتبك ومشوش إلى حد ما .

قال : ' يكاد يغمى علىَّ .'

رد عليه إموخاى بصلابته المعتادة : ' هوِّن عليك . '

' هيا بنا إلى حانة من الحانات ، فأنا بحاجة إلى الشراب .'

' أنا ذاهب إلى منزلى .'

' لماذا أنت ذاهب إلى منزلك ؟ '

' يكاد يغمى علىَّ أيضًا .'

' أنت مثل الثور ، فكيف يغمى عليك ؟ '

' ما رأيك فى الاستعراض ؟ '

' ما رأيك أنت فيه ؟'

' من المفترض أن نخرج ونجرب حظنا .'

لعلنا نتكلم عنه فيما بعد ، فأنا أكاد يغمى على ، وأحس بالإعياء . '

" لابد أن نتكلم عنه الآن . هل ستذهب إلى العرض أم لا ؟ "

" أنا ذاهب بالطبع . مـا الذى يمكن أن أفـعله بهـاتين النيـرتين اللعينتين . "

" إذن ، ستكون هناك ؟ "

" نعم . ولكنى بحاجة إلى الشراب ، فأنا لست على ما يرام ، فقد شاهدت الدم وهو يندفع فى الأنبوب ...."

" وأنا شاهدته أيضًا . "

زادت الطائرات بزئيـرها من جـوع إمـوخـاى ، ومـضى مـرجـومى قدمًا وهو يمشى فوق الأحجار .

قال إموخاى : " يتعين علينا البحث عن عمل . "

" هذه المدينة خالية من الأعمال . "

" لابد لنا من العثور على ملحق . "

" أين ؟ "

كانا قد وصلا إلى المحكمة العليا ، بمبناها الأحمر ، وعندها بدأت تنهـال الأشـيـاء ساقطة من السـمـاء . لم يلاحظ ذلك فى البداية ، ولكن عندما سقطت من السماء المحترقة كتلة من شـرائح الورق ، على كتف مرجومى ، صـاح صيـحة غريبة ، ثم نظر إلى الأعلى ، ثم راح يتـهافت على تراب الأرض الحار ، فقد انهمرت من الطائرات سـحابة سميكة من

النِّشار والورق كما لو كانت هجومًا حشريا مباغتًا من تلك التى ورد ذكرها فى نبوءات الكتاب المقدس ، وعندما هيّيء لإموخاى أن هناك غزواً قادمًا ، وأن حربًا جديدة قد أعلنت ، اندفع ناحية صديقه الذى كان قد أغمى عليه بالفعل عندما بدأت شرائط الورق الطويلة تتساقط على الأرض .

تساءل إموخاى وهو يربت على كتف مرجومى ، ' ماذا حدث لك ؟ '

فتح مرجومى عينيه فى اللحظة التى وضع فيها إموخاى يده على كتفه . كان الرجل يشبه الحيوان الذى جفل خوفًا ، ثم قفز فى نوبة خوف مفاجئة مثل حيوان أصابه الهلع ، ثم قفز إلى الأعلى قفزة مفاجئة . كانت عيناه تكشف عن أنه يعانى من الكبد . كانت حالته النفسية سيئة أيضًا ، وتلالأ فى عينيه ضوء خافت ، وترنح وأمسك رأسه بيديه ، ونظر حوله نظرة مشدوه ، ثم قال :

' أنا ذاهب إلى الحانة .'

مشى الرجل مترنحًا فى طريقه دون أن يلقى بالاً لصديقه ، ودون أن ينظر إلى الخلف ، ودون أن يزيل الغبار الأحمر الذى تراكم على مؤخرة رأسه ، وعلى الجانب الآخر من وجهه ، وامتد ليغطى بنطاله المصنوع من قماش الجينز .

نظر إموخاى إلى صديقه وهو يمضى إلى حال سبيله ، ثم راح ينظر بعد ذلك إلى شرائح الورق التى سقطت على الأرض ، وتناول شريحة من تلك الشرائح . كانت شريحة الورق تحمل صورة مختومة من

صور الحاكم ، ذلك الجندى الذى ذاع عنه أنه أنقذ المدينة من الحصار ، وقد كتبت العبارة التالية تحت الصورة . ' نتمنى لك عيد ميلاد سعيداً . '

انقضّت الطائرات ، مرسلة ظلالها فى كل مكان . تواصل سقوط شرائح الورق ، وتدافع الأطفال العراة محاولين جمع أكبر عدد ممكن من شرائح الورق . اتجه إموخاى عائداً إلى منزله ، ومر وهو فى طريقه إلى منزله بكوم من القمامة كان حجمه يتزايد يومًا بعد يوم ، ووصل إلى منزله فى أشد لحظات الحر ، وهو يستظل بشرائح الورق التى تساقطت فوق الأكواخ المبنية من الطين ، والتى كانت تتساقط أيضًا على رءوس سكان ذلك الجيتو ، الذين كانوا يسارعون أو يتلكئون فى أعمالهم .

(٢)

عندما وصل إموخاى إلى منزله أبلغته ماما جوى أن ديدى Dede مرت عليها قبل مجيئه .

' ألم تترك رسالة ؟ '

' قالت إنها ستحضر فى وقت لاحق '.

دخل إموخاى غرفته . كان عطشانًا . نظر إلى الدلو الأخضر المصنوع من البلاستيك ، والموضوع بجانب الدولاب واكتشف أنه ليس عنده ماء للشرب . كان الدلو من قاعه إلى حافته تتلألأ فيه الرسوبيات الحمراء ؛ والسبب فى ذلك أن مواسير المياه لم يجرِ إصلاحها منذ

انفجارها بعد أسبوعين من تركيبها قبل ثلاث سنوات . خرج إموخاى واشترى لنفسه دلواً من الماء من صاحب الخزان المصنوع من الألومينيوم ، الذى يعيش بالقرب منه ، وعندما عاد جلس على السرير الخشبى . كانت رائحة الدلو المرحاض الموجود خلف الغرفة تفوح داخلة إلى الغرفة ، يضاف إلى ذلك أن نوافذ الحجرة لا يمكن فتحها ، فضلاً عن أن نتن الغرفة كان بادياً بشكل واضح . كان إموخاى مضطرب الأنفاس ، وباله منشغل بالنقود ، وأطال إموخاى النظر إلى التقاويم التى تحمل صور المشاهير فى مسقط رأسه ، وشاهد حبات التراب والغبار الأحمر تتراكم فوق تلك التقاويم ، وبينما كان باله منشغلاً بالنقود توصل إلى قرار مفاده أنه يستحيل عليه تحقيق الثراء بالطرق الأمينة والشريفة وناجى نفسه بوجود السرقة حيثما وُجد المال ، ونهض واقفاً ، ثم خرج من الغرفة ، وأحضر بعض الماء من البئر ، طلبًا للاستحمام . جفف جسمه فى الحجرة وارتدى ملابسه استعداداً لحضور الاستعراض ، ونظر إلى نفسه فى المرآة المعلقة على الحائط . أحس أنه كان مهندمًا ، وارتدى سترته ، ووضع صليبا حول عنقه ، وعلّق على معصمه ساعة لم يحدث أن دارت أو إشتغلت قط ، فضلاً عن أن بنطاله المصنوع من الجينز كان ضيقًا عليه تمامًا ، وبدا عليه فى واقع الأمر أنه كان رجلا يحاول إخفاء شقائه وبؤسه .

عندما خرج من الغرفة بدأ يتصبب عرقًا من جديد ؛ فقد كانت حرارة الشمس شديدة جدا . كانت ماماجوى ، وقد ربطت طفلها على ظهرها ، تجلس على كرسى مستدير منخفض . كانت تنورتها مطوية

بعناية بين رجليها . كانت تتصبب عرقًا أمام طاسة القلى الكبيرة ، التى كان الزيت النباتى يطش فيها ، والتى كانت تضع فيه كبشات من الفاصوليا استعداداً لوجبة المساء ، فى حين كان أطفالها الآخرون ، العراة والملطخون بالتراب ، يلعبون فى الشارع بلفافات الورق وشرائحه ويلفونها حول أعناقهم على شكل سلاسل .

قال إموخاى : ' ماما جوى ، إن جاءت ديدى مرة ثانية بلغيها أن تنتظرنى . '

أومأت ماما جوى برأسها .

غادر إموخاى المجمع . كانت الشمس تصب لهيبها ونيرانها . كانت الطائرات تنقض ، وكانت أجنحتها تبدو خضراء ومن خلفها السماء الداكنة . كانت شرائط الورق تنساب نازلة فوق المنازل ، وبينما كان يسير ومن فوقه ضجيج الطائرات التى كانت تحوم حوله ، أدخلت فكرة عيد ميلاد الرئيس على نفسه إحساساً لم يكن ينتظره أو يتوقعه .

بدأ إموخاى يدرك تمامًا الضوضاء المتزايدة الناتجة عن حركة المركبات العسكرية . كانت الأعلام تزين واجهات البنوك وتهنِّئ الحاكم بيوم ميلاده ، وهذه صحيفة من الصحف وقد نشرت على صفحتها الأولى صورة مكبرة للحاكم عندما كان طفلاً – الطفل الذى قد ينقذ المدينة فى يوم من الأيام .

هذه هى الشاحنات التى تتصل مقدماتها بمؤخراتها بمفاصل متحركة تمر من أمامه ، وهذه هى الطرق تَئِنُّ من مرور مواكب السيارات

والعربات المدرعة عليها ، وتلك هى سيارات الجيب المحملة بأفراد الميليشيا العسكرية تمر فى الشوارع وتجوبها .

كانت جموع من الناس تقف فى أرض الميدان الواسع ، وهاهم باعة الأطعمة يحملون أوانيهم فوق رءوسهم ، وقد توقفوا ليشاهدوا العرض ، وهاهو اتحاد نساء السوق حيث توافدت النساء بأعداد كبيرة يحملن لافتات يتمنين فيها طول العمر للحاكم ، وهاهى الراقصات والراقصون جاءوا من داخل الولاية ، وهاهم لاعبو الأكروبات جاءوا من المناطق التى كانت فى يوم من الأيام منفذاً لتجارة العبيد ، وهم بدورهم يحملون أيضاً لافتات تدعو للحاكم بطول العمر ، وهاهن راقصات أجبور Agbor، وكلهن من النساء ، يلوحن بمناديل زرقاء من فوق رءوسهن ، وقد جئن بدورهن ليثبتن تأييدهن للإدارة . كان هناك أيضاً حملة البكالوريوس المهندمون ولكن أذقانهم كانت مغبرة بالتراب ، كما كان هنا أيضاً كردون من الجنود المتراصين رصا محكماً ، وبنادقهم ممسوكة بإحكام تحت أذرعهم ، كما كانت سياط الخيل تتدلى من أحزمتهم المعدنية .

غطى ضجيج الموسيقى العسكرية وصخبها على ضوضاء المدينة . كان هناك جندى يقف فى الميدان أمام كل تمثال وأمام كل أثر . كانت تلك التماثيل عبارة عن أشكال متوحشة ومخيفة : ملوك ، وملكات ، ومستبدون ، حكام من الذين اشتغلوا بتجارة العبيد وأنزلوا الرعب بشعوبهم ، كما أحاطوا ذلك الرعب بشباك من الخرافات وطقوس الموتى التى لا يصدقها العقل .

سار إموخاي بالرغم من كل ضوضاء الطبول وضجيجها هي والموسيقى النحاسية ، وراح يدرس تلك الجموع ويتأملها محاولاً العثور على رأس مرجومي الأصلع وسط هذه الحشود البشرية . ابتسم إموخاي وهو يحاول التعرف على صديقه . مرجومي : جيروسكوب الجماهير ، صامت صمت الموتى . مرجومي : الذي يعيش من بيع دمه في مستشفى الملكة ماريا التذكاري وعن طريق تغيير موازين جيوب الناس : مرجومي : ذلك العميل غير المقيد ، الذي يقسم بأن الحكومة سبق أن حاولت قتله بالسم لصراحته . ظن إموخاي أنه رأى شخصًا شبيهًا بمرجومي ، شخصًا له ذراع أقصر من الذراع الأخرى ، ورأس قلق وحائر يشبه رأس الكتكوت الجوعان .

تحرك إموخاي ببطء وراء جندي من الجنود ، تفوح رائحة النساء من زيه المصنوع من القماش الكاكي أخضر اللون ، وتنبعث الحرارة من بندقيته : ثم اندس إموخاي بعد ذلك وسط هذه الحشود ثم لمس مرجومي في كوعه ، وهنا استدار غريب تمامًا إلى إموخاي ونظر إليه نظرة متوحشة ، ولكن إموخاي اعتذر على وجه السرعة ، وعاد يندس من جديد بين الجماهير . مرجومي : ترى صورته في الآخرين دون أن يكون هو نفسه ، وهنا أدرك إموخاي أن مرجومي لن يظهر في الاستعراض .

بدأ التدريب العسكري . ثلاثة صفوف من الجنود ، مسلحين تمامًا ، ورتبهم متدرجة يدقون الأرض بأرجلهم فيتصاعد منها التراب الأحمر . كانوا يدقون الأرض بأقدامهم في وقت واحد ، عندما يستديرون يمينًا ويسارًا ، وقد غطى التراب أحذيتهم ، فضلاً عن أن بنادقهم كانت تلمع

وتتلألأ فى ضوء الشمس ، وهذا ضابط يضع العصا تحت إبطه ، راح يفتش على أولئك الجنود . تعرق هؤلاء الجنود ، وجففوا عرقهم ، ثم تعرقوا مرة ثانية ، وأسفرت تلك العملية التى لا تنتهى عن خاصية الوحشية الشرهة التى ارتسمت على وجوه هؤلاء الجنود . كانت الطائرات تدوى فى السماء ، وهاهم أطفال المدارس جاءوا بأعداد كبيرة ، ووقفوا فى ضوء الشمس الحارق ، وهنا راحت دانات المدفعية ، التى أطلقت على سبيل التحية ، تنسف الهواء .

شق إموخاى طريقه بصعوبة بالغة خلال الجماهير إلى أن وصل إلى جماعة من الناس الذين بلغت بهم الجرأة عدم الخوف ، أو إن شئت فقل : الغباء ؛ لأنهم راحوا يتكلمون أثناء عزف السلام الوطنى . كان رجلاً متيناً يرتدى بدلة سفارى يتوسط تلك الجماعة . كان الرجل يتكلم وحركات ذراعيه تشبه حركة الطاحونة الهوائية ، إذ كان يبحث عن الهواء ، فراح يطيح بقبعات الناس وهو يتمتم معتذراً لهم ، فى الوقت الذى تجمع الزبد عند أطراف فمه . تدافع إموخاى مع الناس أكثر فأكثر . وهذه هى الطبول تهز الأرض ، تلك هى الآلات الموسيقية النحاسية تجعله يطقطق أسنانه .

قال الرجل الذى ينبعث الزبد من شدقيه: ' ماذا يفعل هذا الآدمى ؟'

هذه هى بعض الرءوس السوداء الضاربة إلى الحمرة تتجه صوب ذلك الرجل . تلك هى العيون الحمراء تنظر إليه ، ومن نظرة سريعة إلى الصندل الرخيص الذى يلبسه فى قدميه وإلى شعره المغبر بالتراب ،

استطاع أولئك الذين ينظرون إليه أن يعرفوا ذلك الذى يودون معرفته عن ذلك الرجل ، وبالتالى أسقطوه من اعتبارهم .

واصل الرجل الذى يتركز الزبد عند شدقيه :

' هل لأن هذا الحاكم عسكرى سوف يتكرر الاحتفال بعيد ميلاده بعرض عسكرى كبير مثل هذا العرض ؟ يهيلون الغبار على المدينة ، ويستعرضون مركباتهم الضخمة وهى تقطع الطرق السيئة ذهابًا وإيابًا . كم عمر هذا الحاكم حتى تتوقف المدينة كلها ! '

اتسعت الدائرة حول الرجل ، فقد تحول ، فى لحظة ، إلى رجل مجنون ، ومن هنا بدأ يستثير الاهتمام . دوت أصوات الأبواق ، وانطلقت من الكشك سحابة من الأضواء . تسلق الحاكم الكشك الخشبى وحيته الجماهير التى كانت تتصبب عرقًا ، وشدد الجنود الحراسة من حول القاعدة المربعة التى يرتكز عليها الكشك . كان الرجل الذى كان الزبد ينبعث من شدقيه لا يزال هائجًا مائجًا .

' انظروا إليه . هذا ملعون متغطرس ! متين مثل الثور ! امتلأ من طعام الشعب ، وقد سطا على واحد من بنوكنا أثناء الحرب . نحن مجانين . كل من يتغاضى منا عن هذا الهراء يُعد مجنونًا . ' قال هذه العبارة بصوت مرتفع وقوى .

وفى كل مرة كان يرفع فيها ذراعيه ظهرت من تحت إبطيه دائرة محززة من العرق .

ليتنى كان لى دم نادر مثل دم مرجومى ، دار ذلك بخاطر إموخاى وهو يشق طريقه إلى الرجل . لفت إموخاى أنظار الجمهور إليه وهو على وشك أن يلمس الرجل الذى انفجر من جديد فى نوبة من اللعن والسباب، وقد بدأت الموسيقى تعزف المقطوعات العسكرية بعد أن أدى الحاكم التحية . تساقطت الأحذية المعدنية على الأرض بقوة شديدة ، حيث كان العلم الوطنى يرفرف ، ويعلوه الصدأ ، وراح الأطفال يلوحون به بلا هدف . كانوا يستعملون فى عملية التلويح هذه أعلامًا حمراء صغيرة معلقة فى عصى مدببة . كانوا يلوحون تلويحًا عشوائيا لا علاقة له بالمقطوعات الموسيقية التى كانت الفرقة تعزفها .

أصدر أحد الضباط أمرًا ، انطلقت على إثره الأبواق ، واقترب الحاكم من الميكروفون ، ودوت الأبواق مرة ثانية ، ورفع الحاكم ذراعه طالبًا إلى عازفى الأبواق التوقف ، وبإشارة أخرى طلب من الجمهور الصمت والسكوت . كان القائد يود للناس أن تسمعه ، يضاف إلى ذلك أن مسألة أن هذا الحاكم كان ملاكمًا من قبل تجلّت فى الموقف الذى اتخذه .

مصمص الرجل الذى كان يرتدى بدلة سفارى أسنانه ، وعلم إموخاى أن عليه أن يتحرك بأقصى سرعة ، وبدأ الحاكم ، الذى كان يبدو من بعيد مثل الثعلب ، يتكلم إلى الجماهير . كان يتكلم بحماس شديد وبتركيز ، ببطء ، ومع ذلك لم يستطع أحد أن يعرف ما يقول . وأخذ الأطفال يلوحون بأعلامهم ، وأصدر الحاكم إشارة باستعمال يديه وتلألأ وجهه ، وهنا بدأت الطائرات فى الانقضاض بعد أن كانت تحلق

فى عنان السمـاء ، وانهـالت شـرائط الورق على المكان الذى كانت تقف فيه الفرقة الموسيقية ، وسقطت فوق رأس الحاكم ؛ وأغرقت كل منطقة الاستعراض ، وغضب الحاكم من ذلك الخطأ وأطلق أوامر أساء فهمها أولئك الذين استمعوا إليها . صدحت الموسيقى . وإذا كان موقف الحاكم يقوم على أنه كان مـلاكمًا سابقًا ، فإن خصمه كان يتمثل فى الفوضى التى خلقها حتى يتسنى له الحكم .

لوح الأطفال بأعلامهم .

لمس إمـوخـاى الرجل الذى يرتدى البـدلة السـفـارى . كـانت تلك اللمـسـة كـافـيـة تمامًـا ، ثم شق طريقـه بعناية وحـرص بعـد ذلك وسط الجمـاهير ، فى الوقت الذى كـان يركز فيـه على الرجل . كـان إمـوخـاى على بعد مسافة آمنة عندما اكتشف الرجل ذلك الذى ضاع منه ، وهرب إمـوخـاى بعد ذلك . راح يجـرى بعـد ذلك فى هذا الاتجـاه وذاك ، ثم بدأ الرجل يفتش الأرض .

عندمـا هبط الجـمـهور على الرجل فـهم إمـوخـاى السـبب الذى جـعل الأطفـال يلوحـون بأعـلامـهـم بطريقة غـير منـتظمـة ، وعندمـا ظهـر الرجل ببـدلتـه المهلهلة ، ازدادت حـدته وغـيظه كـعـادته ، وراح يسب ويلعن لأن الأطفال توقفوا عن التلويح بالأعلام وراحوا يحملقون فيه ويطيلون النظر إليـه ، ولعن اللص وتوعـده ، ولعن المدينة أيضًـا ، ولعن كل أولئك الذين امتدت أيديهم إليه .

وخفضت الطائرت ارتفاعها ولذلك غطت بأصواتها على سبابه ولعانه . كان الحاكم الواقف على منصة الفرقة الموسيقية يتلقى التكريم ، والميداليات والأنواط وكذلك الهدايا من أصحاب القوة والنفوذ فى الدولة . كان عنقه مطوقًا بأشرطة صفراء اللون وبميدليات من وزارة المالية ، واقتباسات من الجامعات ، كلها جرى تنظيمها ومراقبتها تحت إشرافه الشخصى ، وتلقى الحاكم عقداً من الجمعيات السرية ، ومن المصالح متعددة الجنسيات . دوّت الموسيقى ، وعندما انتهت ساعة تقديم الهدايا تقدم وأزاح الستار عن تمثال من البرونز أقيم له هو شخصيا ، ذلك التمثال الذى سيقف إلى جانب التماثيل الأخرى التى بدأت تنوى بفعل حرارة الشمس .

مرت الطائرات مرة أخرى ، وجفل الأطفال ، وجفل إموخاى معهم أيضًا ، وعندما نظروا إلى الأعلى شاهدوا خِرَقًا تتساقط من الطائرات مثل الشرائح الغروية التى تهبط من السماء ، وانفجر الحاكم بعد ذلك فى نوبة من الكلام ، فى الوقت الذى كان فيه أطفال المدارس – بعد القروح والتورمات التى أصابت كل واحد منهم – مثل من أصابه مس من الغضب والجنون ، وراحت الموسيقى تعزف لحنًا من ألحان المسير وراحت تسير أيضًا حول الميدان متجهة نحو البوابة ، ونزل الحاكم برقة من فوق المنصة متجهًا إلى السيارة الليموزين . كانت السيارة الخضراء، المصفحة ، ذات النوافذ الملونه تلوينًا خفيفًا ، وتحتوى على تليفونات آلية ، وثلاجة ، ودوارق للخمر ، تعج بكل أنواع الراحة ، وفتح الياور الباب الخلفى ، وحيًا الحاكم ضباطه ، وضرب الأرض بقدميه ثم

دخل السيارة . كانت الاحتفالات قد بدأت لتوها . دخل الرسميون الآخرون سياراتهم ، فى حين راح الراكبون الخارجيون يطلقون آلات التنبيه . وتحرك الركب مبتعداً ببطء عن ميدان الاحتفال . كانت سيارة الحاكم فى منتصف القافلة ، وعندما مرت سيارته لم يتمكن الناس من رؤيته . لم يستطع الناس أن يتبينوا الشكل الذى أصبح عليه ، لم يستطيعوا أيضًا تبين الفساد البدنى الذى زحف على ملامحه ، كما لم يستطيعوا أيضًا تبين شدة بأسه .

لوح الأطفال بأعلامهم .

بلغ الحر مبلغًا توقف على أثره أولئك الأطفال عن التعرق ، وراحوا يلوحون بأعلامهم كما لو كانوا كلهم غير مقتنعين أو راضين عما يفعلونه، كانوا يحاولون جذب انتباه الحاكم ، وأخيراً ، وبعد أن تفرق الأطفال ورجع كل واحد منهم إلى بيوتهم الجوعى ، وكان كل واحد منهم يحمل معه الخِرَق ، وشرائح الورق على سبيل التذكار ، بمناسبة بلوغ الحاكم عامه الخمسين – غادر إموخاى مكان الاستعراض مع الأطفال . كان يشعر بينما كان يسير فى الشارع بأن حاله النفسى كان أفضل مما كان عليه ولو إلى حد ما ، كان يستحوذ عليه إحساس بأنه يود أن يضرب شيئًا ما . كانت سحب الغبار والتراب فى كل مكان ، وعندما خرج إموخاى من تلك السحب الترابية كان كأنه قد نقص حجمه ، أو إن شئت فقل : إنه أحس بأنه تحول من جديد إلى ظل غير مرئى .

أثناء عودته إلى منزله باغت مرجومى وهو يقف خارج دكان من دكاكين المراهنات . كان مرجومى مخموراً ، ومحموماً ، فى حين كانت تبدو على وجهه مسحة من الهم والغم ، وكان يهز رأسه وذراعه . كانت معه امرأة نحيفة لم يسبق أن رآها إموخاى من قبل .

سأله إموخاى : ' ماذا حدث لك ؟ '

' خليك فى حالك . '

' ولكنى انتظرتك فى مكان الاستعراض . '

' كنت مشغولاً . '

' ماذا كنت تفعل ؟ '

قالت المرأة النحيفة قبل أن يتكلم مرجومى : ' كان يخسر النقود . '

قال مرجومى للمرأة : ' اسكتى أنت أيضاً . '

تفحص إموخاى المرأة النحيفة . لم تكن المرأة جذابة . كان وجهها نحيفًا وعيناها غائرتين . كانت تلبس فستانًا أزرق ضيقًا يجسد نحافتها ، كما كان يرتسم على وجهها تعبير ينم عن المرارة ويعكس القلق والاضطراب الذى كان يعانيه مرجومى .

' إذن ، كنت تقامر فى الوقت الذى كنت أنتظرك فيه فى أرض الاستعراض . '

أومأ مرجومى برأسه .

' خسرت هذه المرة أمام أربعة آسات . '

' هل خسرت كل نقودك ؟ '

' لا ، ليس كلها . '

قالت المرأة : ' خسرها كلها . '

' إخرسى .'

مشت المرأة لحال سبيلها ثم توقفت ، ونظرت إلى كل منهما ، ثم أشاحت برأسها بعيداً عنهما احتقاراً لهما .

قال مرجومى : ' ما زلت أشعر بالإعياء وكأنى سيغمى على '. قال هذه العبارة بعد أن بعدت المرأة عنهما .

' اذهب إلى البيت ونَلْ قسطًا من الراحة .'

' لا أستطيع ذلك '.

' لِمَ لا ؟ '

' لأنى على ثقة أن أمراً ما سيحدث .'

' ما هو ذلك الأمر ؟ '

' أنا لا أعرف ، لكنه شىء طيب . '

' وماذا لو أغمى عليك ؟ '

' إذن، سوف أنهض .'

' أنت توشك أن تصاب بالجنون ، أنت تعلم ذلك . '

' أنا أعلم ذلك .'

' أنت لقيط لأنك لم تأتِ إلى الاستعراض .'

' ما هو الذى افتقدته أو ضاع منى ؟ '

أراه إموخاى المحفظة التى نشلها ، وراح مرجومى يتحسس المحفظة ، ولكن إموخاى رد يده .

' كأن بوسعنا أن نتمتع بيوم جميل . '

هزّ مرجومى كتفيه

' لابد من أن أبحث عن عمل . أنا بحاجة إلى أن أسير تحت علم . '

' أى عمل ، وأى علم ؟ '

' علم القوة .'

أعاد إموخاى المحفظة إلى جيبه .

قال ، وهو يغادر المكان : ' أنت لست جاداً .'

أمسك مرجومى بذراع إموخاى ، وهو يطيل النظر إليه ، والحمى والاضطراب يبدوان فى عينيه ، ثم قال :

' قالت الممرضة أنه يتعين علىّ أن أتغذى جيداً .'

' إذن ، تغذى جيداً .'

' أنا ذاهب غداً إلى المستشفى .'

نظر إموخاى إلى وجه صاحبه الشاحب النحيف ، ثم قال بعد ذلك في شيء من الغضب :

' وماذا بعد ذلك ؟ '

' كيف لى أن آكل جيداً دون أن يكون لى عمل ؟ '

أحس إموخاى أنه يتحتم عليه أن يتمالك نفسه .

' وما هى علاقه ذلك العمل بى أنا شخصيا ؟ '

ترك مرجومى إموخاى يفلت من قبضته المحكمة ، وهز رأسه ، وغيّر من موقفه ثم قال :

' إقرضنى نيرتين . '

بدأ إموخاى يضحك ، فقد كان غاضباً ، بل مستاءً أيضًا ، وكان يراوده إحساس وكأنه كان يضرب مرجومى ، ولكنه راح يضحك بدلاً من ذلك الضرب . أطال مرجومى النظر إلى إموخاى وحملق فيه بإمعان ، كما لو كان شخصًا حقيراً ووضيعًا ، وعنيفًا أيضًا .

وبطريقه آلية ، وبدون وعى بما كان يفعله ، أخرج إموخاى حافظة النقود المسروقة وأعطى مرجومى نيرتين . وضع مرجومى النيرتين في جيبه ، وربت على كتف صاحبه ، ثم قال :

' هيا بنا نذهب سويا للشراب . '

عند هذه اللحظة فقط ، أحس إموخاى كما لو كان قد أفاق فجأة من عزيمة من عزائم السحر ، فقد آذت حدة الضوء عينيه ، وأحس الرجل بالارتباك .

قال إموخاى ، دون أن يتحرك : ' أنا ذاهب إلى المنزل ، ولكنى سوف ألقاك فيما بعد ' .

أومأ مرجومي برأسه علامة الموافقة ، وسار فى الشارع مترنحًا ومتسكعًا فى اتجاه المرأة التى كانت تنتظره على مضض بالقرب من أحد أكشاك بيع الصحف ، وعندما نظر إموخاى كى يرى منظرهما سويا كانا قد غادرا المكان .

عندما اقترب إموخاى من الشارع الذى يعيش فيه وجد المنطقة تعج بالجنود . كان الجنود ينزلون قفزًا من اللوريات العسكرية . أحدث أولئك الجنود هياجًا وضجيجًا فى بيوت الدعارة الكثيرة التى كان كل بيت منها مكونًا من طابقين ، وبدت كما لو أن أثقال ذلك الزنى سوف تهدم تلك البيوت . كانت غالبية الجنود مخمورين ومسطولين بمناسبة عيد ميلاد الحاكم ، ومر إموخاى على جندى كان يسحب امرأة ، وكانت تلك المرأة، التى تصلب عنقها، تضحك بطريقة هستيرية .

دخل إموخاى إلى الغرفة وأفرغ محتويات حافظة النقود على السرير ، وخاب أمله فى كل ما وجده فى المحفظة . كانت المحفظة لا تحتوى إلا على مجموعة من بطاقات المال والأعمال ، وثلاث نيرات ،

وعدد كبير من العملات المعدنية (الفكة) . وهنا أقسم إموخاى ، ثم بدأ يضحك بعد ذلك . كان مفروضًا عليه أن يتأكد جيداً . كان ينبغى عليه أن يعرف أن أولئك الذين يتكلمون كثيراً ، وأصحاب الصوت العالى ، والذين يسارعون إلى الانتقاد ، يغلب ألا يكون لديهم أى شىء . أخذ إموخاى تلك المحفظة اللعينة وأفرغ محتوياتها فى الفناء الخلفى وألقى بها خلف الحائط ، الذى كانت توجد على جانبه الآخر كومة متعفنة من القمامة ، ثم عاد إلى منزله وأغلق الباب . كان أثناء مروره على منزل جاره ، قد ألقى نظرة خاطفة على وجه الحاكم من خلال شاشة التلفاز الصغيرة ، وتوقف إموخاى . كان الحاكم يتكلم عن انتصاراته أثناء الحرب ، وكان وجهه الضخم يتصبب عرقًا .

بينما كان إموخاى يقف خارج غرفة جاره ، كان بصره متجهًا صوب النافذة المركب عليها قضبان حديدية ، طوال الفترة القصيرة التى راح يشاهد التلفاز خلالها ، ثم بدأ بعد ذلك يعى بعض الأصوات العجيبة التى كانت صادرة من غرفة غسال الملابس ، التى كانت تبعد بابين نحو الأسفل . كان الغسال يتغنى بأصوات صائتية ، وفى الخارج كان الغبار المنتشر فى الجو قد لطخ الملابس المنشورة على الحبال . اتجه إموخاى إلى مقدمة المنزل وراح يراقب الطائرات . كانت ماما جوى قد ذهبت مبكراً إلى السوق طلبًا للتسوق فى فترة المساء . كان المكان الذى تبيع فيه الطعام خاليًا ، وبينما كان إموخاى ينتظر ديدى Dede ويقاوم الغبار والتراب ، بدأ يحس بالجوع ، وراح ينصت إلى الأصوات الصائتية العذبة التى كان يتغنى بها الغسال ، وهنا قرر الخروج لإحضار شىء من الطعام .

وعندما غادر المجمع السكنى إلى أقرب مكان لبيع الطعام خطر بباله أن الحياة الطبيعية كلها - الفراشات ، والقطط ، والكلاب ، وكذلك أوراق أشجار البرتقال التى توقفت عن النمو - قد دفنها التراب والغبار. عثر الرجل على مكان بيع الطعام ، وتناول الطعام فى صمت ، وبعد أن بدأ يستشعر التحسن غادر المكان . خارج المحل ، كانت الأضواء تباغته وبعينيه اللتين كانتا تتركزان على الطعام فى محل بيع الأكل المظلم ، رأى المدينة كما لو كان يراها للمرة الأولى . رأى التراب الأحمر، وفوق قمم الأسقف المصنوعة من الزنك ، شاهد أنماطًا لإمبراطورية خنقها التاريخ .

وبينما كان إموخاى يفكر فى فرق كرة القدم التى يمكن أن يراهن عليها ، اتجه صوب حانته المفضلة كيما يتناول كأسًا مع مرجومى . كان على وشك الدخول إلى الحانة عندما نادته امرأة من على الجانب الآخر من الطريق . استدار الرجل ، وأحس باستخفاف على الفور وعرف أن ديدى Dede هى التى تناديه .

سألها ، كما لو كان قد رآها قبل عشر دقائق فقط : ' أين كنت ؟ '

قالت وهى تعبر الطريق : ' كنت أبحث عنك . '

كانت ديدى ، فى وقت من الأوقات ، عشيقة لمرجومى ثم انتقلت وأصبحت عشيقة لإموخاى ، الذى سئمها وعافها خلال وقت قصير جدا. خرجا وتسكعا سويا مدة شهر واحد . كانت عاداتها تكلفه أكثر مما كان يظن أنها تساويه أو تستحقه . كان من عادتها أن تمضى

القسم الأكبر من وقتها فى قراءة المجلات الأمريكية ، يضاف إلى ذلك أنها كانت نهمة جنسيا إلى حد أنهما عندما يكونان سويا لا يجد الرجل أمامه ما يفعله سوى المضاجعة ، وبالتالى لم يتمكن من إنجاز أعماله ، يضاف إلى ذلك أن منظومته العددية ، التى استقاها من منظومة مرجومى ، تتناقص وتنهار إلى سبعة أرقام ، وخسر إموخاى عمله ، وهى ، من ناحيتها ، بعد أن رفضت القيام بأى عمل من الأعمال ، راحت تتجول خلال المجمع السكنى القذر بثياب نومها التى أكل الزمن عليها وشرب . بعد ذلك ، اكتشف إموخاى ، خلال النقاش الذى دار بينهما فى يوم من الأيام ، أنها قاتلة محتملة ، وكانت قد تناولت سكيناً وقذفته بقوة ، ولولا نيتروجين الخوف المشوب بالحظ لكان السكين قد اخترقه واستقر فى الدولاب الموجود خلفه ، وأدى ذلك إلى تخوفه وإصابته بالهلع ، وقبل أن تخرج من حياته تأكدت من تدمير غرفته وتخريبها ، ولم يكلم أحدهما الآخر طوال عامين ، ثم استأنفا مؤخراً خيط الصداقة وبدءا يودان بعضهما ؛ فقد كان مديناً لها بخمسين نيرة .

راح إموخاى يراقب ديدى وهى تعبر الطريق . كانت تلبس رداء خارجيا على اللحم وبلوزة من الدانتيل الرخيص . كان قرط أذنيها يتدلى منه بصيلات كما كانت شفتاها ملطختين باللون الأحمر . كان ما تبقى لها من جمال مدفون فى الشحم . كانت هناك حلقات من اللحم تحيط بعنقها ، يضاف إلى ذلك أن لون عينيها كان يشبه لون رماد المدينة . كان وجهها يرتسم عليه التهكم . تحركت ديدى بطريقة محسوبة تراقصت خلالها أردفها .

' إموخاى ، كيف حالك الآن ؟ '

' أنا بخير . '

رشقها بنظرة ، وعندما وصلت إليه طوق وسطها بذراعه ، ولكنها دفعته بعيداً عنها .

قال إموخاى : ' أنا ذاهب للشراب ' .

وقفت خارج الحانة مترددة ، فى حين دخل إموخاى ، وهو يشق طريقه خلف الستائر المقلمة . شعر بالعطش على أثر تشمم رائحة نبيذ زيت النخيل المسكوب ، ودون أن يتأكد من دخول ديدى إلى الحانة ، شق هو طريقه داخلها متجهًا إلى طاولة الشراب ثم طلب بيرة لشخصين .

قالت ديدى وهى تقف خلفه : ' أنا لا أشرب البيرة . '

' إذن ، ماذا تشربين .'

' أشرب جعّة ، أشرب بيرة سوداء ثقيلة . '

غيّر إموخاى الطلب . وعندما وصل المشروبان بدءا يبحثان عن مكان خالٍ ، أو طاولة خالية . كان المكان كعادته مكتظًا بالناس . أناس يحمل الواحد منهم المشروب فى يد والسيجارة فى اليد الأخرى ، ويتكئون على الجدران . كانت الإضاءة فى منتهى الكآبة والسوء ، كما كانت مروحة السقف تدور ببطء شديد ، إذ كانت تحرك الغبار الموجود على ريشها بشق الأنفس . تصاعدت الأصوات من كل الاتجاهات على شكل موجات غير ناعمة ، وفى ركن من أركان الحانة كان هناك جمع

من رجال يتنافسون على جذب انتباه واحدة من المومسات ، وفى ركن آخر كانت هناك مومسات يتنافسن على جذب انتباه اثنين من رجال الأعمال ، يضاف إلى ذلك أن الناس كانوا يضحكون بطريقة عنيفة ، كما كانت النكات الجارحة الخادشة للحياء تطغى على كل تلك الأصوات . شق إموخاى طريقه إلى الأمام خلال الجمهور ، مما أسفر عن سكب مشروبه على أحذية الناس وبناطيلهم ، ولكن أحداً لم يلاحظ ذلك ، وعندما وصل إموخاى إلى ركن بعيد من أركان الحانة ، حيث كان هناك مكان يتسع للوقوف ، رأى المرأة النحيفة التى كانت تقف مع مرجومى . كانت تقف مقابل طاولة الشراب ، وكانت تعلق فى أذنيها قرطاً أخضر اللون ، كما صبغت شفتيها باللون البمبة الوردى ، كما كانت ترتدى فستاناً أحمر اللون ، مجسماً عند الردفين ومفتوحاً فتحة محرجة من الخلف عند الظهر . كانت تتحدث بطريقة عصبية ، كما لو كانت توجه كلامها إلى الساقى ، يضاف إلى ذلك إشارتها التى كانت تستعمل فيها أظفار أصابعها الطويلة حمراء اللون ، كانت تشبه إشارات القطة البرية .

كان إموخاى قد وصلها بالفعل عندما بدأ يدرك أن مرجومى ، دوناً عن سائر بقية الناس ، كان يجلس فوق مقعد عالٍ مستدير ، وقميصه ممزق ، وكانت على عنقه ضمادة من البلاستر ، فى حين كان يسند رأسه بيديه ، فى حين كان يسند يديه على طاولة الشرب . كان يبدو كما لو كان رجلاً فشل فى محاولة الهرب من عاصفة من الانتقادات .

' إذن ، لماذا ذهبت وتشاجرت ، يا هذا ؟ '

' اتركني وحدى .'

' لماذا تتشاجر مع ثلاثة من الرجال ، يا هذا ؟ '

' اخرس .'

' هل تريد أن تموت ؟ هل كرهت الحياة ؟ وماذا عن أمك ؟ '

' اذهب لحال سبيلك ' .

' من أين حصلت على النقود ؟ '

' من أين فى رأيك ؟ '

' هل ذهبت إلى المستشفى مرة ثانية ؟ '

' افعل ما بدا لك .'

' بهذا المعدل لن يتبقى سوى البول فى جسمك . '

' وإيه كمان ؟ '

' لماذا لا تبحث لنفسك عن عمل ؟ '

' اين أجد ذلك العمل ؟ '

' اشتغل عاملاً . '

' ليست لدى القوة التى تمكننى من ذلك . '

ربت إموخاى بيده على كتف مرجومى وقال :

' أنت شديد الكسل . '

نظر مرجومى إلى الأعلى وبدا على وجهه الفرح .

قال ، كما لو كان يرى صديقه للمرة الأولى بعد سنوات عدة :
' إموخاى ! أين كنت ؟ '

' ماذا تعنى ؟ كنت هنا . '

' تقول هنا ؟ '

' لا ، بالقرب من هنا . '

' اطلب لى مشروبًا يا صديقى . هذه المرأة تسبب كثيراً من الضيق والمتاعب . '

قالت المرأة النحيفة : ' من الذى يسبب لك المتاعب ؟ ' ثم استدارت بعد ذلك إلى إموخاى وقالت : ' لقد ذهب إلى المستشفى اليوم ، وكرر فعلته مرة ثانية . '

' أنا أعرف ذلك . '

' كيف عرفت ذلك ؟ '

' ذهبت أنا معه . '

نظرت إلى الرجلين ، وشقت ديدى طريقها لتقف فيما بينهما .

قالت على سبيل المحاولة : ' كيف حالك الآن يا مرجومى ؟ '

أطال مرجومى النظر إليها فترة طويلة ، فى صمت ، ثم ظهر على وجهه تعبير ينم عن الحيرة والارتباك ، وهنا طلب إموخاى كأسًا ثانية ، وعندما وصل الشراب ناوله لمرجومى ، ثم استدار إلى ديدى وقال :

' زورينى فى مكانى فى وقت لاحق . '

' ولماذا أزورك ؟ '

' حتى يمكننى أن أسدد لك النقود التى أنا مدين بها لك . '

' ادفع لى هذه النقود الآن . '

' النقود فى المنزل . '

رمقته بنظرة تنم عن فهمها له ومعرفتها إياه .

' هل ستأتين ؟ '

أومأت برأسها ، وابتسم إموخاى ، وطوال كل ذلك الوقت كانت المرأة النحيفة تلقى خطبة حماسية على مرجومى . انتقدته لدخوله فى المشاجرة واشتكت من نحافته ، ومن ملابسه الرثة ، ومن شعره غير الممشط ، ومن بشرته المبقعة ، ومن إفراطه فى الشراب . جلس مرجومى مكلومًا ، وقد ارتسم تعبير كئيب على وجهه ، وتتحرك رقبته حركة لا إرادية . كانت شفتاه ترتعدان ، وراح يشرب بصورة مضطردة، وبعد أن انتهى من البيرة طلب كوبًا آخر وطلب من المرأة النحيفة أن تدفع الحساب ، ورفضت المرأة دفع الحساب ، حضر المشروب ، وطلب النادل الحساب ، وحملق مرجومى فى الفتاة .

' هل تريدين لى أن أذهب إلى المستشفى مرة ثانية ؟ '

قالت المرأة النحيفة وهى تمصمص أسنانها : ' افعل ما بدا لك . '

' إذن ، لن تدفعى ؟ '

' لا ، فأنا لست عبدة عندك . '

' وماذا عنك ، يا إموخاى ؟ ألن تدفع نيابة عنى ؟ '

' أنا ليس معى نقود يا صديقى . '

حملق مرجومى فى إموخاى ، ووقفوا كلهم صامتين .

قالت ديدى ، فى هدوء : ' سأدفع أنا . '

لم يبعد مرجومى عينيه عن إموخاى .

قال : ' أنا لا أريد نقودك ' .

تساءلت ديدى : ' لِمَ لا ؟ '

' لأنى لا أريد ذلك . '

' ألم تعد نقودى طيبة بعد عندك ؟ '

' لماذا لا تذهبين وتعطيها لبائع البطاطا عشيقك ؟

' أى بائع بطاطا تقصد ؟ '

قال إموخاى : ' أنت تخلط بينها وبين زوجتك '.

قال مرجومى وهو يتفل : ' هى مثلها تمامًا، مليئة بالحظ السيئ . '

عقب ذلك ، وبدون أى سبب ، بدأ مرجومى يسب ديدى ويلعنها . قال إنها متينة جدا ، وقال أيضًا إنها امرأة لا تفضل سوى بائعى البطاطا والجنود ، وواصل مناجاته لنفسه كما لو كان محمومًا ، كانت عيناه عمشاوين وضعيفتين ، وكانت حالته النفسية شرسة ونكدة ، فى الوقت الذى راح النادل يُعنِّفه فيه طلبًا لثمن المشروب ؛ واصل مرجومى السب واللعن ، وشتم الحاكم ، ولعن المرأة النحيفة ، الذى قال عنها إنها ذكَّرته بواحدة من أبشع الممرضات فى وحدة الدم ، وعندما بدأ فى سب الغرباء ، والكلام عن كلاحة وجوههم ، بدأ الناس لا يعيرون مجموعتهم أى قدر من الاهتمام .

قال أحد الزبائن المخمورين : ' بلغ صديقك بالتزام الصمت ، وإلا سوف نطحنه فى التراب . '

تشجع مرجومى ، وصاح بأعلى صوته ، ولوح بكوعه فى وجوههم إلى أن عجزت ديدى عن تحمل الأمر أكثر من ذلك ، فوضعت شيئا من النقود على الطاولة ، وطلبت من مرجومى التزام الصمت والهدوء .

قال مرجومى: ' أنت تزدادين سمنة ، شأنك شأن إطار السيارة . '

أطالت ديدى النظر إليه ، ثم وضعت الباقى فى كيس نقودها ، ثم صفعت مرجومى بعد ذلك على وجهه ، فأمسك بخناقها وكان على وشك أن يضربها عندما أمسك إموخاى يده ، وقام رجل أحول ودفعه إلى الأمام .

هدده الرجل ، ثم عاد إلى صحبة الشراب : ' إذا لمستها فستموت '.

انتهت ديدى من المشروب ثم غادرت المكان . حثها إموخاى على البقاء ، ولكنها لم تستمع أو تلقى بالاً لما قيل ، وشقت طريقها خلال الجمهور ، وقام أحد الرجال الذين كانوا برفقة الأحول بإمساكها من ثدييها، وانبرى إموخاى لذلك الرجل ، ولاحت بوادر المشاجرة فى الأفق ، ولكن اختفاء ديدى من الحانة جعل الأمور الأهم تستحوذ على انتباهه ، وأسرع خارجًا من الحانة ليلحق بها عندما كانت توشك أن تستقل السيارة الأجرة .

' تعالى إلى بيتى فى وقت لاحق ، يا هذه ' .

استقلت السيارة الأجرة وصفقت الباب ، وانطلقت السيارة الأجرة ولم تنتظر وراءها .

عندما عاد إموخاى إلى الحانة وجد هرجًا ومرجًا ، وكان هناك جمع من الناس يحيط بالركن البعيد من الحانة ، ومن وسط ذلك الجدار المكون من الأجسام كان ينبعث صراخ مرجومى وصوته المخبول . شق إموخاى طريقه إليه ، والواضح أن مرجومى كان يصب سيلاً من الشتائم واللعن ، واصفًا الحاكم العسكرى بأنه لص وواصفًا كل مواطنى الدولة بالجبن ، وانهالت عليه الأصوات المعادية تهدده وتتوعده . كانت المرأة النحيفة تقف إلى جانبه ، تراقب ما يجرى بلا حول أو طول .

صاح مرجومى قائلاً : ' أنا لا يهمنى إن كنتم كلكم أعضاء فى جمعيات الجبناء السرية . أبشع ما يمكن أن تفعلوه هو قتلى ! '

قال أحدهم : ' سنقتلك إذا لم تكن حريصًا '.

قال مرجومى : ' انظروا إلى وجهه . '

صرخ مرجومى : ' اتركنى لحال سبيلى ، يا إموخاى . أنا أكره تلك المرأة عشيقتك . ' ثم صاح قائلاً ، وكأن أحدًا لم يقاطعه : ' كلكم جبناء ، يا أعضاء الإخوان المصابين بالزهرى ، أيها الغيلان والأشباح ، أيها المواطنون الفاسدون ، أنتم أنانيّون وطماعون ، أنتم أغبياء ، قوادون، تجار عبيد ، لحّاسو دُبُر ! '

إزداد الأمر سوءًا ، فقد انقلب الساقى إلى رجل سيئ الخلق تمامًا . ذوت حسن المعاملة عند ذلك الساقى إلى أقل حد ممكن ، نفد صبره ، وقلت حيلته .

صاح مرجومى قائلاً : ' أكل ذلك من أجل مشروب واحد ، ويتخلى عنى كل أصدقائى ، وعشيقتى ، كلهم ! '

طلب إموخاى قدحًا من البيرة ، على أمل أن يهدأ صديقه ، ولكن مرجومى كان قد تجاوز حدود الهدوء كلها ، وتوتر عنقه ، وصاح يقول :

' هل يريد أحد منكم دمًا ! '

قال الناس : ' صه ! '

' إذا كان أحد منكم يريد دمًا فسوف أبيعه نصف لتر بنيرة واحدة ! '

قال أحدهم : ' وفر على نفسك دمك الرخيص . '

صاح مرجومي بأعلى صوته : ' دمي ليس رخيصًا ! '

رفع النادل صوت الموسيقى ، كيما يغطي على صوت مرجومي ، وتحرك فمه واتسعت عيناه ، وبرزت أوردة وشرايين عنقه ، ولم يسمع أحد ذلك الذي قاله هذا الساقي . حاول إموخاي تهدئة النادل ولكن مرجومي دفعه دفعة شديدة اصطدم على أثرها بالبشر الذين تجمعوا حوله . غضب الناس ، واتجهوا صوب مرجومي ، الذي استطاب فكرة ضرب الناس له ، واستخدم إموخاي كل قوته ، وكل لباقته ؛ كيما يبعد الناس عنه ويصدهم ، ولكن مرجومي تملكته الفكرة أكثر وأكثر ؛ وواصل الصراخ والتخويف والوعيد ، كما لو كان يحاول الاستيقاظ من كابوس ثقيل ، أو إن شئت فقل : من هلوسة مخيفة . كان مرجومي غاضبًا تمامًا .

ظل يردد ، مرة بعد الأخرى : ' خذوا دمي ! '

ازداد الأمر سوءا ، خاصة بعد اضطرابه واهتزازه فوق الكرسي المستدير ، الذي أسفر عن سقوطه ، وارتطام رأسه بحافة طاولة الساقي ، ثم بدأ يرفس ويتلوى على الأرض ، كما لو كانت الدنيا قد قامت للإمساك به ، فقد قام خمسة رجال بالإمساك به وطرحه أرضًا ، وبعد أن قيدوه تمامًا جاءه النادل وقال له :

' إذا لم تسكت ، أيها المخبول ، فسوف نلقي بك خارج الحانة ، وأنت تستطيع البقاء في الخارج . أنا أستلطفك ، ولكنك تجاوزت حدك . '

بدأ العرق يتصبب فى عينيه ، مما جعله يفتح عينيه ويغمضهما كما لو كان يحاول الإفاقة من الإغماء ، وبصوت يوحى بالخوف ، وكأنه طفل خانع راح يقول :

" أنا بخير الآن . "

سمحوا له بالانصراف ، ونهض واقفًا ، وأزال التراب عن نفسه ، وراح يشرب فى هدوء . نظرت إليه المرأة النحيفة بعينين براقتين . لم يتكلم الرجل ، ولم يكلمه أحد ، وربت إموخاى على كتفه ، وأسرع خارجًا من الحانة ليكون فى انتظار مجىء ديدى المحتمل .

(٣)

نظف إموخاى غرفته بعد أن عاد إلى بيته ، وغيّر فرش السرير ، وفصل ملابسه المغسولة عن ملابسه الرثة ، وراح يستمع إلى شىء من الموسيقى من راديو الترانزستور ، وراح يعد الفكة المعدنية الصغيرة التى اعتاد أن يلقى بها فى حذاء أسود . راح يتسلى بمنظومته العددية وحدد لنفسه بعض التنبوءات العرفية الخاصة بالرهان على كرة القدم فى الأسبوع القادم . كان يستمع فى آن واحد إلى الموسيقى الصادرة عن جهاز الراديو والغناء الصائتى الذى كان يصله من غسال الملابس الذى يجاوره فى السكن ، وفجأة سمع طرقة على الباب ،

قال : " ادخل ."

دخلت ديدى من الباب وهى تبتسم :

' ما علينا ، ماذا حدث لصديقك الغبى ؟ '

' لا عليك منه . الفقر يدفعه إلى الجنون . '

' إنه عنزة ، وهو شديد التباهي . ماذا يحدث لو أن جنديا صار عشيقًا لى ؟ '

' لا تفكرى فيه . انسيه . '

جلست ديدى على الكرسى الوحيد فى الغرفة .

سألته : ' لماذا لم تأتِ لزيارتى مطلقًا ؟ '

' الأمور صعبة ، والمال قليل . '

' وماذا عن المبلغ الذى أنت مدين به لى ؟ '

' سأسدده لك . '

' متى سيكون ذلك ؟ '

' حالاً '

' بلغنى أنك ذهبت إلى المستشفى من جديد . '

' انسى المستشفى . '

' كل هذا الدم . '

' انسى الدم . '

لزمت ديدى الصمت . تفحصها بنظراته ، ولاحظ أنها جلست ورجليها مفرشختان .

' أما زلت تقرئين تلك المجلات الأمريكية عديمة النفع ؟ '

' هذا أمر لا يعنيك أو يهمك . '

' تقدم نحوها وجلس على ركبتيها . كانت رائحتها طيبة . كان وجهها ممتلئًا وثدياها مستنفرين ، وشعرها معطراً ، ولكنه لاحظ أيضًا التجاعيد التى ارتسمت على وجهها بسبب المصاعب ، وجفاف الهواء ، والغبار الأحمر ، وآخر ما بلغه أنها لم تكن تتسكع وتضاجع جنديا واحداً ، وإنما كانت تأتى ذلك مع خمسة جنود ، وقالوا إنها جمعت مالاً كبيراً من تلك العملية ، وإنها أصبحت تحترف تلك العملية ، وقالوا أيضًا إنها عندما كانت تعود إلى منزلها بعد المضاجعة كانت تحس وكأن خمخمًا (كابوريا) بين رجليها . بدأ الرجال ينصرفون عنها ، كما بدأ وزنها يتزايد يومًا بعد آخر .

ولكنه كان جوعان ، وبينما كان يلمس وجهها ، أُدرك ، فجأة ، أنه لم يضاجع امرأة منذ فترة طويلة . '

' ألن تقدم لى شيئًا أشربه ؟ '

' ماذا تشربين ؟ '

قالت : ' بيرة سوداء ثقيلة . '

تناول زجاجتين فارغتين وقصد الدكان المجاور له ليبتاع منه الكحول والكيروسين ، وعندما عاد وجدها جالسة فوق السرير . كانت الغرفة حارة ، وكانت الطائرات تدوى فوق قمم الأسقف المصنوعة من الزنك الذى يعلوه الصدأ .

فتح الزجاجتين ، وسكب زجاجتها فى قدح وناولها إياه ، وهو يفرّش ما بين وركيها بكوع ذراعه ، وراح يشرب من زجاجته ، وشربت القدح كله دفعة واحدة، ثم تمددت بعد ذلك فوق السرير .

نهض إموخاى وأغلق الباب . لم تكن الرغبة بادية عليها . كانت متينة فى منطقة الذراعين ، كما أن وركيها كانتا متصلتين تماماً ، أما عنقها فكانت تطوقه حلقات من اللحم ، وعندما بدأ يتحسس جسدها تشمم الغرفة كما لو كان غريباً عليها . كان الغبار الأحمر يملأ الهواء ، واستقر على الملابس ، وفوق المصباح الكهربائى ، بل استقر أيضاً على جدران الغرفة على شكل حبيبات . لم تكن لديها رغبة الجماع ولكنه كان راغباً فى ذلك بشدة . تخيلها وهى عارية ، وتخيل أيضاً إثارته ، وأحس بنفسه وهو يتحرك داخل فرجها الدافئ الرطب ، واقترب منها ، مبتسماً، سائلاً إياها عن حالها ، وهو يقول كل شىء ، ولكنه أغوى نفسه بالوصول إلى آخر المدى ، ولم يدرك مدى جوعه الجنسى الشديد ، إلا عندما سحبت يديه وأخرجتهما من تحت تنورتها الخفيفة ، ثم أمسكت حلقه بإصبعها .

سألها وهو يبعد أصابعها عن عنقه ، وهو يدفع يده تحت تنورتها إلى مسافة أبعد ، محركًا إياها برقة ولطف بين رجليها .

دفعته بركبتها فى ضلوعه ، وفى لحظة شاهد ومضة بيضاء من ملابسها الداخلية . آلمته الركبة ولكنه كان على وشك الاندفاع هجومًا عليها ، عندما لاحظ على وجهها تعبيرًا غريبًا ليس له معنى ، كما لو كانت متناسية تمامًا كل ذلك الذى يمكن أن يفعله معها .

من هنا ، راح إموخاى يحاول التقرب إليها بطريقة التدليل والملاطفة . سألها عن أمها ، وعن عملها (كان يعرف أنها أصبحت مبتذلة) ، كما سألها عن حياتها بشكل عام . بقيت بعيدة عنه ، وراح يتحسس طريقه إليها مرة ثانية ، وهو يكتم أنفاسه ، تخوفًا من أن يتسبب ذلك التنفس فى جعلها تغير رأيها . راح يداعب بأصابعه المنطقة المحيطة بلباسها الداخلى ، وراح يداعب شفرى فرجها . أحس أنها لم تسترطب بعد ، ودون حسبان منه ، بدأ يحس بدوى الطائرات من فوق رأسه ، يبدو أن الطائرات كانت تطير على ارتفاع أكثر انخفاضًا . أدرك فى النهاية أنها كانت ما تزال جافة ولم تسترطب بعد ، وهنا توقف عن المحاولة .

سألها : ' ما الذى حدث لك ؟ '

أحس بالخوف . تخوف لأنها كانت أبعد تمامًا عن قدرته على استثارتها . حاول مرة ثانية . بقيت ساكنة بلا حراك ، وسلبية أيضًا ، ثم نظرت إليه بطرف عينيها ثم وقفت بعد ذلك .

' إذن ، فلن تعطينى النقود ؟ '

' غداً . '

' غداً عندك لا يجيء أبداً . أنا ذاهبة لزيارة أختى . '

تناولت أشياءها . حاول أن يوقفها ، وأمسك بها من الخلف وراح يقبل عنقها الغليظ ، محاولاً إعادتها إلى السرير مرة ثانية ، ونجح فى النهاية إلى إعادتها إلى السرير . كافح وهو فوقها وحاول أن يجعلها تسترخى ، ثم حاول خلع بنطاله ، ونزع تنورتها عنها ، وظلت تقاومه ، وتحاول إفقاده توازنه . حاول معها وراح العرق يتصبب منه على ثدييها العاريين . كان عرقه أحمر اللون ، وهيئ له أنه كان يتعرق دماً ، وفجأة ، وبضوضاء قوية ، وطاقة مدهشة ألقته بعيداً عنها ، ثم نهضت من السرير ، وفتحت باب الغرفة ، ووقفت فى وسط الغرفة ، واضعة يديها فوق ردفيها ، فى حين انهار هو محبطاً وراح يراقبها .

قالت : ' أنا ذاهبة لحال سبيلى . '

نزل من السرير ، وخرجت هى من الغرفة وأطلقت ساقيها للريح . تعقبها فى الشارع ، وخلف بيت الدعارة ، وخلف ورشة الميكانيكى ، وتعقبها أيضاً خلف أكوام القمامة ، ولم يتكلما مع بعضهما أثناء المسير. كانت الطائرات ما تزال تحلق فى السماء ، وتدور حول المدينة ، وكان الكبار والأطفال قد بدءوا يضيقون ذرعاً بتلك الاستعراضات .

قال بمرارة : ' إلى متى سيحتفلون بعيد مولد اللص ؟ '

' لماذا أتعبتنى هذا التعب ، يا أنت ؟ '

نظرت إليه وكأنه غريب تمامًا عليها ، وألقت الطائرة المنقضة بظلالها على ديدى ، ونظرت إلى الأعلى ، ثم نظرت إليه مرة ثانية . كانت شفتاها ممطوطتين ومحكمتى الغلق ، كما لو كان الكلام مفروضاً عليها .

' ألم تسمع عن ذلك الذى فعله الجنود فىَّ ؟ '

ارتبك إموخاى .

' ماذا فعلوا فيك ؟ '

' ألم تعرف ما حدث ؟ لقد عرف الجميع '

أدى توكيدها الكلام إلى تغيير التحريف الذى سبق أن سمعه .

قال وهى فى منتهى الضيق :

' سمعت ما حدث . '

' وهل تظن أنى مصنوعة من الخشب ؟ '

لم يقل شيئًا . كان خائفًا . كان يود العودة من حيث أتى . وفجأة كره أن يراه الناس بصحبتها ، ونظرت إليه نظرة خالية من الدفء ورأى فى عينيها شبكة صغيرة من الشعيرات الدموية الحمراء والخضراء .

قالت : ' سوف أجيء لزيارتك . '

وعندما استدارت شاهد طائرة تتقلب فى الهواء . كان المحرك قد توقف وبينما كانت الطائرة تتقلب في الهواء ، لم يلاحظ أحد أن محركها كان قد توقف بالفعل . راقب الطائرة أثناء سقوطها مبهوراً بتلك الجسارة ، ثم عاد المحرك للعمل مرة ثانية ، وانطلقت الطائرة محلقة من جديد على شكل قوس . استدار إموخاى ليرد على ديدى ، وعندما رأى بطرف عينه الطائرة وهى تهوى متحطمة فوق المنازل المصنوعة من القش، لم يصدق ذلك الذى رآه وشاهده ، سمع الارتطام وهو يتأمل أحداث الماضى . واصلت ديدى مسيرها ، متناسية تلك الأصوات الرعدية التى نتجت عن ارتطام المعدن بالبيوت والمنازل المنهارة ، ثم اختفت بعد ذلك عند المنعطف على إثر سحابة ضخمة من التراب الأحمر والدخان ، وعندما نظر إموخاى شاهد مؤخرة الطائرة بارزة من بين الأكواخ والكبائن المهدمة ، فى حين كانت بقية الطائرات تحلق فى السماء فى تشكيل جميل ، مثل طيور شهر أغسطس ، أثناء هبوب الريح .

(٤)

وفى فتره متأخرة من مساء ذلك اليوم جاءت قوات من الجنود وأيقظت سكان الشارع . جاءوا أصلاً لإزالة الطائرة المحطمة ودفن زملائهم ، وقد أصاب الجنود مس خاص فى ذلك المساء ؛ فقد طوقوا

أهل الشارع ، وكانوا يعنفونهم إذا اقتضى الأمر ذلك . وقف السكان ومعهم أطفالهم وممتلكاتهم على اختلاف أنواعها من حولهم وكأنهم لاجئون فى مدينتهم التى يقيمون فيها ، ومضت فترة طويلة قبل مجيء فرقة الإطفاء ، وقطعت الإضاءة عن المنطقة ، وقام الجنود بعملية الإخلاء كما لو كان الشارع منطقة عسكرية ، وهذه هى ماما جوى ، تولول فى كل أنحاء المكان لأنها لم تعثر على ولدها .

على شاشة التليفزيون كان الحاكم ، الذى كانت تبدو عليه الصرامة والتفكير العميق ، ويقف بجانبه كبير قضاة الدولة ، وعلى الجانب الآخر يقف الأسقف - يقوم بإزاحة الستار عن تمثال آخر لنفسه أمام جمع كبير من الناس بالقرب من مستشفى الملكة ماريا التذكارى . هذا التمثال مصنوع من خام البرونز وجرى صبه وعمله فى روما ، ولكنه لا يشبه الحاكم على الإطلاق . بعد إزاحة الستار تعالت هتافات الجمهور ، وسرت شائعة مفادها أن الحاكم جاء إلى الشارع ليرى حادث الطائرة ، وإذا كان أحد لم يَره ، وإذا كان لم يستطع فعل أى شيء إزاء ذلك الحادث الجلل ؛ فذلك يرجع إلى خصمه العنيد ، تلك الفوضى التى خلقها هو كيما يستطيع تولى الحكم . بقيت الطائرة محشورة الليل بطوله ، وبسبب الإخلاء ، وبسبب الحالة النفسية للجنود ، قرر إموخاى العثور على مكان آخر يستطيع النوم فيه .

فى تلك الليلة ، وبعد أن خلف مقتنياته وراءه مثل من يحاول أن يبدأ بداية جديدة ، ونظراً لتبخر أحلامه فى النجاح ، راح يبحث عن المرأة خلال المدينة . بحث عنها فى الحانات ، وفى بيوت الدعارة ، التى قالوا

عنها إنها يحتمل أن تكون فيها تتناول الشراب ، ومعدتها المنتفخة تهتز بفعل الضحك المفتعل . لم يعثر عليها ، وهنا قرر البحث عن مرجومى ، وفى الحانة أبلغته زوجة المدير ، صاحبة الوجه المليء بالتجاعيد ، بكل ما حدث .

حكت له عن ديدى ، وكيف أنها وهى فى الطريق إلى منزلها هبط عليها الجنود ، وعندما رأتهم يتجهون نحوها جرحت نفسها بموسى فى عنقها ، ووصلت الأخبار إلى الحانة ، وصاح مرجومى محمومًا ومكلومًا ، بأنهم يجب أن يأخذوا منه دمًا لها ؛ نظرًا لأنه هو وهى من فصيلة واحدة ، وأنهم وضعوا مرجومى فى سيارة أجرة وأسرعوا به إلى المستشفى . كانت تلك المرة الثانية التى يأخذون فيها دمًا منه فى ذلك اليوم .

اتجه إموخاى إلى المستشفى على الفور ، وعندما وصل المستشفى التقته إحدى الممرضات التى كان يبدو عليها أنها متيمة بالجنس ، وكانت متبرمة وساخطة على كل شيء تحت الشمس ، ولن تسمح له برؤية أو زيارة كلٍّ من ديدى ومرجومى . انتظر فى غرفة الانتظار فترة هُيِّئ له أنها أيام . نام ، ثم استيقظ ، وقرر القيام بنزهة سيرًا على الأقدام . صعد السلم ، فى المنطقة التى كانت الزهور الأفريقية فيها تغطى ملاعب الجولف الفاخرة . شق إموخاى طريقه إلى الغابة وقصد إلى منطقة الخفر فى المساحة التى يعتقد أن الحاكم كان له فيها بعض مزارع الماريجوانا (القنب الآسيوى) . كان الخفير أعور تأثر وجهه بفعل الطقس . نظر الخفير نظرة متفحصة إلى إموخاى ثم قال له :

' ماذا تريد ؟ '

' أريد شراء بعض الأعشاب . '

' أيه أعشاب تريد ؟ '

' الأعشاب التى تعطيك أحلاماً طيبة فى وضح النهار . '

ابتسم الخفير .

قال الخفير : ' مثلما ترانى ، فأنا لدى درجتان ، فأنا أكفأ الخفر من حيث المؤهلات فى الدنيا كلها ، ولكن هل ترانى أبرطم أو أدمدم ؟ '

قال إموخاى : ' لا . '

' أنا أجلس هنا من الصباح إلى الليل ، وأنا أحلم بأنى أخفر تلك المزارع ، وأغمض عينَىَّ عن كل ما يجرى هنا ، ولكن ، هل أشتكى ؟ '

' لا . '

' إذنْ ، اجلس . '

أجلس إموخاى على المقعد المستدير ، أما الرجل العزيز الأعور صاحب العين الحكيمة والفاحصة فقد راح يتكلم . لم يتكلم ذلك الرجل لسبب بعينه ، وإنما تكلم كما لو كان إموخاى صديقًا من أصدقائه القدامى ، خرج له من جوف الليل . تحدث الرجل العجوز عن مزرعة الدواجن التى يمتلكها الحاكم ، وتحدث أيضًا عن الفندق الذى نقلت إليه مجموعة من السيارات الفاخرة الضيوف غير المنظورين لحضور الحفلات

التى كانت تهز المدينة كل ليلة ، وتحدث أيضًا عن أولئك الذين ماتوا رميًا بالرصاص ، وتحدث أيضًا عن القبور المجهولة التى اختفى فيها أعداء الدولة ، كما تكلم أيضًا عن المزارع التى أنشئت من مال الحاكم وحمتها أيضًا أموال الحاكم . قال العجوز :

' يا ولدى ، نحن نعيش أزمانًا سيئة ، وأنا عشت حياتى وتخطيتها، وما أفعله الآن هو مجرد حلم . '

صمت الرجل برهة .

' ما هذا الذى طلبته ؟'

' بعض الأعشاب . '

' آه ، نعم . '

أحضر الرجل حزمة من ركن فى العش ، وقاس كمية من الأوراق ، ثم قال :

' إذا ألقوا القبض عليك ، فذلك هو السجن مدى الحياة ، هذا للعلم . '

' أنا أعرف ذلك . '

أخذ إموخاى الأوراق ملفوفة فى قطعة من ورق الصحف ، ثم دفع الثمن للرجل العجوز ، وانصرف لحال سبيله .

عندما رجع كانت هناك ممرضة أخرى غير الممرضة السابقة . أخبرته أن بوسعه أن يرى ديدى شريطة ألا يوقظها . كانت ديدى نائمة

فى السرير ، تعانى من نوبة الإغماء ، وتحيط بها الأنابيب من كل جانب. نظـر إليها وهى تتنفس برفق ثم بكى . لم يكن مرجومى موجوداً فى أى مكان من المستشفى . أبلغته الممرضة أنه انصرف منذ مدّة . راح إموخاى يراقب ديدى إلى أن طلبت منه الممرضات مغادرة المكان . لم يكن يرغب فى مغادرة المكان ولذلك استدعت الممرضة الحراس لإخراجه من المستشفى .

غادر إموخاى المستشفى بعد ذلك بساعة واحدة . لم تخطر بباله فكرة عن المكان الذى يمكن أن يمضى فيه الليل . راح يتجول فى المدينة المظلمة ، ومعدته تزمجر . تجول فى الشوارع التى بها احتفالات بعيد ميلاد الحاكم . انتقل من حانة إلى حانة بحثًا عن مرجومى . أخيراً قصد منزل مرجومى فى الغيتو ، فى أعماق المدينة ، وعندما وصل كان باب منزل مرجومى مفتوحًا على مصراعيه . كان مرجومى نائمًا فى سريره ، وما زال الحذاء فى قدميه . أغلق إموخاى الباب ، وأشعل شمعة ، وراح يتحسس صديقه النائم . وتعجب إموخاى من وحشية روح هذا الرجل اللطيفة . نام مرجومى نومًا عميقًا ، وشفتاه مفتوحتان ، ووجهه خالٍ تمامًا من تعبيرات الهم والأذى . كان ينام مثل إنسان اخترعوا النوم من أجله .

انتظر إموخاى على مضض استيقاظ صديقه ، وراح يتصفح الكتب المبعثرة بطريقة فوضوية على أرض الغرفة . كانت هناك كتب عن السحر، وعن الكيمياء ، وكتابة الرسائل ، وكُتب عن قراءة الطالع ، وكتب عن تحضير الأرواح ، ومرشد كامل عن قراءة الكف ، إضافة إلى

الدروس الستة عشر الخاصة بمقرر المراسلات الذى يطلقون عليه اسم تحويل الخبرة إلى ذهب .

استيقظ مرجومى من نومه فجأة ، ووجد إموخاى جالسًا على الكرسى فابتسم له . تناولا الفول المنقوع فى الماء ، دون أن يتبادلا كلمة واحدة ، وبعد أن انتهيا من الأكل أشعل مرجومى عودًا طاردًا للناموس واتجه صوب مقدمة المنزل ومعه راديو مرجومى الترانزستور ، وبينما كان يستمع إلى الموسيقى ويتأمل السماء انضم إليه إموخاى ، ودخنا سويا الماريجوانا (القنب الآسيوى) الذى أحضره إموخاى من مزرعة الحاكم السرية . راحا يدخنان فى هدوء فى جوف ليل المدينة الحمراء .

نجوم حظر التجوال الجديد

أنا لست على يقين من بداية الكوابيس التى تنتابنى ، فأنا أجدنى فى بعض الأحيان متأكداً أنها لم تبدأ عندما غادرت مدينة واو ، التى تلقيت فيها تعليمى الثانوى ، إذ لم يكن فى تلك المدينة ، فى ذلك الوقت ، أعمال لمن يحملون مؤهلاً مثل مؤهلى ، يضاف إلى ذلك أننى بعد وفاة والدى فى الحرب لم أجد من يتكفل بتعليمى إلى مرحلة أكبر من المرحلة الثانوية ، من هنا درست مقرراً فى المراسلات الخاصة بالمبيعات والتحقت بشركة من شركات التأمين . صفّت تلك الشركة كل أعمالها بعد شهرين من بداية عملى معها ، ونظراً لعدم وجود خيارات أخرى أمامى تَعيّن على أن أكسب عيشى من خلال بيع الأدوية المشكوك فيها التى تصنع محليا ، وذلك عن طريق التردد على الأسواق المختلفة ، وفى حافلات نقل الركاب التى تجوب كل أنحاء مدينة ليجوس .

لم أكن راضيًا عن ذلك العمل ، فى بداية الأمر ؛ إذ كان العائد منه غير مضمون ، فأنا لم أكن أثق بتلك الأدوية ، والأكثر من ذلك أننى شخصيا لم أستعمل تلك الأدوية ، يضاف إلى ذلك إحساس بأنى لست على صواب إذا ما أقنعت الناس بشراء تلك الأدوية ، ولكنى بعد أن طردت شر طردة من الغرفة التى كنت أستأجرها ، وبعد أن أمضيت ستة أسابيع كنت أنام خلالها تحت جسر إدو Edo سيئ السمعة ، مع الماعز ورعاة الماعز الكتومين - وجدتنى أغير رأيى ؛ فلم يكن هناك من يعبأ بجوعى وآلامى ، فلماذا يشكو الناس طالما بلغوا من الغباء حدا

جعلهم يشترون تلك الأدوية التى كنت أبيعها لهم ؟ لا تصدقهم إذا ما قالوا لك إن المعاناة تصقلك وتحسنك ، قد يحدث ذلك إلى حد ما ، ولكن فيما عدا ذلك فهى تسكرك وتصيب قلبك بالتحجر .

كابوس البائع الجائل :

بدأت أبيع الأدوية وفى داخلى ثأر خـــــاص . ابتكرت الطرق والأساليب بكل أنواعها التى تشد انتباه الناس . ارتديت لبس المهرج الذى يعمل فى السيرك . أطلقت الألعاب النارية . طورت الكثير من الرقصات المثيرة والأغانى المثيرة أيضًا التى كانت تصاحبنى أثناء حديثى إلى الناس . أنفقت كل طاقتى فى التفكير فى ابتكار حيل جديدة. كنت ألجأ دومًا إلى الممارسة العملية وأتدرب بصفة مستمرة . تملكتنى فكرة البيع تلك إلى حد أننى ، فى وقت الفراغ ، كنت أبيع للناس كل شىء وأى شىء – بدءًا بعلب الثقاب الفارغة وانتهاء بالشموع المحترقة – أدهشتنى سذاجة الناس . هُيِّئ لى أننى عثرت على مساحة واسعة جدا من الإمكانيات . أصبحت مقدمة كلامى رائعة إلى حد أن الجماهير كانت تتجمع حولى عندما أبدأ الكلام والاستعراض . كان المتجهون إلى أعمالهم يتوقفون عندما يروننى فى طريقهم ؛ كما كانت بائعات الأسواق يتوقفن دقائق معدودات وأحمالهن الثقيلة فوق رءوسهن ، يضاف إلى ذلك أن الأطفال الذين كانوا يتأخرون فى الذهاب إلى مدارسهم ، كان يزداد تأخيرهم أكثر وأكثر بسبب الوقت الذى يضيعونه فى مشاهدة ما أفعله والاستماع إلى ما أقوله .

كان يخيل إلى ، فى بعض الأحيان ، أننى نسيت مهنتى الحقيقية ، ولكنى لم أكن متيقنًا تمامًا من ذلك الذى يمكن أن يؤول إليه حالى ، وإربما فى مجتمع آخر ، وفى ظل ظروف مختلفة وزمن مختلف ، أكون ممثلاً . من الصعب تحديد ذلك ، وعلى كل حال ، نجحت العروض التى كنت أقدمها إلى حد أن الناس كانوا يتوقفون ويشاهدون ما أفعل ، ولكنهم لم يكونوا يشترون الكثير من الأدوية التى من المفترض أن أبيعها. كان الأمر غريبًا إلى حد ما ، وكان من عادة رفاقى فى المبيعات، والذين كنت أرى أنهم يغارون منى ويحسدوننى على نجاحى ، أن يداعبونى بأن يقولوا لى إننى ممثل ، وفنان ، ولست بائعًا جائلاً ، وغابت عن بالى مدة طويلة تلك المفارقة الحقيقية التى نبهونى إليها ، ولم أدرك أن هناك خطأ ما فى الطرق التى أستعملها وألجأ إليها إلا عندما هددنى المسئولون بالطرد لانخفاض مبيعاتى .

وضع رفاقى الآخرون ، على سبيل المثال ، جهدًا إضافيا فى العروض التى كانوا يقدمونها ، ولكنهم كانوا يبيعون ثلاثة أضعاف الكميات المحددة لهم . كان الأمر يبدو محيرًا . كان من بين هؤلاء الرفاق واحد ، كنت أشك فى أنه أكثر الرفاق غيرة وحسدًا ، كما كنت أشك أيضًا أنه وراء التحريض على تهديدى بالفصل ، كان من عادة ذلك الرفيق أن يبدأ حديثه بلهجة غريبة تصدر من أنفه . كان صوته يشبه الأصوات التى تنبعث من الحفلات التنكرية ، أو إن شئت فقل : حفلات المسخرة . فى بعض الأحيان ، يراه الناس رافعًا بيرقًا إلى الأعلى ، ملوحًا به ، ثم يبدأ بعد ذلك فى إلقاء مجموعة من النكت السانجة عن

البيرق الذى يرفعه إلى أعلى ، ويستثير ضحك المارة ، وقبل أن يتمادوا فى ضحكهم يتحول على الفور إلى عملية بيع الأدوية . كانت تلك الطريقة تفلح دومًا مع ذلك الرفيق . رفيق آخر ، اكتشفت أنه يستعمل تلك الطريقة المخيفة التى تقوم على دس كثير من أصدقائه بين المارة ، ليتقدموا بعد ذلك بالشراء وامتداح الأدوية ، ويشترون منها كميات غير معقولة ، والناس فى مثل هذه الظروف يعدون ذلك إشارة طيبة ، وبذلك يزيد اقتناعهم أكثر من الألعاب البهلوانية التى أقوم أنا بها .

والرجل الجائع لا يقسم الأشياء إلى أنصاف ، فقد حرصت على التعرف على زملائى تعرفًا طيبًا . كنت أتملقهم إلى أبعد الحدود . تعلمت أساليبهم الساذجة ورحت أنفذها أنا بنفسى بعد ذلك ، ولكنى لم أكن أنفذ أو أتبع تلك الطرق اتباعًا معتدلاً . بالغت فى تلك الطرق . أضفت إليها . جمعت عدداً كبيراً من المعارف ، التى تعين علىّ أن أدفع لهم أتعابًا ، كيما يندسوا بين المارة ، ثم بدأت بعد ذلك أربط ألاعيبى وحيلى القديمة مع الحيل الجديدة ، واشتهرت بين الناس كبائع جائل ، وكنت كلما بدأت عرضًا من العروض كان الناس يكملون الأبيات والسطور الافتتاحية . سارت الأحوال على ما يرام فترة من الزمن ، وانتقلت إلى سكن أفضل - أصبحت أشغل غرفتين فى الغيتو - اشتريت لنفسى ملابس طيبة ، وبدأت أفكر تفكيراً جديا فى أن يكون لى عملى التجارى الخاص بى ، والذى أقوم فيه أنا بنفسى بصناعة أدويتى المنزلية الخاصة، وأحتفظ لنفسى بالأرباح كلها . أعددت بعض الخطط ، ثم بدأت وضع تلك الخطط موضع التنفيذ . بذلت المزيد من الجهد فى عملى،

ولكنى بدأت أدرك أننى تحولت إلى ضحية لنجاحى ، بعد شىء من الوقت ، عندما بدأ الناس يألفون أساليبى ، وعندما استطاعوا كشف حقيقة بعض المتواطئين معى وتعدت عليهم بالضرب بائعات السوق ، وأبشع ما فى الأمر ، لا يتمثل فى أن بعضاً من المتواطئين معى كان يتمثل دورهم فى الاختلاط بالجماهير ويتصرفون تصرف الناس العاديين تماماً ، وإنما اتضح أنهم كانوا من النشالين الذين راحوا يستأنفون نشاطهم تحت ستار مقدرتى على تجميع الناس - كان ذلك ، هو أسوأ ما فى الأمر ، والسبب فى ذلك أنهم بعد أن ألقى القبض عليهم وبعد جلدهم كذبوا بأنهم كانوا يعملون لحسابى ، وبدأ الناس يصدقون أنى كبير النشالين ، أو إن شئت فقل : المنظم الرئيسى ، ومع ذلك ، فقد كان ذلك لا يحدث فى معظم الأحيان ، نظراً لأنى كنت أتخلص من العناصر السيئة التى من هذا القبيل ، ولكنى بقيت فترة من الزمن أعانى من صراخ الناس وسبابهم كلما ظهرت أمامهم ، بل إنهم كانوا يطاردوننى من قسم إلى آخر داخل السوق ، ومن رحمة الله أن فى الدنيا أعداداً كبيرة من الناس ومن المخلوقات البشرية ليست لهم مثل هذه الذاكرة الحادة .

هذا يعنى أنه يتحتم علىّ مواصلة تغيير الشركات المشبوهة التى أعمل معها . طوال تلك الفترة كنت أبيع أدوية خاصة بعلاج أمراض الأطفال ، وأبيع المراهم ، وأقراص الملاريا ، والدواء السائل الخاص بعلاج الحمى الصفراء والدوسنتاريا ، فضلاً عن بيع الكتب أيضاً . حافظت على أساليبى ووسائلى وداومت عليها ، وبدأت مشاكلى الحقيقية

عندما تحولت إلى بيع الأدوية الخاصة بالأمراض الجلدية المعدية مثل القراع . فى البداية أحسست بصدمة عنيفة جراء ذلك العدد الكبير من الناس الذين يعانون من الأمراض الجلدية المعدية ، ومن الدودة الشريطية ، ومن القراع ، والأكزيما . كان المرضى جميعًا من الفقراء ، والذى أدهشنى وأحزننى أيضًا أننى كنت أبيع أدوية مزيفة لعلاج الأمراض الجلدية المعدية ، بل الأدهى من ذلك أن تلك الأدويه كانت تزيد من تلك الأمراض سوءًا على سوء . جاءت امرأة ذات يوم وهى تصرخ فى السوق عندما كنت فى المرحلة الثانية من مراحل حملة البيع الكلامية، وكشفت عن ظهرها وقالت إنها لم يكن فى جسمها قبل تعاطى الدواء سوى بقعتين فقط ، ولكن البقع أصبحت تغطى جسمها كله . كان وجهها يشبه قطعة الدانتيل ، شبكة من ذلك المرض الجلدى المعدى . حاولت الإفلات منها ، ولكنها أخافتنى وهددتنى . كانت المرأة تبدو مشوهة وكأنها بنت سفاح .

بعد ذلك بثلاثة أيام جاءنى أناس آخرون ، وجوه تخفيها أو تقنعها القبعات ، ليسبونى ويلعنونى جراء مرض جلدى معدٍ انتشر فى أجسادهم عقب تناولهم الدواء الذى اشتروه منى . أخافنى تمامًا تدافع حشد من النساء اللاتى أكل جلودهن ذلك المرض . علىَّ كل يوم أن أمارس مهمام عملى . وازداد الأمر سوءًا إلى حد أننى كنت أحسب أن الناس كانوا على وشك الهجوم علىّ عندما كانوا يتقدمون نحوى لشراء الدواء ، ثم وقع لى بعد ذلك حادث مؤسف ، فبينما كنت أحقق نجاحًا فى بيع أدويتى فى السوق تقدمت نحوى امرأة ومعها أطفالها الثلاثة .

كانت المرأة تضع رباط رأس أصفر اللون فوق باروكة رثة ومهلهلة . كانت التعاسة والشقاء باديين على الأطفال ، الذين تورمت معيهم بشكل واضح لأنهم لم يكن لديهم ما يأكلونه ، فضلاً عن أن كل ما كانوا يأكلونه لم يكن مغذيًا أو مشبعًا ، الأدهى من ذلك ، أن النقود التى كان يمكن إنفاقها على إطعامهم ، ولو بشكل يسير ، استعملت لشراء الدواء. كانت الآثار الناجمة عن ذلك المرض الجلدى على شكل سيور قميئة فوق أجسادهم؛ تجعلنى لا أصدق أن ذلك هو المرض الجلدى المخيف الذى يسمونه الدودة الحلقية . هُيِّئ لى أنه ثعبان حلقى وليس دودة حلقية . مبلغ ظنى أنى صرخت عندما شاهدت تلك السيور الفظيعة على أجسام أولئك الأطفال الشاحبة النحيفة . لم تصرخ المرأة فىّ أو تلعننى ، وإنما كانت عيناها تحملان تعبيراً يوحى باليأس وقلة الحيلة . كان الأطفال يهرشون أعناقهم ، وينظرون إلىّ بعين حزينة كما لو كنت سأحدث لهم معجزة ، والذى أرعبنى وأخافنى بحق هو ذلك الأمل الذى كان يحدو أولئك الأطفال ، وهنا تملصت هاربًا تاركًا ورائى كل أشيائى ، ولم أعد قط إلى ذلك السوق لبيع أى شىء من الأشياء .

تركت ، عقب ذلك مباشرة ، العمل مع تلك الشركة واستأنفت نشاط البيع مرة أخرى مع تنظيم آخر يصنع أدوية لطرد ديدان المعدة ، ولم يكن حظى أوفر مع ذلك التنظيم منه مع الشركة السابقة . كانت منتجات ذلك التنظيم موجهة للصغار والكبار . حصلت على نقود أكثر من ذى قبل ، كما حصلت أيضًا على معدل عمولة أكبر من المعدل السابق ، ولم أتساءل عن صناعة تلك المنتجات ولم أحاول قط تجريبها على نفسى .

كان ذلك العمل بمثابة نوع من التقدم بالنسبة لى . بذلت كل ما فى وسعى ، إلى أن بدأت العجلة تدور معى من جديد . غيرت طريقة عرضى للمبيعات ، وأطلقت على نفسى اسمًا جديدًا ، بل تقمصت شخصية جديدة ، ولكن اتضح فيما بعد أن الأدوية التى كنت أبيعها لطرد ديدان المعدة بلغت من القوة حدا كانت تجعل الطفل يكاد يتغوط أمعاءه . تقدمت نحوى امرأة لم يسبق لى أن رأيتها مطلقًا وراحت تجرنى عبر الجراج (المرآب) ذهابًا وإيابًا وهى تقول إننى تسببت فى تسميم طفلها، وانهال الناس علىّ من كل صوب وحدب وهم يقولون إننى قتلت أقاربهم ، وتمكنت من الهرب من ذلك الغضب المسعور ، من باب الحظ الحسن الذى لا أستحقه .

اتضح أيضًا أن الأدوية التى كنت أبيعها كانت لها آثار جانبية خطيرة ، فقد كان الناس يأتون إلىّ وهم يشكون من تساقط الشعر ، وأن الدواء أصاب أسنانهم بالتعفن وأصاب بشرتهم بالتقشر ، واشتكى بعض آخر منهم من أن الدواء أدى إلى توقف حركة أمعائهم ، بعض ثالث قال إن الأدوية أفقدتهم أوزانهم بشكل فظيع جدا ، بعض رابع قال إنهم ازدادوا وزنًا على وزن . صادفت رجلاً قال لى إن الدواء بدلاً من أن يمكنه من التخلص من ديدان المعدة ، جعله يزداد طولاً على طوله، ثم بدأ الدواء بعد ذلك يسبب تشوه عظامه . اشتكت امرأة أن الدواء تسبب فى تصغير ثدييها . بدأت أتشكك فى أن الناس راحوا يخترعون آلامهم ، أو أنهم تناولوا عددًا كبيرًا من الأدوية الرخيصة ، أو أنهم كانوا يريدون ، وبمنتهى البساطة ، تعليق مشكلاتهم على أى شىء

نظراً لأنهم لا يجدون من يصغى إليهم ويستمع إلى شكاواهم بأى حال من الأحوال .

قررت فى النهاية ألا أبيع الأدوية التى تعالج الناس من كل شىء أو أى شىء ؛ والسبب فى ذلك أن أولئك الناس كلما تكالبوا على الشفاء والعلاج ، خلق ذلك لهم المزيد من المشكلات ، ولكن تبقى بعد ذلك الحقيقة التى مفادها أن عدم توفر الأعمال هو الذى يروج الأعمال فى مجال المنتجات التى لها علاقة بالعلاج ؛ إذ يبدو أن كل إنسان بحاجة إلى علاج لشفاء علة ما ، من هنا ، وعلى غير رغبة منى وجدتنى مضطراً إلى تغيير قرارى .

فى البداية ، وعندما التقيت رئيسى الجديد كنت على علم تماما بمدى إلحاح الكوابيس التى كانت تنتابنى . كان رئيسى الأول يدير معملاً صغيراً لصناعة الأدوية وكان يطلق عليه اسم علاج Cures بلا حدود Unlimited . كان معملاه الصغيران، وهما غرفتان صغيرتان ، مقامين على قطعة من الأرض تقع فى المنطقة ما بين غيتو أجيجنل Aje-gunle وضواحى أبابا Apapa . كان ذلك الرئيس من الرجال الذين يتعدون على أراضى الغير بدون وجه حق ، كما كان كئيب الوجه ، وله عينان صغيرتان يقظتان ، وبقدر ما رأيته فى البداية بديناً ومتيناً وجدته بعد ذلك نحيفًا . كان دائمًا يحمل مروحة من ريش الطاووس ويلبس لبسًا قوميا باهتًا ونعلة . كان لدى ذلك الريس فريق من الخريجين العاطلين ، وكان أولئك الخريجون من العلوم ومن الطب ، وكانوا هم الذين يصنعون الدواء فى معمل سرى بالقرب من منزل ذلك الريس ، كما

كان لديه أيضًا مجموعة من الفنانين الذين كانوا يصنعون له العبوات ويأتون له بالشعارات . كان هو بنفسه الذى يحدد خطوط البيع ، وكانت له سكرتيرة كان يبدو عليها أنها لم تأكل قط فى حياتها ، والتى كانت تمضى القسم الأكبر من وقتها فى إطالة النظر فى المرآة ، أما قوة البيع فكانت تضم خمسة أفراد .

يمكن القول عن هذا الريس الجديد أنه عصرى . هذا يعنى أنه يفهم روح عالم المال والأعمال فى المدينة . لقد بدأ من لا شىء ، فهو نفسه عمل فى مجال بيع الأدوية الجاهزة المسجلة تحت أسماء خاصة وتدرج منها إلى صناعة الأقراص الخاصة بالصداع، وذلك عن طريق خلط الأقراص الحالية ضمن هذه العملية ، وهو مثلى ، عانى حظه أيضًا من بيع الأدوية التى أدت إلى تقشر بشرة الناس وأثرت أيضًا على قدرتهم التناسلية ، وقد أكد لى اهتمامه بتحسين صحة الأمة المهلهلة . وإصرار هذا الريس الجديد على تناول أعضاء الشركة للأدوية التى ينتجها هو الذى أثار إعجابى به ، ومع مطلع كل صباح ، وبعد وصول العمال كان يتأكد من أن كل واحد منهم قد تناول ملعقة من الدواء قبل أن يبدأ أعماله اليومية .

كنت سعيداً بعملى مع الريس الجديد فترة محددة ، كما أعجبنى موقف ذلك الرجل المتحمس من أدويته ، وقد علمنى الجوع فى المدينة كيف أبيع كل شىء وأى شىء . ومن بين تلك الأسرار التى تعلمتها أن تعزو إلى الأدوية عدداً كبيراً من الاستعمالات التى لا يصدقها العقل ، ولكنى أثناء عملى مع ذلك الريس الجديد ، كنت أفعل ذلك من باب

الحقيقة التى علمونى إياها . وأنا لا أستطيع القطع بمدى استعدادى للوفاء بذلك الشرط الذى يتمثل فى ابتلاع تلك الأقراص صبيحة كل يوم. من بين الأدوية التى اخترعها الريس دواء اسمه كوبوكو Koboko ، ومن الواضح أن ذلك الدواء كان يشفى مرض الدودة الدائرية ، والإكزيما ، والاضطرابات المعدية ، والملاريا ، والحمى الصفراء والصداع ، يضاف إلى ذلك أن الدواء كان يقضى على البقع والبثور ، وكان يحافظ على الشباب ، ويزيد الرغبة الجنسية ، ويوفر الطاقة المستمرة اللازمة لأيام مدينة ليجوس الحارة والتى تعج بالضوضاء . هذا يعنى أنه كان دواء لكل الأغراض ، ولم يحدث مطلقًا أن سمعت أحدًا يشكو من أعراض جانبية غريبة لذلك الدواء . كان من الواضح لنا أن ريسنا كان يحدث ثورة فى تجارة الدواء ، يضاف إلى ذلك أن مندوبى مبيعاتنا كانوا ذائعى الشهرة تمامًا . كان الناس يشترون أدويتنا بكميات كبيرة ، وكنا ، فى بعض الأحيان ، نحقق عن طريق افتعال الندرة ونقص الدواء من السوق ، أرباحًا طائلة من عملية المزايدة وبيع أدويتنا لمن يدفع فيها أعلى الأسعار .

كان من المفترض أن يدخل ذلك السعادة إلى نفسى ، فقد صحى ضميرى لأول مرة فى حياتى كمندوب للمبيعات ، ولكنى ضعفت فى هذه المرة ، بصورة مفاجئة ، وانهالت علىّ كوابيسى من جديد ، مثل طوفان لا يمكن كبح جماحه أو السيطرة عليه . حدث ذلك عندما أدركت أنى أعيش مع تلك الكوابيس منذ فترة طويلة دون أن أدرى . لم أستطع النوم بعد عطلة نهاية ذلك الأسبوع ، دون هجوم على من تلك الموجة الوحشية

من الكوابيس . ساء حالى إلى الحد الذى كنت أخشى معه النوم أثناء الليل ، وامتد تأثير ذلك إلى عملى ، إذ بدأت أنام خلال النهار . كان مفترضًا أن أكون فى حاملات النقل الجماعى أثناء النهار ، إذ كان زملائى ينتظرون منى أن أبدأ الكلام ثم يندفعون نحوى لشراء الدواء ، ولكنى كنت أروح فى ثبات عميق على الكرسى الذى أجلس عليه ، متكئًا برأسى على كتفى امرأة ضخمة ومتينة من النساء اللاتى تعملن بالبيع والشراء فى الأسواق ، وذاع صيتى بين زملائى الذين يعرفون اسمى ، على أننى مندوب المبيعات النائم . وصل ذلك الخبر إلى ريسى ، الذى اضطر على أثر ذلك أن يعطينى المزيد من الأدوية . نجحت تلك الأدوية . فقد جعلتنى مستيقظًا طوال النهار ، كما ولّدت فىّ طاقات غريبة ، وإيحاءات غريبة أيضًا ، ولكنها كانت تجعل منى أثناء الليل فريسة لأحلامى القاسية المخيفة .

لم تكن كوابيسى واحدة أو متشابهة بأى حال من الأحوال ، ولكنها كانت ، مع ذلك ، عبارة عن تباينات لموضوع واحد . أذكر أن أول تلك الكوابيس بدأ بأن رأيت فى منامى أن كل ما بعته فى مجال عملى فى تلك الأدوية ، أسفر عن وفاة الآلاف من الأطفال . رأيت فى منامى أنى أهيم على وجهى فى شوارع ليجوس المخربة التى تسبح فى أضواء متوهجة ، وفى كل مكان أتجه إليه أرى الأطفال يشربون تلك الأدوية وهم يلعبون على جوانب الطرق والأرصفة ، كما كنت أتوه وأضل طريقى فى متاهة من المتاهات ، وأصل إلى مفترق للطرق ، وأتحول يمينًا أو يسارًا ، فأرى الأطفال ممسكين بزجاجات الدواء الذى أبيعه ،

ويموتون على قارعة الطريق ، وكانت تنبعث من تلك الأطفال رائحة الزفت المحترق، ولحم البشر المحروق ، كما لو كانت الأدوية أحماضًا كانت تذوب داخل أحشاء هؤلاء الأطفال . شاهدت أطفالاً يهلوسون وقد أصابهم الجنون وراحوا يهيمون على وجوههم فى الغابات . شاهدت أجساد أولئك الأطفال مكوّمة فوق ظهور سيارات النقل . كان الناس ينظرون إليّ نظرات غريبة حيثما ذهبت وأينما حللت ، وأصل إلى مفترق آخر للطرق فأرى طفلاً أمهق (*) محملاً بحُزَمٍ من الأدوية التى أبيعها . صاح ذلك الطفل عندما رآنى . جاء الناس يركضون ، طاردونى بفئوسهم . جريت حتى انقطعت أنفاسى ، وعندما سقطت أرضًا تدافع الناس فوقى وتجمعوا حولى ، وراحوا يضربوننى بعد أن أفقت مما كنت فيه ، وفى حلم آخر كان المشهد مغايراً ، فقد رأيت فى منامى أننى كنت فى ركن من أركان أحدى المجرات المجهولة ، جزء من أرض القمر يغنى فيه الموتى ويعزفون الموسيقى ، وكانت النجوم الموجودة فى السماء هى التى تجرى المزايدة عليها ، وكان يجرى بيع تلك النجوم الواحدة بعد الأخرى. كان ضوء النجمة يختفى بعد أن تباع . ولكن الغناء كان يزداد حلاوة وعذوبة . كان رئيسى ، فى بعض الأحيان ، هو المثمِّن فى ذلك المزاد – قصير القامة ، أحدب ، يشرب عدداً لا حصر له من زجاجات من مشروب الجن Guinness طوال عملية بيع النجوم – وفى بعض الأحيان كان المثمِّن هو تلك المرأة العجوز التى بعتها أدويتى عندما كنت

(*) الأمهق : هو شخص أبيض الشعر أو أشقر البشرة والشعر والعينين . (المترجم)

فى حافلة من الحافلات ، وفى مرة أخرى كان المثمن هو رجل أبيض يحمل تلسكوبًا معقوفًا .

وطوال المزاد كنت أدرك وأنا فى شدة الألم والأسى أن أولئك الذين اشتروا النجوم كانوا يدفعون أثمانها على شكل مبالغ طائلة ، أو على شكل جزء خاص من التشريح البشرى ، أو على شكل رءوس أطفال ماتوا مؤخرًا وجرى فصلها عن أجسادهم ، وبعد انتهاء اليوم ، وبعد انطفاء الأنوار فى الأفق ، ينظر المثمِّن إلى القمر من خلال نظارة مقرِّبة، ثم يضحك ، ويتمتم قائلاً :

' ذات يوم ! ذات يوم ! '

كان الغناء يتوقف ، وينظر المثمِّن إلىّ نظرة استغراب ويشير إلىّ ، وفى الحال يجرى ربطى وتكتيفى ثم يُلقى بى على البكرة والحبل ، ثم يطرق المثمن الطاولة مستعملاً فى ذلك القصبة الصغرى (*) ، وهنا تنبعث أصوات قادمة من جوف الظلام : أصوات الأثرياء المخمورين ، وهنا يقوم المثمن بدعوة رجال المال من المجرة العليا ليبدءوا المزاد ، كما يذكر أيضًا مندوبى المبيعات المطمورين الذين ينزلون عند إرادة غيرهم، والذين هم على استعداد لبيع أى شىء . كان ذلك جانبًا من ذلك الكابوس الذى ظل يلازمنى كل ليلة ، والتى كانت تبايناته وصوره المختلفة تسبب الكثير من الضيق والقلق فى الصباح . كان أصحاب

(*) القصبة الصغرى : جزء من مكونات عظم ساق الرجل فى الإنسان . (المترجم)

المال القادمون من المجرة العالية يتجمعون فى المقدمة . كانوا يمثلون كل الأعراق ، وكل الأمم ، وكل الألوان . كانت وجوههم متضخمة ، وعيونهم لا تعرف المبالاة . كانت تعبيرات وجوههم صارمة وقاسية فيما يتعلق بمصادر القوة وتكاليفها . كانوا يبرقون بأعينهم عندما ينظرون إلى . ورأيت فيهم وجه جنرال من جنرالات الجيش ، رأيت فيهم أيضًا أرستقراطيا إنجليزيا ، ورأيت فيهم أيضًا مليونيراً آسيويا ، كما رأيت من بينهم أيضًا أمريكيا من أرباب المال والصناعة (الأثرياء ينتمون إلى بلد واحد) رأيت أيضًا وجه رئيس مجرب من رؤساء اليوروبا Yoruba، الذى صُنع لباسه الوطنى من جلود الوعول . رأيت من بينهم أيضًا نائبًا أذكر أنه جاء لجمع الأصوات الانتخابية من غيتو أجيجونلى Ajegunle. (أحضر معه ثلاث سيارات نقل محملة باللبن المجفف ، واندفعت النسوة فى اتجاه السيارات ، وهن يتدافعن طلبًا للحصول على اللبن الجاف الذى سيؤدى إلى تسممهم فيما بعد) كانت عينا ذلك النائب حمراوان وفيهما شعيرات دموية ، وحملق الناس فىّ ، وأطال النائب النظر إلىّ طلبًا للانتقام . كان بعض من الريش معلقًا فى ياقته . وفى حلم من أحلامى رأيت ذلك النائب وقد بدأ يزايد بثمن بخس ، ثم اشتد أوار المزايدة ، ومع الطرقة الثانية باستعمال القصبة الصغرى ، تقدم شخص لم يسبق لى معرفته قط ، وعرض ألف نيرة مقابل رأسى ، ورأيت شخصًا آخر عرض تقديم عشر بقرات نظير رأسى ، ورأيت شخصًا ثالثًا قدم رءوس ثلاثة أطفال سبق أن ظهروا كل حسب ترتيبه ، وشخصًا رابعًا قدم أرداف مصارع شهير اختفى فى ظل ظروف غامضة،

أما جنرال الجيش فقد عرض ماكينة لصنع النقود - تلك الماكينة التى وافقت عليها فى السر عصابة السلطة الوطنية . ارتفعت الأصوات وزادت ضوضاؤها ، وهنا بدأت أفقد الاتصال بالعروض التى قدمت بعد ذلك ، وازداد صوت غناء الموتى فى أذنى ، وكدت أصرخ ، وكان المثمن يضربنى بالقصبة الصغرى ، وكنت أعود لرشدى لأرى كثيراً من الوجوه المتعرقة وهى تحملق فىّ وتطيل النظر إلىّ ، وعندما نظرت حولى ، شاهدت وجوهًا كبيرة ملطخة بالأنتيمون، أو إن شئت فقل: ملطخة بحجر الكحل ، ويطرق المثمن الطاولة للمرة الثانية ، باعنى المثمن بالفعل ، وهنا وقف جمهور الأثرياء وراحوا يصفقون ، ولم أعرف لمن باعونى ، ولا بأى ثمن ، وبعد أن توقف التصفيق سمعت طنين الطبول ، واتجه الجمع نحوى ، وهنا بدأ يحيط بى موكب من النساء اللاتى كن يغنين ترانيم جنائزية حزينة ، ويحملن ملابس من قماش الدانتيلا البراق على أذرعهن . وخلعن عنى ملابسى ، وغسلّونى بالأدوية التى كنت أبيعها ، ثم ألبسونى الملابس الجديدة ، وبينما كن يقتدننى من المجرة إلى العالم المألوف ، كان ضوء الشمس ينفذ من خلال الثقوب الموجودة فى السقف المصنوع من الزنك ، ليحرق العملة المعدنية التى كانت فى منتصف جبهتى .

بلغت مضايقة الكوابيس بى مبلغًا تعّين عليه أن أبحث لنفسى عن مخرج منها ، ترددت على الكنيسة السماوية المقدسة التى تقع على مقربة من المكان الذى أعيش فيه ، وطلبت من القساوسة أن يصلوا علىّ؛ ولكن الكوابيس بدأت تشتمل أيضًا على القساوسة ، وكذلك أفراد

" جمهور المصلين ، فضلاً عن الشخصيات الإنجيلية التي بدأت تظهر بين المتزايدين ، وتحول كابوسى إلى ثقب راح يبتلع كل خبراتى ، التى كانت تنطوى على وجوه كل أولئك الذين توجهت إليهم طالبًا منهم مساعدتى وتقديم يد العون لى ، وازداد الأمر سوءًا إلى حد أنى لم أستطع ، فى يوم من الأيام ، أن أتبين إن كنت أحيا حياتى الواقعية أم أعيش حلمًا من أحلامى ، وبدأت ، شأنى فى ذلك شأن أى إنسان من أهل ليجوس الذين اشتهروا بالكتمان والمبالغة فيه ، أتردد على أطباء الأعشاب والمشعوذين ، ورشح لى زملائى واحدًا من أطباء الأعشاب . كان ذلك الطبيب يعيش فى كوخ يقع أسفل أحد الكبارى ، وكان يحيا حياة تنقل وترحال ، حاملاً معه تعاويذه ومحاليله إلى أجزاء مختلفة من المدينة . ذهبت لزيارته وعقب دخولى إلى كوخه أخبرنى أن عينًا شريرة قد أصابتنى ، وعصّب عينىّ ثم اقتادنى إلى داخل الكوخ ، وأخبرنى أن كثيرًا من زملائى الحاسدين سحروا لى ، كما أبلغنى أيضًا باللعنات التى صبّتها علىّ جراء الضرر الذى أنزلته بهم ، وأثار فى تلك المخاوف إلى حد أننى كدت أصاب بجنون العظمة ، وبعد أن احتال على وجعلنى أدفع له أربعين نيرة ، وثمن ثمرتين من ثمار الكولا ، وثمن زجاجة من مشروب الأوجوجورو Ogogoro، وثلاث دجاجات - قال لى بطاقة مستلهمة :

" أنا أحب الأحلام المفزعة والسيئة ! أنا أتمتع بأكل تلك الأحلام ! أعطنى كوابيسك كلها ! فأنا من جامعى تلك الكوابيس ، فهى تقوينى . أعطنى كل كوابيسك فى هذه اللحظة ! "

أمسك الرجل بيدىّ ، وملأهما بحزمة من الأوراق خشنة الملَمس وبذور فلفل التمساح ، وجعلنى أمضغ تلك الأشياء ، ثم طلب منى أن أسكبها فى راحة يدى ، ثم أخذها منى عنوة ، وفك العصابة عن عينى ثم نثر شيئًا من الفلفل المطحون فى عينىّ . صرخت .

صاح قائلاً : ' افتح عينيك وأبصر ! '

لم أستطع فتح عينىّ . اقتادنى إلى الجزء الخلفى من الحظيرة ، وبينما كانت عيناى تحرقاننى ، طلب منى التجرد من ملابسى وطلب الاستحمام فى ماء يغلى كان قد أضاف إليه بول طفل رضيع ، ثم أعطانى خرقة أجفف بها جسدى وطلب منى أن أذهب لحال سبيلى . لم أستطع فتح عينىّ على امتداد ثلاثة أيام ، وتوقفت كوابيسى مدة أسابيع تعد على أصابع اليد الواحدة ، ثم بدأت عيناى تنفتحان بعدها على ذلك الجنون الذى أعيش به إلى يومنا هذا .

مندوب المبيعات صاحب الكوابيس :

بعد أسبوعين من عرض نفسى على طبيب الأعشاب عدت إلى عملى وأنا سعيد ، فقد أصبحت أنام نومًا عميقًا خاليًا من الأحلام ، فمنذ زيارتى لذلك الطبيب ، لم تتوقف كوابيسى فحسب ، وإنما توقفت عندى عملية الأحلام توقفًا تاما . ذات صباح ، استيقظت وأنا أحس بشىء من التهلل والمرح ، ولكن كان لدى أحساس مفاده أنى كنت قد شاهدت بعض الخفافيش التى تطير فى غرفتى عبر الشقوق التى فى النافذة

المصنوعة من الخشب. فتشت الغرفة ولم أجد أثرًا لتلك الخفافيش . دخلت الحمام للاغتسال واكتشفت ، كما لو كان ذلك للمرة الأولى ، أن كومة القمامة التى فى الفناء الخلفى قد تطاولت على نحو يحول بينى وبين رؤية الغابة ، وصحت فى جيرانى وصاحوا فى هم أيضًا ، وبعد أن أخذت حمامًا غادرت غرفتى إلى المكتب لإحضار الأدوية استعداداً لمبيعات اليوم التالى، وعندما رآنى الريس نادانى للحضور إلى مكتبه . كان الرجل فى حالة نفسية توحى بالبشاشة وانشراح الصدر .

قال الرجل : ' آرثر ، يا صديقى ' ، قالها وهو يبتسم ابتسامة عريضة ' لقد انتهينا بالفعل من صناعة الدواء الذى يؤدى إلى الثراء . '

سألته : ' أهذا صحيح ؟ '

نهض الرجل واقفًا من الكرسى الذى كان يجلس عليه ، وخبط على الطاولة واستدعى سكرتيرته . بعد أن دخلت السكرتيرة طلب منها أن تذهب لشراء زجاجتين من الجنى Guinness ، وبعد أن انصرفت السكرتيرة اقترب من الطاولة ، وكان يبدو عليه الانفعال والإثارة . واصل الرجل اللعب بمجموعة السلاسل الذهبية التى كان يلفها حول عنقه ، ثم تناول مروحته المصنوعة من ريش الطاووس ، ثم قال :

' تصور ، يا مندوب المبيعات النائم ، هذا الدواء يمكن أن يشفى الأرق والسهاد ، والأمراض التناسلية ، وكذلك الزهرى ، ويزيد من طول القامة ، يساعد أيضًا على زيادة الوزن أو نقصانه ، ويجعل العينين تلمعان ، الدواء الملىء بالفيتامينات والحديد ، الدواء الذى يمكن أن

يساعد على تحسين البشرة ، الدواء الذى يساعد على التخلص من ديدان المعدة ، الدواء الذى يطيل المعاشرة الجنسية ، الدواء المفيد للأطفال ، والذى يعطيك قوة تعادل ثلاثة أضعاف القوة التى تعطيها تلك الأشياء التى صنعناها إلى الآن . '

نظر الرجل إلىّ متأملاً ، ولم أعرف ما أقوله . كنت مثقلاً بالمعلومات ، واستأنف الرجل حديثه قائلاً :

' حسن ، لدينا الدواء حاليًا . سافر واحد من الغيتو لإحضار العينة، ولكننا أضفنا أشياء قليلة إلى دوائنا . وصلتنا اليوم أولى العينات . '

' هل تسمح لى بأن أفتح العينتين ، يا سيدى ؟ '

' لا ! ماذا حدث لك ؟ '

فتحت السكرتيرة زجاجة واحدة ثم انصرفت ، ونظر ريسى إلىّ وهو يهوِّى على نفسه باستعمال المروحة .

' لن تصدق مدى قوة مفعول هذا الدواء . لقد جربته أنا بنفسى وهو يحدث العجائب . عاشرت ثلاث نساء اليوم . ثلاثًا ! '

ذهب الريس خلف طاولته وأحضر عينات من أحد الأدراج وأعطانى ثلاثة صناديق صفراء عليها رسم لمصارع منتفض العضلات ، وعليه وجه عام مألوف لامرأة أفريقية جميلة ، وطفل . كان اسم الدواء دواء DRUG القوة POWER ، وكان الاسم مكتوبًا بحروف حمراء اللون على جوانب العلبة كلها ، وفوق كل أجزاء العلبة ، وفى كل فراغ متاح عليها

كانت توجد أسماء الآلام والأمراض التى يشفيها الدواء . كانت تلك الأسماء قائمة بالأمراض والآلام التى يعانى منها الفقراء . كانت توجد داخل الصناديق زجاجات شفافة بداخلها سائل أخضر اللون . حاول الريس إقناعى بشرب بعض من ذلك السائل ، ولكنى رفضت ذلك ، وغضب بعض الشيء وذكرنى بكل ما فعله من أجلى ، وهددنى أيضًا بالفصل . شربت ملعقة من ذلك السائل ، وبدا لى أنه خليط من النعناع وبعض الأوراق مرة الطعم ، ولم يحدث لى شىء .

قال وهو يستشعر الهدوء : 'انتظر يا أنت . '

عاد الرجل وجلس على كرسيه وأطال النظر إلىّ من خلف طاولته . كانت الكآبة تبدو عليه تماماً ، إذ كان وجهه يشبه وجه الكلب الإنجليزى الغريب ، وكان أنفه أفطس ، وعيناه صغيرتين ، ورأسه صغيرة أيضاً ، وعنقه غليظًا . كانت تتعلق على الحائط تقاويم ورزنامات وصفحات منزوعة من المجلات الرخيصة تحمل صور النساء عاريات الصدور وبملابس داخلية مثيرة ، كما كانت تتعلق على الجدران التراخيص التى تعطى الحق فى تصنيع الأدوية ، كما كانت هناك صور لدبلومات المبيعات ودبلومات فى الكيمياء صادرة من كليات لم أسمع عنها من قبل مطلقًا ، بل إنى لا أعرف مطلقًا إن كانت موجودة أم لا . كانت طاولة الرجل مكدسة ببطاقات المال والأعمال ، والأقلام ، والخطابات التى لم تفتح بعد ، فضلاً عن قائمة بالشركات الصيدلانية ، وكتاب عن الكيمياء ، ومعجم خاص بأعراض الأمراض ، وموسوعة صغيرة خاصة بالطب سبق أن اشتراها من أحد مندوبى المبيعات ولم يحدث أن قرأها مطلقًا ،

كما كانت على الطاولة مروحة مكتب لم تعمل مطلقًا ، فضلاً عن زجاجات البيرة السوداء الثقيلة ، وبعض الأقراص ، وعلب الأسبرين ، وأدوية الكحة ، فضلاً عن تليفون بلا حرارة ، وبعد أن أطال النظر إلىّ فترة من الزمن انتظارًا لردى عليه ، أردف يقول :

' أهذا تمام ؟ '

قلت : ' إنه ممتاز ، وقوى . '

ابتسم الرجل . عادت إليه حالة العبوس من جديد ، وصفق بيديه ، ثم نهض واقفًا ، وفتح الصناديق الكبيرة الموجودة خلف باب مكتبه ، وأعطانى خمسين زجاجة من دواء DRUG القوة POWER، إضافة إلى العدد المعتاد من الأقراص ، والأنابيب ، وزجاجات المراهم وزجاجات الفيتامينات الخاصة بالعديد من الأمراض التى أجبرت أهل ليجوس ، يومًا بعد يوم ، على الإنصات لكلامنا عن المبيعات فى الحافلات ، وعند منعطفات الشوارع ، وفى الجراچات ، وفى الأسواق ؛ ذلك الكلام الذى يجعلهم يضحون بنقودهم التى اكتسبوها بالتعب والعناء . واقع الأمر أن الريس يعرف المدينة ، يضاف إلى ذلك أنى بدأت أُسلِّم أن أدويتنا فيها شيء مؤثر نظرًا لإقبال الناس على شرائها مرة بعد أخرى دون أى شكوى . قال الريس بصوت عالٍ :

' آرثر ، يا مندوب المبيعات النائم ، استيقظ وأنصت إلىّ ! '

أومأت برأسي علامة الموافقة ، وبصوت أعلى من ذى قبل ، وبعد أن راح يحرك مروحته المصنوعة من ريش الطاووس ، وبعد أن فرد ذراعيه على نحو جعله وهو فى زيه الوطنى يشبه طائرًا وحشيا قصير العنق – قال :

' نحن ندشن هذا الدواء مصحوباً بدوى كبير ! أود منك أن تبيع كما لو كنت رجلاً مجنونًا ، بِعْ كما لو أن حياتك تعتمد على بيع هذا الدواء . أود منك أن تخلق لدى الناس انطباعًا يثير اهتمام الجمهور ، إلى أن تقف المدينة صفوفًا أمام مكتبنا يتقاتلون ويتدافعون طلبًا للحصول على هذا الدواء الجديد . هل فهمت ما أقول ؟ لقد عينت بائعين آخرين على المسار الذى تسير عليه أنت ، وسوف يقومون بعملية الحشد للكلام الذى ستقوله أنت ، وأود منك أن تستعمل كل ما عندك من حيل البيع . خذ ملعقة أخرى من الدواء . هذا صحيح ، وعندما تنتابك القوة فسوف يرون ذلك بأنفسهم ، وطوال حديثك عن الدواء تناول منه ملعقة بعد الأخرى . أعطهم الفرصة كيما يروا تأثير الدواء عليك . أود منك أن تعود إلى اليوم خالى الوفاض من الكمية التى معك ، ومن يبيع أكثر سيحصل على مكافأة . '

أطال النظر إلىّ ، ثم بدأ يُهَوِّى على نفسه . شرب شربة كبيرة من زجاجة الجنى Guinness ، ثم تناول سماعة التليفون ثم نادى سكرتيرته بصوت عالٍ تماماً .

قال لى بعد أن أرخى سماعة التليفون : ' ما الذى تفعله بجلوسك هناك ؟ '

' اخرج وابدأ البيع ! اخرج وضاعف مبيعاتك ! '

دخلت السكرتيرة ، وخرجت أنا من المكتب .

بدأ يومى بداية سيئة . كانت الحافلات مكتظة بالركاب وحركة الأجساد . كان الناس مكدسين فى ممرات الحافلة طوال الرحلة . هاهم أطفال يقصدون مدارسهم ، وتلك نساء السوق ومعهن حزم البضائع ، أولئك رجال يقصدون أعمالهم ، كل هؤلاء كانوا محشورين فى كل الفراغات المتاحة داخل الحافلة . أبواب الحافلات نفسها كانت مزدحمة بالركاب الذين كانوا يتعلقون بها ، كما لو كانت صحتهم تعتمد على ذلك. لم يكن هناسك متسع لنا كيما نتقدم ونبدأ الحديث عن مبيعاتنا ، وفيما يتعلق بى أنا ورفيقىّ فقد تعين علينا الجلوس فى أحد المقاهى ، لنحتسى البيرة الحارة ، إلى أن تنتهى ساعات الذروة . كان ذلك مجرد يوم واحد من تلك الأيام ، وهيئ لى أن ساعة الذروة سوف تستمر إلى الأبد . قررنا ، بعد أن احتسينا قليلاً من البيرة ، استئناف عملنا فى البيع تحت أى ظرف من الظروف ، وإذا ما تأخرنا إلى أن تخف حمولة الحافلات فقد لا نبدأ عملنا مطلقًا . كان الجو حارا ودارت البيرة برأسى ورحت أشعر بالنعاس . جلست فى المقهى استعداداً للتحرك ، ولكن عيناى أغمضتا ، ومال رأسى إلى الأسفل ، وفى لحظة ناعمة أحسست بنفسى وكأنى أسقط فى فراغ ، وفى قاع ذلك الفراغ شاهدت نهراً أخضر ، وربت شخص ما على كتفى ، فصحوت من غفوتى .

قلت : ' هيا بنا . '

ركبنا أول حافلة صادفناها من حافلات النقل الجماعى . كانت الحافلة ما تزال مزدحمة كالعادة . كنا مثل اللاجئين الهاربين من مدينة جرى قصفها بالقنابل . كان الجو حارا إلى درجة الغليان داخل الحافلة

وكان عرق الناس يتصبب على بعضهم بعضًا . كان الأطفال الذين تحملهم أمهاتهم على ظهورهن محشورين ويبكون . كان الركاب يتحملون ذلك الزحام بضوضاء تعبر عن التبرم والضيق . كانت تفوح من الحافلة رائحة العرق ورائحة السمك المجفف . كان من المستحيل التهرب من سوء تغذية الأطفال ، وعندما كان الركاب ينزلون فى المحطات المختلفة ، وعندما أيضًا كان الزحام يخف إلى حدٍّ ما ، كان الرجل الذى من المفترض أن يمهد لحديثى ، يجد أن بائعًا آخر قد سبقه بالكلام . أغضبنى كل ذلك . مشينا ببطء على الجسر كيما نتجاوز البحيرة . البحيرة خضراء اللون وبلا حراك . وفى عز حرارة الظهيرة كانت مياه البحيرة تشبه سطحًا معدنيا عاكسًا ، وهلت علينا رائحة الغائط قادمة من نوافذ الحافلة وقال أحد الركاب أننا تجاوزنا منطقة البحيرة التى يلقون فيها بعض براز المدينة الذى يزال أثناء الليل .

كان الرجل الذى سبق زميلى إلى الكلام ، وتكلم بطلاقة ، غريبًا علينا . كان شعر ذلك الرجل طويلاً ، ومتدليًا ، ويلبس من فوقه قبعة مطرزة تجمع بين اللون الأحمر ، والأخضر وكذلك اللون الذهبى ، حسب الناس أنه نوع من الأنواع الوطنية ، قال آخرون إنه نوع جديد من أنواع الوعّاظ . ذكرنى ذلك الرجل بالأنبياء شُعث الشعر الذين ورد ذكرهم فى الإنجيل . كان يتكلم لهجة لم نكن نفهمها فى البداية . قالت إحدى الراكبات فى الحافلة إنها سبق أن رأت ذلك الرجل فى ميدان الاستقلال وهو يفضح علنًا الزعماء الأفارقة ، ويصيح بأعلى صوته أن أفريقيا جرى الغدر بها وجرت خيانتها أيضًا ، وقال أيضًا إنها اعتنق دينًا غريبًا يلعب

فيه إثيوبى دور يسوع الجديد . ضحك بعض الناس عندما سمعوا ذلك . قال أحد الطلاب إن ذلك الرجل من طائفة الرستفاريين Rastafarian. واستهزأ بعض الناس بذلك الاسم ، وبالرغم من ذلك واصل ذلك الرستفارى وعظه . قال إننا نبيع أرواحنا ، ونبيع قوتنا للرأسماليين البيض ، وتحدث أيضًا عن أن نار يهوه Jah حق . كان يتحدث بصوت درامى ، جعلنا نلزم الهدوء ! '

' أفريقيا ! نحن نعول عليك كثيراً ! '

بدأ الرجل يعكر صفو يومى ، واستطرد يقول :

' أفريقيا ! منذ فترة طويلة اعتباراً من تبدد أحلامنا ، وبعد سنوات كثيرة من الاستقلال ، ما زال البيض يصيبوننا بأذى بالغ ! أفريقيا ! نحن نعول عليك كثيراً ! '

قال أحد الحاضرين : ' عوّل على نفسك . '

توجه ذلك الرجل الرستفارى صوب ذلك الشخص الذى تكلم وفتح عليه حديثًا طويلاً . وطوال استطراده فى الحديث كان يزداد حيوية ، وضاعت كل الآمال فى إثنائه عن الكلام . كان يتكلم لغة جارحة ، ولكنه كان يزينها بمقتطفات من الأغانى ، ولم يضيع الركاب فرصة الثناء على المغنين الجيدين ، وبالتالى كانوا يصفقون له ، وخلال توقفه عن الكلام كان شهود يهوه يقفون ويتكلمون عن الصراع بين الأمم ، أما أنا فقد ازددت غضبًا على غضب ، وواصلت الإشارة إلى رفاقى ، ولكنهم كانوا

مشغولين ومتورطين فى تلك الدراما . خطب الرستفارى فى الناس بطريقة حماسية ، معلقًا على ما ذكره شهود يهوه من سفر الرؤيا .

' استيقظى من ثباتك يا أفريقيا ! يهوه يناديك إلى العظمة ! '

توقف الرجل كى يلتقط أنفاسه ، وانتهزت الفرصة ، وبدأت كلامى ، بدون تمهيد ، عن عملية البيع . قلت بصوت عالٍ ، وبكلام صادر من أنفى أصبحت أتقنه تمامًا :

' النّكن النّذى عبنًا معه نهن النيجن نا يأتى .'(*) (قالها بصوت أخنف) .

هلل الركاب مرة ثانية .

مضيت أفضح شهود يهوه ، ثم قلت بعد ذلك إنى لم أسمع قط عن شهود يهوه ، فهل سمعوا هم عنهم ؟ قال الركاب إنهم لم يسمعوا عن شهود يهوه ، ثم قلت لهم بعد ذلك إن هناك دواء جديداً فى البلاد يعالج تسعين فى المئة من أمراض الناس ، واندفعت أسرد عليهم محتويات قائمة كبيرة ، أضفت إلى محتوياتها مرضين كانا من اختراعى وأسعفتنى بهما ذاكرتى فى تلك اللحظة . قلت للركاب أيضًا إن الدواء جرى إنتاجه بالتعاون مع كبريات الشركات الصيدلانية فى العالم . قلت

(*) قال مندوب المبيعات هذه العبارة بصوت شخص أخنف وهو يقصد بها : "الرجل الذى عبرنا معه نهر النيجر على دراجة لا يأتى" . (المترجم)

ذلك وأردفت أنه نظراً لقوة الدواء فهو غالى الثمن جدا . قلت لهم إن شركتنا قررت إنتاج ذلك الدواء بثمن رخيص حتى يتمكن غالبية أهل ليجوس من الفقراء أمثالى (ضحك الركاب) من تحمل الثمن ، ومررت العينات على الركاب كى يلقوا نظرة على الدواء ، ويستشعرون قوته العلاجية ، ويتذوقون إحساس التملك ولو لمدة ثانية . قلت لهم أيضًا إن الدواء أكثر تأثيراً من أى شىء آخر اخترعه الرجل الأبيض . قلت لهم إن الدواء من إنتاج القوى الأفريقية ، وأنه حصيلة التعاون بين أفريقيا والهند . ادعيت لذلك الدواء مزاعم غير عادية ؛ قلت إنه يعالج كل شىء بدءًا من الصداع إلى داء الفيل ، وإن بوسعهم أن يشربوه ، أو يستحموا به ، أو يدعكوا به أجسادهم ، أو يتشمموا بخاره فى ماء يغلى . قلت إن الدواء يصلح أيضًا للأطفال ولكبار السن ، وهو يعطى المزيد من القوة ، والمزيد من الحديد ، أكثر من أى دواء من الأدوية الموجودة حاليًا، وبعد أن انتهيت من حديثى بالإنجليزية ، قلت الشىء نفسه بسبع لغات وطنية مختلفة ، ثم فتحت بعد ذلك زجاجة وشربت منها شيئًا من الدواء ورحت أغنى وأطرح على الناس الأراجيز والأمثال ، فقد تملكت ذهنى قوة إيحائية شديدة ، وكدت أذهل عندما وجدت الرستفارى يتقدم نحوى، وأخذ عينة من الدواء ، ودفع ثمنها ، وفتح الزجاجة ، وتشمم محتوياتها ، وقال شيئًا عنها مفاده أنها من عمل أطفال (أبناء) يهوه فى أفريقيا ، ثم اشترى منى ثلاث زجاجات أخرى ، ودهشت لذلك التصرف ، وفتح زجاجة وأخافنى عندما شرب نصفها تقريبًا .

كـان ذلك بمثـابة الطلاء الذى يحتـاجـه ركـاب الحـافلة : احتـواء الغـريب. لو كنت قـد خططت لذلك الأمـر لما نجـحت العـمليـة من أولهـا لآخـرها ، وهنا بدأ الناس يقـبلون علىّ . اشتـرى أحـدهـم زجـاجـتين ، واشترى آخر خمس زجاجات ، واشترت امرأة أربع زجاجات . أصبحت الإثارة أمـراً لابد منه . بدأ الناس يتـدافـعون ويتسـابقـون نحـوى . كل واحد منهم كان يظن أنى أبيع أكسير الحـياة . وفى خلال لحظة ، وعن طريق المفاجأة التامة ، بدا للناس أنهم عثروا على حلول لكل مشكلاتهم. بدءوا يخـرجـون نقـودهم من فـتـحـات عـدة ومن الجـيـوب السـرية ، أمـا البـائعـات فـقـد كن يفـردن أطراف تنوراتـهن ، أو تغـصن بـأيديهن فى الجيوب العميقة فى طيات مـلابسـهن . دفعن ثمن الدواء بأوراق بنكنوت مـهلـهلة وقـديمة استـغرق فردها بضـع دقـائق كيمـا أتأكد أنها بـنكنوت حقيقى ويستعمل فى التعامل .

مـحـصِّـل الحـافلة ، ذلك الرجل الملىء بالطـاقات العـصـبـيـة ، الذى أصبح مـألوفًا لى بسبب الرحلات المختلفة ، اشترى منى زجاجتين . أتى الركاب على كل الزجاجات التى كانت بحوزتى . لم يتبق لى سوى القليل من العينات ، التى آثرت الاحتفاظ بها لنفسى ، ثم بدأت بعد ذلك فى بيع أقراص وأنابيب الأدوية الأخرى الأقل سعراً ، وتمكنت من بيعها كلها فى غمرة الاهتمام التى صاحبت دواء DRUG – القوة POWER.

كانت الحافلة تعج بالأطفال الذين يُعَيِّطون ، والباعة المتجولين الذين يبيعون بضاعتهم للركاب من النوافذ المفتوحة . وأبلغنى محصل الحافلة أن السائق أتى على نصف زجاجة من الزجـاجتين ، وهيئ له أنهـا أفضل ككحل من كونها دواءً .

قـال لى المحـصـل من باب التـآمـر : ' مـبلغ علمى أنكم تضـعـون الويسكى والماريجوانا (القنب الآسيوى) فى هذه الأدوية . '

رددت عليه بعنف قائلاً : ' هذا كذب ! '

تملك الغضب الرجل الرستفارى وراح ينتقد الزعماء الأفارقة الذين تجاهلوا معاناة شعبهم . قال الرجل إن رؤساء الولايات ، بطريقة غير شرعية ، هم وأنصارهم ومؤيدوهم فى الوقت الذى كان أفراد الشعب يموتون فيه بسبب افتقارهم إلى الاحتياجات الضرورية والملحة .

وصلنا محطة الحافلة وزاد الضجيج على أثر تدافع الركاب للنزول وتدافع بعض آخر للصعود ، وفى النهاية استأنفت الحافلة مسيرها ، ثم توقفت حركة المرور فوق الجسر . مررنا ببعض رجال شرطة المرور ، الذين كان يبدو عليهم الضعف والسقم وهم يرتدون زيهم الموحد . جاء رفاقى واقترحوا علىّ العودة إلى المكتب لإحضار بعض من الأدوية لنقوم ببيعها ثانية . وافقتهم على ذلك . زادت الحافلة من سرعتها ، وتعالت الأصوات . سمعنا ضجيج المحرك أثناء غيار السرعة . سمعنا السائق أيضا يغنى ، وأدركنا أننا دخلنا فى حرب إرادات لا معنى لها عندما بدأنا نلاحظ أن سائقًا آخر فى حافلة أخرى كان يسابق حافلتنا جنبًا إلى جنب ، الأمر الذى أودى بالسائقين إلى أن تحديا بعضهما . شارك المحصل فى ذلك السباق ، وراح يستحث سائقه ويحرضه ، طالبًا منه ألا يسمح لسائق الحافلة الأخرى - ' واحد من البوشمن فى مدينة إبيوكوتا Abeokuta- يتجاوز حافلتنا ، وراح المحصل الذى أسكره السباق يتغنى بأسماء الدلّع كلها التى أطلقها الناس عليه :

' أمو – شانجو ، أمو – إجيا ، أستاذ الطريق ، كابتن بلود ، أومو – لورى ، إياك وترك ذلك اللقيط يتجاوزك . '

زاد السائق سرعة الحافلة زيادة جنونية . كان يغير السرعة بشكل درامي ، وبقوة خشيت معهما أن يخلع ترس تغيير السرعة من مكانه . وفى محاولة من السائق لمنع الحافلة الأخرى من إضاعة الانتصار عن طريق السير أمامنا ، قام بتغيير سرعة الحافلة بقوة أشد وحيوية أكثر . أحدث تغيير السرعة صوتًا يشبه السعال الذى يصدر عن مريض مصاب بالدرن . قاد السائق حافلتنا بحيث تكون قريبة من الحافلة الأخرى . راح المحصلان يستحثان السائقين وهما يتغنيان بأسمائهما وبالأغانى . فى البداية شارك الركاب فى ذلك السباق ، ولكن صوت المحركين ، وصوت تغيير سرعة الحافلتين ، فضلاً عن السعال العميق الصادر عنهما ، أخاف الركاب وروّعهم. خبطت بيدى على سقف الحافلة، وقلت إن السائق يتعين عليه أن يأخذ الأمر مأخذًا هينًا لينًا ، وليس هناك من داع لذلك التهور وتلك السرعة ، وانضم الركاب إلى فيما أقول ، ولكن السائق استمر فى غيه مواصلاً الدخول فى السباق ، وإن هى إلا لحظة ، ظهر خلالها ذلك التسلط الشيطانى على وجه السائق ، حتى أدركت ، دون وعى منى ، أننى أصبحت أبيع الكوابيس . وعندما وقف الرجل الرستفارى مرة ثانية (مترنحًا ، ويجرجر كلماته) ليقول لنا إننا جميعًا بين يدى يهوه النارى ، سقطت قبعته من فوق رأسه ومعها خصلتى الخوف والفزع ، وفى تلك اللحظة نفسها ، احتكت الحافلة بقضبان الجسر ، وطلعت فوق الرصيف وفوق الجزء المعدنى من الجسر، وفقد السائق السيطرة عليها .

تباكى الركاب وولولوا مما أسفر عن ضوضاء وجلبة نشاز أدت إلى ازدياد الأمر سوءاً ، واصطدمت الحافلة بآخر حواجز الكوبرى الحديدية، وشقت لنفسها عنوة طريقًا خلال تلك الحواجز . اختفى المحصل ، وراح الركاب يقفزون من نوافذ الحافلة . كان هناك صراخ ، وتدافع ، وأناس مرتبكون يجرون فى كل مكان ، وهم يدوسون فوق الحُزم ، أو بقوا محصورين فى مقاعدهم ممسكين بجيرانهم . صاح طفل وسط هذا الهياج ، ومن حيث كنت أقف ، وقد وضعت حقيبتى تحت إبطى ، وفى الوقت الذى كان الناس فيه يحاصروننى ، ويعزلوننى عن زملائى - شاهدت النساء يهرولن هنا وهناك ، كما شاهدت أيضًا آثار الإصابة بالدودة الحلزونية على ظهور الناس العارية ، كما شاهدت أيضًا رءوس الأطفال وهى تتهشم نتيجة اصطدامها بأجزاء الحافلة المعدنية . شاهدت النشالين وهم يعتصرون النقود من ذلك الموقف الأليم ، كما رأيت الرستفارى وهو يتدافع ليشق لنفسه طريقًا خلال ذلك التزاحم ، وهو يمسك بخصلتيه المخيفتين المثبتتين فى قبعته . حاولت القفز من النافذة وبعينين متقدتين ، وذهن يفور بقدرات مخيفة ، رأيت البحيرة كما لو كانت لوحًا متعرجًا من الزجاج الأخضر الذى تراكم من فوقه الصقيع ، ثم أدركت بعد ذلك أن المركبة كانت معلقة فيما بين الهواء والجسر . جريت فى الاتجاه الآخر ، نحو الجزء الآخر من المركبة الذى كان فوق الجسر . كان الرجل الرستفارى يسبقنى إلى ذلك الجزء ، وهو يقرع نفسه ويصلى بصوت عال ، فلا هو بمتقدم إلى الأمام أو بفاسح للطريق. دفعته جانبًا ووصلت إلى نافذة من نوافذ الحافلة . كنت على وشك القفز من تلك النافذة ، ولكن الرستفارى أمسكنى من قميصى من الخلف .

تخلصت من يده وأفلتّ منها ، وأحسست فجأة أن الحافلة ترتفع نحو الأعلى . سمعت خليطًا من الأصوات التى ارتفعت إلى السماء ، وعندما سقطت الحافلة قفزت خارجًا من النافذة . هيئ لى أن الخرسانة كانت ترتفع لتضعنى على الأرض الصلبة . ظللت لحظة لم أرَ سوى السماء ، ثم رأيت المدينة تتهاوى وتدور وهى منقلبة . شاهدت الجسر وهو يدور من فوقى ، كما سمعت الحافلة وهى تسقط مرتطمة بالبحيرة ارتطامًا شديدًا . اندفع الهواء نحوى ، ثم جاءت موجة من المياه الخضراء لتنتزعنى بسرعة من الهواء ، وبعدها ببرهة زمنية قصيرة طفوت على السطح ورحت أعدِّل حالى . كانت الحافلة قد غرقت فى الماء. شاهدت بعض الرءوس وهى تبرز من الماء . قاومت المد وقاومت التيار ورحت أسبح فى اتجاه الشاطئ . اكتشفت قربى من تلك المنطقة التى كانوا يلقون فيها البراز للتخلص منه أثناء الليل . وصلت إلى المكان أعداد كبيرة من الناس لتقديم يد العون والمساعدة ، وكما هو الحال دائمًا فى الحوادث التى من هذا القبيل نجا السائق والمحصل ، ثم بلغنى فيما بعد أن سبعة من الركاب فقط هم الذين ماتوا غرقًا .

الهروب إلى مدينة الفضائح :

وأنا أتبين كل ذلك حاليًا بصفاء أكيد . فى ذلك الوقت كان رأسى متقدًا ، وظللت بلا نوم أيامًا عدة ، ولم أعد إلى منزلى طوال أسبوع . راودتنى خلال ذلك الأسبوع رؤى وأحلام رأيت خلالها رجال الشرطة

وهم ينقضون عليّ . لم أطالع الصحف وهمت على وجهى فى أنحاء المدينة ، حيث كنت أبيت تحت الجسور ، وأختطف الراحة تحت السماء الواسعة ، وفى عصر أحد الأيام عدت إلى غرفتى ، وجمعت مقتنياتى ، وحملتها لأضعها عند عمى فى المكان الذى يعيش فيه ، واتجهت إلى البنك وسحبت من نقودى أكبر قدر يسمح به ذلك البنك المتخلف . اتجهت إلى مرأب إدو Iddo وأنا مشوش الذهن ، ودون أن أدرى وجدتنى أستقل سيارة أجرة من طراز بيجو لتقلنى إلى مدينة واو W، التي أمضيت فيها القسم الأكبر من فترة المراهقة ، فى تعلم الكثير عن النجاة والبقاء على قيد الحياة .

صحيح أننى أتبين كل ذلك حاليًا بصفاءٍ ذهنى أكيد ، ولكن الكوابيس عاودتنى على نحو أقوى مما كانت عليه من قبل ، وظلت تتسلط على ذهنى لأنى كنت مسئولاً عن الحادث ووفاة سبعة من البشر ، وحملت معى وأنا أغادر المدينة صورة عالم بائعات السوق المتدافعات ، وصورة الأطفال الكثر الذين يعانون من سوء التغذية ، وصورة العاطلين ضيقى الصدور ، وصورة وجوه النشالين الفظة ، كما حملت معى أيضًا بعض الزجاجات من دواء DRUG – القوة POWER أملاً فى أن أصادف من يستطيع تخليص ذلك الدواء من مكوناته الخطرة .

كانت سيارة البيجو الأجرة التى حملتنى إلى مدينة واو تندفع بسرعة عالية أقنعتنى بأن الحادث الذى نجوت منه فى المدينة يمكن أن يقع لى على الطريق المفتوح . كان السائق يتفادى المنعطفات الحادة ، ويعبر الجسور الضيقة بطريقة جنونية ، كما لو كان على موعد مع الموت.

كنت كلما رجوته اللطف والهدوء ازداد هو إسراعًا ، وعندما همس لي أحد الركاب بأن النوم بادٍ في مقلتي السائق ، أسلمت نفسي لقدري ومصيري . مررنا بكثير من ضحايا الحوادث على قارعة الطريق : السيارات التي اصطدمت بأشجار على جانبي الطريق ، السيارت التي كانت تعبر الجسور بسرعة عالية جدا ، كما كنا نشاهد أيضًا الدماء المتناثرة على الصخور الموجودة أسفل أو خلف تلك الجسور ، شاهدنا أيضًا سيارات النقل التي تصادمت مع بعضها البعض ، وتشابكت وكانت محركاتها ما تزال تعمل ، شاهدنا أيضًا مركبات انقلبت أثناء سيرها . كان هروبي من المدينة بمثابة رحلة قمت بها خلال الكوابيس .

وصلنا مدينة واو W في ساعة متأخرة من المساء ، تجاوزت السيارة الأجرة بسرعة عالية المدرسة التي تربيت فيها ، ولكن رؤيتي للحقول أدخلت إلى نفسي شيئًا من الارتياح ، وفرحت أيضًا عندما رأيت عوارض مرمى كرة القدم ، ومنزل ناظر المدرسة . تغير اسم المدرسة ، وعلمت فيما بعد أن المدرسة أصبحت تحظى بالمزيد من الاحترام والوقار. كانت المدرسة في سابق عهدها مدرسة تقليدية عند أولئك الذين كتب عليهم أن يدرسوا ، في حياتهم ، أساطير الأقدمين الفظة الخاصة بالبقاء على قيد الحياة .

بعد أن وصلنا مرأب المدينة نزلت من السيارة وحجزت مكانًا في فندق رخيص أحمل له بعض الذكريات من أيام المدرسة . كان الفندق أكثر من ذي قبل ، على حد علمي ، كان الذباب في كل مكان من ذلك الفندق ، وبدأ الدهان الأحمر يتقشر من فوق الجدران ، كما كانت

مراوح الفندق بطيئة الحركة والحرارة لا تطاق ، وكانت رائحة الحمامات تصل إلى غرفتى ، يضاف إلى ذلك أن الطعام كان مريعًا ومخيفًا ، وفى البهو الموجود فى الدور الأرضى ، والذى كان يستخدم مرقصًا فى المساء ، كانت الموسيقى تنساب من مكبرات صوت غائرة . كان الرجال كبار السن يجلسون فى البهو ، بحارة سبق أن ألقوا نظرة خاطفة على جبل طارق من خلال الإسراف فى شرب الخمر ، وكانوا يتكلمون بصورة متقطعة عن كاتنجا Katanga وعن الوقت الذى أمضوه فى الكنغو يوم أن كانوا جنوداً . كانت هناك أيضًا بعض البغايا اللاتى كن فى مقتبل العمر ويتحلقن حول البهو أيضًا . علت وجوههن تكشيرة تنم عن الضراوة والشراسة ، ورحن يرقصن رقصًا حسيا مثيرًا . كان البهو خلوا من الشابات صغيرات السن . تشطفت ، واغتسلت ، ثم أكلت وشربت ثلاث زجاجات من البيرة ، حاولت النوم ، ولكن الكوابيس ظلت تنتابنى وتداهمنى ، وتباعد بينى وبين احتمال النوم والإحساس بالراحة، زد على ذلك أن البعوض الذى كان فى الحجرة أشعرنى باليأس وقلة الحيلة ، وعليه نهضت وارتديت ملابسى من جديد ورحت أتجول من نادٍ ليلى إلى آخر أملاً فى العثور على بعض من رفاقى من أيام المدرسة .

أصابنى شىء من الاندهاش عندما تأكدت أن مدينة واو W ليست سوى بلد صغير . كنت أعرف تلك البلدة دائمًا على أنها مركز للإثارة والفضائح . واقع الأمر أن مدينة واو تلك ، لها تاريخ فى تجارة الرقيق ، مدينة الأحلام السيئة ، وتحيط بها الأنهار الصغيرة وغابات أشجار النخيل ومزارع المطاط ، وقد تحولت تلك المدينة إلى مركز للإثارة بفضل

وفرة آبار الزيت فيها ، وفى كل النوادى الليلية ترى الشباب يلبسون آخر صيحات الملابس المستوردة من أمريكا ، يضاف إلى ذلك ، أن كل واحد منهم يتكلم لهجة من لهجات الدول التى على الجانب الآخر من المحيط ، وعندما سألت الناس عن أفضل الأماكن التى يمكن أن أقضى فيها الليل، أبلغونى أن نادى بوم Boom الليلى هو أبرز نوادى حياة الليل فى المدينة .

ذهبت إلى ذلك النادى ، وشاهدت فيه فرقة موسيقية لا مبالية تعزف بعض الألحان . شاهدت أيضًا الأضواء الدوارة وهى منعكسة على الجدران الخضراء . كانت المومسات فى كل مكان من النادى . كنت تحس للوهلة الأولى أنهن جميلات . شربت بصورة متدرجة ، وبتركيز . فى تلك الليلة كان من سوء حظى أن أعثر على ذلك الذى كنت أبحث عنه، فقد التقيت اثنين من زملاء المدرسة ، فقد حدث لى شىء ما عندما رأيت كلاً من تكوا Takwa وأميوكبى Amukpe. أحسست بأن الخفافيش بدأت تعود إلىّ من جديد . رآنى صديقاى وأطالا النظر إلىّ وهما يحاولان التذكر . انفجر تكوا بعد ذلك ضاحكًا ، ثم صاح مناديًا باسمى وتقدم نحوى وصافحنى فترة طويلة . خبط أميوكبى على ظهرى ، وراح يردد أسماء الدلع التى اعتادوا أن يطلقوها علىّ ، والأغانى المدرسية ، كما أتيا على ذكر بعض أحداث الماضى ، وصمما على انضمامى إليهما على الطاولة التى كانا يجلسان عليها ، ثم انصرف كل واحد منهما ليشترى طاولة مليئة بالمشروبات .

كان تكوا يعمل مدرساً . كان أبوه ، من قبله أيضاً ، مدرساً ، كما أن أولاد تكوا سيكونون مدرسين أيضاً . بعض الناس لديهم الوعى الوراثى أكثر من البعض الآخر . فى أيام المدرسة ، كان تكوا يؤلف رسائل عن كل إنسان ، بدءاً بملكة إنجلترا إلى ناظرة مدرسة البنات الكاثوليكيات القريبة من كليتنا . كان تكوا هو الإنسان المناسب فى نظر أبناء الأثرياء . كان تكوا هو الذى يخدمهم ، وهو الذى كان يدربهم قبل دخول الامتحانات ، وهو الذى كان يجلب لهم النساء ، وفى مقابل كل ذلك كانوا يوفرون له الطعام ، ويعطونه مصروف جيبه ، وكانوا ينظمون له عطلاته وإجازاته ويدفعون تكاليفها ، كما كانوا يتحملون أيضاً تكاليف ملابسه .

كان أميوكبى يمارس عملاً حقيراً فى واحدة من منصات الزيت ؛ والسبب فى ذلك أنه كان قد تسرب من التعليم يوم أن كان فى السنة الرابعة ، والعمل فى واحدة من منصات الزيت يعنى أن أميوكبى كان يكسب أكثر من أولئك الذين تخرجوا فى الجامعة ، وراح أميوكبى يعوض مسألة تسربه من التعليم تلك بحياة البذخ إلى أبعد حد ممكن . كان أميوكبى متملقاً هو الآخر لأبناء الأثرياء . كان هو الذى يدافع عنهم عندما يخطئون ، وكان هو أيضاً الذى يتحمل العقاب عنهم ، وكان هو أيضاً الذى يغسل لهم ملابسهم ، ويتحمل عنهم الضرب والإهانات والسباب واللعان ، ويقف دائماً إلى جانبهم فى النقاش والجدال ، كما كان عليه أن يتعرف أيضاً على عائلاتهم . كان أميوكبى مقامراً مدمناً ولديه الاستعداد للبقاء بلا طعام طوال أيام إذا ما خسر مخصصاته

جراء النرد ، أو إن شئت فقل : مائدة القمار ، كان من عادته التسلل أثناء الليل عبر الأسلاك الشائكة ليشاهد ذلك الذى يفعله الغربيون ، وحضور حفلات الرقص ، ومطاردة البنات ، وجاء اجتيازه للامتحانات من باب العجائب ، بالرغم من أنه ليس سرا أنه كان يحظى بمساعدة أبناء الأثرياء الذين كان بوسعهم ، فى معظم الأحيان ، شراء بعض أسئلة الامتحانات مقدماً .

عندما عاد الاثنان إلى الطاولة ، يضحكان وأيديهم محملة بالبيرة ، أدركت أنى أخطأت عندما هربت إلى مدينة واو W ، زد على ذلك ، أن هذه المدينة تتطلب ممن يعيش فيها أن يكون لديه شيئًا يبرز به نفسه ، وإذا لم يكن لديه مثل هذا الشىء فإنه يدخل فى عداد الفاشلين ، كما يتجنبه الناس تماماً ، وفيما يتعلق بى أنا شخصيا ، لم يكن لدى ما يبرز سوى تلك المجموعة الهزيلة من المراسلات الخاصة بالمبيعات ، وعدد ، يعد على أصابع اليد الواحدة ، من شهادات المبيعات الهزيلة عديمة النفع ، فضلاً عن حقيبة مليئة بالأدوية غير الطبيعية ، ورأس تسيطر عليه الكوابيس ، ورؤية لحافلة وهى تختفى فى البحيرة الخضراء .

حكى لى زميلا المدرسة قصصاً كثيرة ، تقوم على تطوير الفضائح القديمة ، ثم بدءا يطرحان أسئلة كثيرة عن نفسى . سألانى عن أحوالى، وعن كسبى لعيشى ، وعن التحاقى أو عدم التحاقى بالجامعة ، واقتضت اللياقة منى الكذب ، ومن الطبيعى أن يخرج الكذب المنمق ممن يعملون فى مجال المبيعات . قلت لهما إنى مدير فى الشركة الدولية للصناعات الكيمياوية، وإنى حاصل على درجتين علميتين ، كما قلت لهما أيضاً إن

سيارتي أصيبت في حادث ، وإني أتمتع بإجازتي . تعصب الاثنان بينما كنت أتحدث إليهما . تجملت أمامهما ، وأحسست بدفء الخيال والسرحان ، ولعبت الدور تماماً على النحو المطلوب في مدينة واو ، وقلت لهما أيضًا إنني ذاهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية عقب انتهاء إجازتي . لابد أنهما تضايقا من ذلك الغثاء ، فالمرء في مدينة واو عندما يقول إنه ذاهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، يبدو كمن يقول إنه سيقوم بزيارة للقمر ، ومدينة واو تدور – من وجهة نظر شبابها – حول أحلام الهروب ؛ فكل واحد في تلك المدينة محصور بين ألا يكون شيئًا على الإطلاق والسفر إلى أمريكا .

اتخذ الحوار بعد هذه التوضيحات ، مساراً صعبًا إلى حد ما ؛ إذ إن كل واحد في مدينة واو يود أن يكون هو الأول وصاحب المرتبة الأعلى، وهنا انصرف تكوا ليعود لنا ومعه المزيد من المشروبات ، أما أميوكبي فقد بقي صامتًا طوال فترة غياب تكوا ، وعندما عاد تكوا راحا يتكلمان عن أيام المدرسة ، وهنا نظر إليّ تكوا ، كاتب الرسائل الثمينة التي لم يحصل لها على ردود ، وسألني إن كانت لدى أخبار عن أوديه Odeh، أشعرني ذلك السؤال بالقلق وأصابني بعدم الارتياح ، وبعد ذلك أدركت مدى سوء الموسيقى ورداءتها . صليل وقع مفزع صادر عن بعض الطبول وآلات الجيتار ، أما الأضواء الدوارة فقد جعلت عينيّ تستشعران الفرح والمرح . أحسست كما لو كنت داخل زجاجة من زجاجات السائل الأخضر ، وفي ذلك الجو الذي تضفيه مدينة واو على من هم فيها كيما تجعل منهم سادة ، كان تكوا Takwa قد فتح الزجاجة

بالفعل ، وراح الاثنان يضحكان من قلبيهما . حاولت تناسى ما يحدث ، ولكن جلوسى فى نادٍ ليلى مع فرقة موسيقية تعزف موسيقى مخيفة ، ومع أناس يتنقلون هنا وهناك فى الأضواء الدوّارة ، مع شىء من الرقص (إذ إن كل من فى مدينة واو يتباهون بأنهم أفضل الراقصين فى البلاد) ، ومع مجموعة قليلة من الرجال الذين يتصارعون على النساء (فكل مناسبة عامة تنطوى على ' اقتناص ' النساء) وفى وجود رجلين يتشاجران بالقرب من "ترابيزة" الساقى - كل ذلك لم يَحُلْ بينى وبين انهيال الذكريات على مخيلتى ، ووجدتنى أعود بذاكرتى إلى ذلك العام البعيد من أعوام المدرسة ، أو إن شئت فقل : العام النهائى ، الذى ربطونى فيه إلى شجرة من الأشجار ، ورجمونى بالبرتقال التالف وجعلونى أعد النجوم طوال ثلاثة أيام .

أطفال صنّاع حظر التجوال :

كنت فى ذلك اليوم ، اليوم الرياضى بين الكليات المختلفة ، أتعس طالب من بين طلاب جيلى ؛ فقد كنت أرتدى ملابس سيئة ، وكنت قد سرقت بنطالاً قصيراً من أحد الأشخاص ولكنه كان وسيعًا أكثر من اللازم ، أما قميصى فكان مهلهلاً . كل شىء كان رائعًا فى ذلك اليوم ، وهذا هو الحشيش الأخضر قصه أولئك الطلاب الذين كانوا يتغيبون عن المدرسة بلا إذن ، عقابًا لهم على فعلتهم . كان ضوء الشمس ناصعًا فوق أوراق الشجر الأخضر ، أما مبانى المدرسة فقد أعيد طلاؤها من

جديد . أذكر أنه سحرتنى رائحة الحشيش الذى جرى قَصُّه مؤخراً .
كانت البنات اللاتى يرتدين ملابس غالية ، ينتشرن فى كل ركن من
أركان المدرسة ، إذ إن الرياضة كانت بمثابة رقصة الحب المفضلة لدينا،
واشتهر تكوا فى ذلك العام بأنه نجح فى إغواء ثلاث بنات مختلفات من
بنات المدرسة الكاثوليكية .

كنت واقفًا بجوار عارضة المرمى عندما جاءنى أوديه Odeh. كان
طويلاً مثل السلم النقال ، كما كان نحيفًا أيضًا . كان أكبر أبناء رجل
من أغنى أغنياء البلاد ، وذاع بين الناس أن والد أوديه جمع ماله عن
طريق السرقة بالإكراه بقوة السلاح ، ثم راح بعد ذلك يعمل العقل فى
استثمار أمواله ، وفى العصر الذى نعيشه يجمع الناس أموالهم بلمسة
كبيرة من لمسات المجرمين . اتجه أوديه نحوى مباشرة ، فقد سبق لى
أن ساعدته فى امتحانات عدة . كان أوديه كفيلى من الناحية المالية ،
وكانت تلك الكفالة تعتمد على حالته النفسية . كانت ملابسه من الأنواع
الفاخرة المبالغ فيها تمامًا ، فهو يرتدى بنطالاً قصيراً مصنوعًا من
الكتان ، وقميصًا من الحرير ، وصديرى أصفر ناصعًا (مصنوع فى
إنجلترا) ، وجوربًا أحمر ، وحذاء أبيض اللون ، كما كان يمسك فى يده
منديلاً حوافه مطرزة بالذهب ، وكانت تبرز من جيب قميصه رزمة من
أوراق البنكنوت فئة الجنيه ، ولو قدر لذلك اليوم أن يكون يوم رقصات
الحب لكان أوديه هو الطاووس الرئيسى فى ذلك اليوم .

عندما وصل إلى المكان الذى كنت أقف فيه طلب منى توصيل رسالة
إلى فتاة محددة ، اتضح أنها ابنة واحد من أغنى أغنياء بنين Benin ،

التى هى بحيرة أكبر من مدينة واو بكاملها . كنت خائفًا فى واقع الأمر ، ولكن أوديه تثاقل علىّ ، وهددنى بحجب رعايته لى وحمايته عنى، وجعلنى أشقى بحق من الأشقياء الذين صورهم ديكنز Dickens وكتب عنهم . كان هو ولد الثرى أما أنا فكنت عارضة المرمى . لم يكن الخيار مطروحًا على ، وأخذت الرسالة واتجهت صوب الفتاة . كانت تقف على بعد مسافة قريبة منى تدردش مع شلة من المتملقين ، ولكن آسى Assi اعترض طريقى قبل أن أصل إليها ، وآسى هو أيضًا ولد ثرى من الأثرياء ، أو إن شئت فقل : ولد الرجل الثانى من حيث الثراء فى المدينة، وبدون مقدمات أعطانى هو الآخر رسالة للفتاة نفسها ، وأعطانى هو الآخر عشرة جنيهات ، أملاً فى أن يشترينى ، وهنا جرى أوديه متجهًا نحوى ، وخطفِ الورقة من فئة العشرة جنيهات من يدى ، ومزقها إربًا إربا ، ثم أعطانى خمسين جنيهًا ، وحثنى على المضى قدمًا فى طريقى ، وينتهى الأمر بذلك . هذه هى الطريقة التى جعلتنى ضحية لصراعهما المالى ، وفيما بينهما مزقا ما يقرب من مائتى جنيه .

من الطبيعى أن يسترعى تصرفًا كهذا اهتمامًا كبيرًا ، فقد تزاحم الناس من حولنا ، وراحوا يراقبون ذلك المشهد المنافى للآداب العامة . التنافس بين الصبيين – كان أوديه طويلاً ، وكان آسى قصيرًا ومتينًا – عكس على الفور تصارع والديهما المالى الذى لا يعرف الحدود ، ففى عام من الأعوام ، وفى إحدى مناسبات الرقص العامة ، ذاع صنيت والد أوديه على أنه أغنى أغنياء المدينة ، وفى العام التالى ، وفى إحدى المناسبات المهمة ، ربح والد آسى ذلك اللقب ، وإذا ما اشترى أحدهما

سيارة من طراز رولز رويس اشترى الثانى سيارتين ، وإذا ما استورد أحدهما سيارة ستروين Citroen خاصة Special استورد الثانى سيارة مماثلة ، ولكن مزودة بكثير من الابتكارات الفخمة الجديدة ، يضاف إلى ذلك ، أن النساء اللاتى يدخلن فى مسارى هاتين العائلتين كان يتعين عليهن اتخاذ جانب واحد من الجانبين . كان الناس يوجهون إليهما تهمة التجسس على طرف لحساب الطرف الآخر ، وكان يجرى فى معظم الأحيان إغواء النساء من عائلة لحساب العائلة الأخرى ، كما كان يجرى اختطاف الزوجات فى بعض الأحيان ، يضاف إلى ذلك ، أن مدينة واو بكل مثيراتها الطبيعية والصناعية ، شهدت المعارك والصراعات المريرة بين هاتين العائلتين الكريهتين ، مما كان يزيد الطين بِلَّة فى تلك المدينة .

أذكر يومًا من أيام المدرسة جرى فيه دعوة الرجلين لترأس اجتماع مهم لجمع التبرعات . كانت المدرسة بحاجة إلى جمع التبرعات لبناء صالة للاجتماعات . لم يكن بوسع المدرسة أن تدعو واحدًا منهما دون الآخر ، وافتتح والد أوديه الاجتماع بكلمة يستنكر فيها منافسه ويقلل من شأنه . تحدث حديثًا سيئًا للغاية . كان أُميًّا وجاهلاً تمامًا ، شأنه فى ذلك شأن بقية الأثرياء ، وبعد أن انتهى من الكلام أشار إلى رجاله . حمل الرجال جوالاً أبيض ، ثم بدأ يلقى النقود من فوق الحلبة ، وراح يبذر العملات المعدنية ، وأوراق بنكنوت من فئة الجنيه على جمهور الحاضرين ، كما لو كانت النقود مجرد حيلة صغيرة من حيل الحواة . وهاج الطلبة وماجوا وهم يتصارعون على التقاط النقود التى تجرى بعثرتها ، وعندما جاء دور آسى أشار بيديه إلى الموسيقيين وراحوا

يعزفون على الأرغن ، ويلعبون على الجيتارات ، ويعزفون ألحانًا خاصة باستعمال آلات الأكورديون ، وبعد انتهاء الموسيقى من العزف ألقى والد آسى خطابًا طويلاً ، خالٍ من الاستنكار والتحقير (إذ لم يصل الأمر بعد إلى ذلك الحد) وقدم شيكًا بعشرة آلاف جنيه للمدرسة ، وهنا أعلن الناظر والمدرسون فوز والد آسى فى تلك الجولة ، أما نحن الطلبة المستفيدين من العملات المعدنية التى نثرت والجنيهات التى بعثرت فقد أعلنا فوز والد أوديه . فى ذلك الوقت الذى كانت تجرى فيه تلك المنافسات التى كانت تؤثر على كل جوانب الحياة فى مدينة واو ، كنا ننظر إلى تلك المنافسات كما لو كانت نوعًا من الخيال . لم نصدق تمامًا أن تلك المنافسات كانت حقيقية ، لم نكن نصدق أن الأمر يمكن أن يصل بالكبار إلى عمل مثل هذه الأشياء . تعلمنا بمرور الزمن ، أن أولئك الذين يمضون قدمًا فى المجتمع ، هؤلاء الذين يعلون ويؤثرون فى الأحداث ، إنما يفعلون ذلك من باب افتعال الواقع ووضاعته .

وهكذا وجدتنى أسير صور المرآة لجنون والدى هذين الصبيين . كان يجرى إقامة المباريات الرياضية اعتمادًا على البهجة والسرور اللذين يتولدان من محاولة كل من والد أوديه ووالد آسى شراء بعضهما بعضًا . بعض رفاقه فى الدراسة ، مدمنى الاندفاع والتسرع ، بدءوا بدورهم ينظمون مراهناتهم الجانبية ، وعندما وصل الصبيان الثريان إلى حد تمزيق مائة جنيه أخرى وجدتنى أصرخ فيهما طالبًا منهم التوقف . تناولت النقود التى مزقاها ، ووضعت فضلاتها فى جيبى ، وقلت لهما إن أفضل الرجال هو الذى سينتصر ، ونظرًا لأنى كنت فى وضع تمكن فيه

الاثنان من شرائى ، وضع كنت فيه أسيراً لنقودهما ، اتجهت بخطى غير واثقة نحو الفتاة وأخذتها على جنب .

كانت الفتاه طاووسة الجمع بلا منافس . كانت ترتدى حذاء مصنوعًا فى فرنسا ، كما كانت ترتدى أيضًا بنشو خفيفًا ، وبنطلون جينز مطعمًا باللؤلؤ ، وتضع ريشة من ريش أبى الحناء - ذلك الطائر المغرد - فى شعرها . من الناحية الشكلية أو الظاهرية ، لم يكن لديها أية فكرة أن كل ما يجرى هو بسببها هى . بدأت الحديث معها بمقدمة غير مترابطة أو متلاحمة ، وقلت لها إنى متنكر وإن والدى هو حاكم الولاية ، وعلى الفور ارتسمت فى عينيها ومضة من ومضات الاهتمام ، ورويت لها بعض النكات ، وطرحت عليها لغزًا لم تستطع حله ، وجعلتها تصدق أنى أذكى طلاب المدرسة ، وأننى حصلت على واحدة من المنح الفيدرالية ، عندما أعود بذاكرتى إلى الماضى أجدنى على قناعة من أن تلك كانت أول تجربة لى على طريق إعدادى مندوبًا للمبيعات ، ففى تلك التجربة بعت نفسى عن طريق طلاقة اللسان . حاولت ألا تكون متأثرة بى تمامًا ، ولكنى عندما طلبت منها مقابلتى خلال ثلاث ساعات ، أومأت لى إيماءة غير ملحوظة أو مفهومة تمامًا . كتبت لها العنوان الذى يجب أن نلتقى فيه (مكان لشقيق أكبر لصديق من أصدقائى) وحذرتها بالتزام الحرص من ولدى مليونيرى المدينة الصغيرة ، وابتسمت لتلك الملاحظة .

عدت إلى الجمع الذى بدأ يتناقص من حول كل من أوديه وآسى انتظاراً لنهاية الجولة . قلت لهما إن الفتاة بلغ بها الارتباك حدا أصبح

من الضرورى عليهما عنده أن يقدما المزيد من الدليل أو البراهين على جـدية نواياهمـا . راح الاثنان يقـدمـان المزيد من النقـود ، ولكنى استوقفتهما ، وقلت لهما إنها تريد برهانًا أكثر ذكاء ، شيئًا يحتاج إلى جهد ويستحق عناء حبهما المعلن ، شيئًا مثل قصيدة ، أو شيئًا أفضل من القصيدة كرسالة على سبيل المثال .

قلت : ' هى تود من كل واحد منكما أن يكتب لها رسالة ، وصاحب أفضل رسالة هو الذى سيكسب . '

وعلى الفور أمسك أوديه بعنق تكوا وسحبه إلى أماكن نوم الطلبة ، فى حين أمسك آسى بمدرس اللغة الإنجليزية (قد يكون من الصعب تصديق أن النقود وحدها هى التى لها مليون رائحة) مشتريًا إياه لكتابة رسالة إلى الفتاة .

بلغت من الشقاء حدا تعين علىّ معه الاستفادة من كل ذلك . عدت إلى غرف نوم الطلبة ، ورحت ألصق عددًا كبيرًا من أوراق البنكنوت المزقة ، وسرقت أيضًا مجموعة الملابس متباينة الألوان المملوكة للطلاب الآخرين ، ثم أخذت حمامًا ، وأفلحت فى أن أبدو مهذبًا تمامًا ، ثم ذهبت إلى ميدان الرياضة والتقيت الطرفين . كان خطابا الطرفين جاهزين . كانت الرسالة التى كتبها تكوا بخط اليد الجميل ، ومعطرة ومؤطرة بالورود الجافة . كانت الرسالة قصيرة ورجع فيها كاتبها إلى شكسبير ثلاث مرات ، ومرة واحدة إلى الإنجيل ، وثلاث مرات إلى كاتب إنجليزى من كتاب الإثارة ، الذى كان ذائع الصيت فى ذلك الوقت ،

ويطلق عليه اسم جيمس هادلى شيز Chase. كان خطاب مدرس اللغة الإنجليزية طويلا جدا ومعطراً أكثر من اللازم . ورد ذكر شكسبير فى ذلك الخطاب سبع مرات وبخاصة فى مسرحيته روميو وجوليت ، والملك ليـر ، وأشـار الخطاب ثلاث مرات إلى جين Jane أوسـتين Austin ، وست مرات إلى شخص لم نعرفه مطلقًا اسمه مولبير ، وأشار خمس مرات إلى بيرون Byron فى قصيدته دونجوان ، كما أشار ثلاث مرات إلى شيللى Shelley.

انصرفت لحال سبيلى ومعى الرسالتان وذهبت للقاء الفتاة فى الموعد المحدد لأشاهدها وهى تنزل من سيارة ليموزين ، واختفيت عن زملائى الفضوليين وعن المدرسة أيضًا أسابيع عدة ، فقد كان معى النقود ، وحرقت الرسالتين ، وجامعت الفتاة فى أربع غرف مختلفة فى ثلاث مدن ، وعرجنا على شاليه والدها الواقع خارج المدينة . لم تكن مختلفة عن النساء . كل ما كانت تتمناه هو التملق والإثارة ، وأرهقت نفسى فى عملية الترفيه عنها . كان جماعى معها تعويضًا بسيطًا عن كل الجهود التى بذلتها ، وعوضًا أيضًا عن الطاقة والإبداع والاختراع الذى كنت أفعله حتى أبعد عنها السأم والملل . كانت فكرة تسليتها والتسرية عنها تخيفنى أكثر من الموت بسبب الكوليرا . كانت مثل فراغ عظيم لا يشبع ، ألقيت بروحى فى داخله . نقص وزنى . اكتشفت أنها خبيثة ومخاتلة بصورة مملة . ذات صباح ، وتهربًا من طلباتها الملحة على التسلية والترفيه ، ذهبت إلى البلدة واكتشفت أن الشرطة كانت تبحث عنى . عدت إلى شاليه والدها وجامعتها فيه من جديد . لقد

كادت تسحق أضواء النهار الحية من خصيتى بفعل استجابتها المفرطة الزائدة عن الحد ، وفى الأيام التى تلت ذلك ، لم يكن أمامها ما تحكى عنه سوى تسوقها فى فصل الصيف ، فى كل من فينيسيا ، وباريس ، ونيويورك . تكلمت عن ضيقها من مسألة حضور الامتحانات ، وهى شأنها شأن كل من أوديه وآسى رسبت فى الامتحانات مرات عدة ، وبفضل وزن مساهمات والدها فى مختلف مشاريع البناء فى المدرسة الكاثوليكية أمكن استمرار قيدها طالبة فى المدرسة .

بدأت أمل كثرة كلامها . كنت أود الهروب من طبيعتها السلبية ، ومن حضورها المتعب المثير للملل . كانت مسألة الإنصات لها تشكل علىّ عبئًا ، كما كانت مسألة الإيماء بالموافقة على طلباتها تشكل على عبئًا أيضا ، والشىء نفسه ينطبق أيضًا على الضحك على النكات التى كانت تقولها ، ومع مراعاة كل نزوة من نزواتها ، كما كان علىّ عبء كبير عندما كنت ألعب دور الوغد أمامها ، وأتملقها فى كل حركاتها وسكناتها . وذات مساء فاجأتنى بأن سألتنى ، وذلك من باب الإشارة إلى التصنع والتكلف ، إن كنت أود نسخة من أسئلة امتحانات الشهادة المدرسية القادمة . إرضاءً لها ، قلت إنى أود ذلك ، ولم أفق قط من خيبة الأمل التى أصابتنى ، ولا من تبدد أوهامى العشوائية بل والرقيقة أيضاً . أخذت صوراً من الأسئلة وفى الصباح هربت منها . كنت أمر فى سيارة أجرة بالقرب من حرم المدرسة عندما رآنى بعض أتباع أوديه Odeh وأعوانه . بدءوا يطاردوننى ، وأمسكوا بسيارة الأجرة فى وقفة من الوقفات المرورية ، وسحبونى من السيارة الأجرة ، واقتادونى عائدين بى

إلى غرف نوم الطلبة حيث قدمونى للمحاكمة ، ومن الطبيعى أن يثبتوا أنى كنت مذنبًا ، وربطونى إلى شجرة من الأشجار وراحوا يرمونني بالبرتقال المتعفن ، وبقيت على ذلك الوضع طوال الليل . رحت أعد النجوم ، وكررت عدى لها ، ولم يتركونى إلا بعد أن قدمت لهم أسئلة الامتحان القادم ، ولكن بعد ذلك بأيام قلائل ، وبينما كنت فى أحد النوادى الليلية ، وقعت فى أيدى عصابة آسى ، وفى هذه المرة تباروا جميعًا حول من سيستطيع أن ينزل بى أكبر قدر من العذاب والتدمير ، ورحت أعد النجوم على امتداد ثلاثة أيام .

الكابوس ، الإعداد للطقوس :

استمر كل من تكوا وأميوكبى ، غير مهتمين بالتسلسل ، فى رواية القصص عن هروبى بمختلف أشكاله . اتجهت نحو الساقى لأشترى لنا بدورى بعضًا من المشروبات ، وواصل الاثنان الحديث عن زملائنا فى المدرسة وعن أحوالهم وما صاروا إليه ، أحدهم دخل السجن لأنه عمل في تهريب الكوكايين ، وواحد آخر أصبح كاتبًا ، وثالث كان لاعبًا لكرة القدم . كان من بين زملائنا شخص كنا نحسب أنه سيدخل العمل فى مجال السينما ، ولكنه الآن يدير بيتًا للدعارة فى ليجوس ، زميل آخر أعيد أسيرًا للوطن بعد إلقاء القبض عليه عندما كان يحاول الهرب على ظهر أحد المراكب المتجهة إلى أمريكا . أوديه أصبح محاميًا ، وراجت شائعة مفادها أن أوديه اشترى درجته العلمية من كلية مزورة فى

إنجلترا . أصبح آسى محاميًا أيضًا ، وقد اشترى درجته هو الآخر – درجته العلمية – ظلت الصراعات قائمة بين العائلتين ، وفى كل عام كانت الأسرتان فى مناسبات الرقص الشعبية المهمة ، تنثران النقود ، وكان المتيمون بالقيل والقال يتناقلون أخبار الشيكات وأخبار التبذير فى مثل تلك المناسبات . أبلغنى تكوا أن القضية المرفوعة بين العائلتين حول قطعة كبيرة من الأرض ، ما تزال فى انتظار كلمة القضاء فى المحاكم ، وأبلغنى أيضًا أن تلك القضية دائرة منذ خمسة عشر عامًا ، وقيل أيضًا إن العائلتين اشتريا قضاة ومستشارى البلدة ، غير أنه لم يكن هناك سليمان ليجد لهاتين العائلتين مخرجًا من ذلك الطريق المسدود .

واصل زميلاى الكلام ، وواصلا أيضًا استعراض السنين ، وازددت أنا قنوطًا ويأسًا . جاءت بعض الفتيات للانضمام إلينا وانتعشت أنا ، لذلك حاول كل من تكوا Takwa وأميوكبى إثناء عزمى ، إذ كنت بدأت التفكير فى الهرب من النادى الليلى عندما أبلغنى تكوا أن العرض الشعبى القادم لاستعراض الثراء سوف يقام فى غضون أيام قلائل . وبدأت البيرة التى شربتها والتى تصنع فى مصنع لإنتاج البيرة يملكه والد آسى – تدور برأسى وتحرك خفافيشها . اندفعت نحو دورة المياه حيث تقيأت ، عدت متوازنًا ولكنى كنت أحس بالبؤس والتعاسة إلى حد ما ، فقد وزعن البنات أنفسهن ولم أحصل على إحداهن ، وواصل تكوا حديثه فقال :

" سيكون ذلك الاستعراض أثقل الاستعراضات التى أقيمت إلى يومنا هذا ، وإذا ما حضرت ذلك الاستعراض فلابد أنك لن تغادر المكان

إلا ومعك مئات النيرات في جيبك . لابد أن تحاول الحضور . يجب أن تتغاضى عن كرامتك واحترامك ، وسواء أكنت مديراً أم خفيراً ، ينبغى ألا تترك تلك المناسبة تفوتك . '

أومأت برأسى علامة الموافقة .

ثم أبلغنى بعد ذلك أن أوديه كان فى البلدة .

' إنه يركب سيارة من طراز رولز رويس حاليًا . '

همست لى خفافيش ذهنى بأنه يتعين على مغادرة المدينة ، والعودة ثانية إلى مدينة ليجوس ، وأبحث لنفسى عن عمل آخر ، وواصلت الشرب وأنا أستمع إلى صخب هذين الزميلين ، وعندما بهت نظرى إلى الحد الذى أصبحت أرى عنده الناس خضر اللون فى كل مكان من المرقص ، قررت العودة إلى الفندق . كنت مخموراً تمامًا ، وعندما وصلت الفندق لم يطرق النوم جفونى ، إذ راحت كل المومسات ذوات الطلعات غير المريحة ، تُلحن على بالأسئلة والطلبات إلى أن نفد صبرى ، وبعد أن أخذتنى سِنَة قصيرة من النوم تسلط على كابوس من شكل آخر ، فقد كان المزاد يجرى لا فى مجرة بدون اسم ، أو مجهولة الاسم ، وإنما فى البلد كله ، إذ كان يجرى بيع أجزاء من جسمى ، وعندما كان أحد يشترى جزءاً من جسمى كان المثمن يطرق الطاولة . اشترى أوديه ذراعىّ ، وتفرج آسى على رجلىّ ، ثم حصل عليهما فى النهاية ، واشترى الرستفارى أُذُنىّ ، واشترى تكوا عينىّ ، أما أميوكبى فقد اشترى فمى ، وفتح المثمن المزاد لتقديم عروض أسعار على جزء معين

من جسدى ، وهنا صرخت ، وهنا تقدمت إحدى المومسات التى كانت ترتدى زى أميرة ، وغسلت خصيتيّ بالكيروسين ، كانت على وشك إيقاد النار فيهما وعندها ظهر ريسى على المسرح ، وهنا انسحبت المومس .
قال الريس أنه عفا عن هروبى وسامحنى ، وقال إن الناس بدأت تفهم بحق كيف تجمع المال فى وقت المتاعب .

قال الريِّس : ' كلما زادت جرائمك ، ازدادت أيضًا مخاطرك . '

أبلغنى الريس أنه افتتح شركة أكبر من الشركة الأولى ، وأنه يتعين عليّ أن أصبح مندوب مبيعاته الأول والرئيسى ، وسألته عما سأبيعه . ابتسم الريس وقدم لى نسخة مشطبة من دواء DRUG القوة POWER. تغير لون السائل . تحول إلى اللون الأزرق الغريب الناتج عن بعض الأحماض. ناولنى بعضًا من الدواء كى أشربه . شربت الدواء وبدأت أذوب ، وعندما استيقظت فى الصباح ، شاهدت ستة خفافيش تطير على شكل جناح خارجة من نافذة غرفتى . فى البداية ، ظننت أن تلك الخفافيش كانت ملائكة .

صُنَّاع الواقع :

حضر تكوا لزيارتى فى الفندق فى فترة المساء ، وأبلغنى أنه أفلح فى مقابلة أوديه وأنه قادم ليصحبنى إليه ، وحذرنى تكوا كى أكون مستعداً لحدوث بعض المفاجآت ، وركبنا سيارة أجرة إلى أوجوسو -Ogu so لودج Lodge ، المنزل الذى تعيش فيه عائلة أوديه . كان المبنى ينم

عن ذوق راق ، عامر بأبهاء الأعمدة ، والرُّف ، والتماثيل . كانت تحجب المنزل عن الشارع صفوف من نباتات السرخس ، والنباتات ذات الأوراق ناصعة الألوان ، وكذلك الزهور الاستوائية . كانت هناك أيضاً أشجار اللبلاب تتسلق الجدران . كانت الجدران مغطاة بستائر موشاة بالقصب. كان هناك سبعة حراس أمام بوابات المنزل وتقف كلاب الحراسة فيما بينهم ، وعندما وصلنا المنزل اتصلوا بأوديه تليفونيا . وظهر أوديه في إحدى الشرفات وأشار إلينا بيديه للدخول . كان الباب الرئيسي مصنوعًا من خشب البلوط الثقيل الباهي . كانت سماعة الباب مصنوعة على شكل محارب مخيف . سمح لنا أوديه بدخول أروع وأفخم منزل رأيته في حياتي . كان السقف يتدلى منه الثريات ، كما كان هناك ثلاثة ببغاوات في ثلاثة أقفاص ، وكان مكيف الهواء يصدر صوتًا لطيفًا ، كما كانت الجدران مجلدة بالمرايا . كانت الأرائك منجدة بقماش ذهبي اللون، أما "الترابيزات" فكانت مصنوعة من الزجاج الأزرق . كانت الأرض مفروشه بسجاد بلغت فخامته حدا جعلني أدوس عليه بأطراف أصابعي ، صعدنا إلى الطابق العلوي . كانت في ذلك الطابق صور ضخمة لوالد أوديه وهو يرتدي جلد الفهد ، وهو يصافح أناسًا من مختلف المناصب والمشارب مثل رئيس الدولة ، ورئيس وزراء إنجلترا ، وواحد من رجال الأعمال اليابانيين . كانت جدران المنزل مبطنة باليقطين وتعلق فوقها الأقنعة والتعاويذ السحرية ، ورأس أسد محنطة كانت تطيل النظر إلينا أثناء دخولنا غرفة الأستقبال الرئيسية ، وفي المنزل من الداخل كانت هناك معدات خاصة بالتنكر ، تحيط بها عروش من الورود كما كانت هناك أيضًا سيوف وخناجر ، وتروس ، ودروع ، وسكاكين وبنادق كلها

موضوعة داخل دواليب معلقة على الجدران . كانت الغرفة تشبه المتحف. كانت وسيعة بشكل لا يصدقه عقل - كانت خالية من الإحساس بالتزاحم والازدحام . فى ركن من الأركان شاهدنا كرسيا هزازًا ، وفى ركن آخر شاهدنا رفا خماسيا . وشاهدنا أيضًا أقفاص طيور جميلة ، خالية من الطيور ، معلقة فى كل مكان . كانت هناك طاولات مصنوعة من خشب الزان ، منحوتة على شكل مقاتلين أو على شكل فيلة فى حالة تأمل . أدخلنا أوديه الغرفة ، ثم استدار إلىّ مبتسمًا . كان أوديه هو الآخر قد أطلق لحيته ، وبذلك بدا صورة مكبرة من والده تمامًا .

قال أوديه وهو يضحك : ' أنت قصير مثلما أنت دومًا . بعض الناس لا يكبرون مطلقًا .'

قلت : ' وأنا بحاجة إلى تلسكوب كى أراك .'

طلب منا الجلوس . جلسنا بحرص وحذر على حافة الأرائك ، ولكنه لم يجلس وظل واقفًا متشامخًا علينا . أمضى الوقت كله يتحدث عن نفسه ، ولم يقدم لنا شيئًا نشربه . استنفر فينا منظر دوارق الخمر ، وزجاجات الشمبانيا ، وزجاجات الويسكى الموجودة داخل الدولاب المصنوع من الزجاج - إحساس العطش ، وبدا عليه أنه يتذكرنى تذكرًا ضعيفًا . لم يسألنا سؤالاً واحدًا عن أحوالنا . تحدث عن الوقت الذى أمضاه فى إنجلترا وعن البنات البيضاوات اللاتى خرج معهن ، وأحضر لنا ألبومه المرعب المخيف الذى يحفظ فيه الصور وجعلنا نتصفحه . تكلم أيضًا عن الشركة المملوكة لوالده ، التى يشغل هو فيها منصب المدير

الإدارى فى الوقت الراهن ، كما تكلم أيضًا عن المنافسة المالية القادمة وكيف أنهم سيدفنون المدينة ويغرقونها بالنقود ، وبينما كان يتحدث إلينا كان يداوم الصياح مصدراً التعليمات للسائقين ، وللخدم ، وللحرس الخاص ، وتناهت إلينا روائح الطبخ الشهى قادمة من خلال بئر السلم ، وسال لعابنا أثناء حديثه ، الذى لم يتوقف أو ينقطع طوال ساعة بكاملها، ولم يتوقف إلا عندما سمعنا صوت الرقص والأصوات النشاز التى تناهت إلينا قادمة من الشارع . اتجهنا إلى الشرفة وشاهدنا الناس يجرون هاربين فى اتجاهات مختلفة فى الشارع الخلفى.

كانت الشراسة ظاهرة على وجوه الراقصين . كانت عضلاتهم بارزة ، ويلفون جلود الحيوانات حول خصورهم ، ويعلقون ريشًا فى شعورهم ، ويلفون تعاويذ الأسحار حول أعناقهم ، ويلفون سوارات حول أذرعهم . كانوا جميعًا يحملون فئوسًا فى أيديهم ، بعض آخر منهم كان يحمل رماحًا . كانت وجوههم ملطخة بالأنتيمون ، كما كانت أجسادهم مغطاة بالطباشير المحلى وبدم الحيوانات . كان زعيم الراقصين الدينيين يرتدى فوق رأسه رأس أسد مرعب لها حواف مذهبة . أمسكوا بالدجاج الحى وراحوا يرقصون بشدة وحيوية أمام المنزل ، ويغنون ويصلصلون باستعمال فئوسهم ، التى كان الشرر يتطاير منها، وعندما أصدر لهم أوديه إشارة بمروحته قفز أولئك الراقصون الدينيون وراحوا يتغنون بشىء ، ويقضمون رءوس الدواجن ، ثم يلقونها على الأرض . رقصوا رقصًا طائشًا وسمحوا لدم الدواجن أن ينساب عليهم ، وراح الدجاج مقطوع الرءوس يرفرف ، وراح الراقصون يشقون طريقهم ، وبإشارة

ثانية من أوديه اندفعوا فى الشارع ، وهم يلوحون بفئوسهم تلويحًا يوحي بالقتل . جروا خلف الدراجات ، وجروا خلف الأطفال ، وطاردوا النساء . وخلال دقائق قليلة خلى الشارع تمامًا ، فقد تبعثر الراقصون فى جميع الاتجاهات ، وهم يطرقون الأبواب باستعمال فئوسهم ، ويخدشون حصاها المقطرن ، ويرددون أغانيهم الطقوسية المخيفة .

قال أوديه لنا إننا يتعين علينا البقاء فى المنزل إلى أن تحضر لنا سيارة خاصة . سألته عن سبب ذلك ، فوجدته يحملق فىّ ويطيل النظر إلى على نحو لا يصدقه عقل . ضحك تكوا ضحكًا عصبيا ، ثم قال وهو يهز رأسه موافقًا فى اتجاهى :

' لا تؤاخذه . فى اعتقاده أنه طالما يعمل مديرًا فى ليجوس ، فبوسعه ، إذن ، أن يفعل ما يحلو له هنا فى مدينتنا . '

هز أوديه رأسه .

قال : ' من الخطر الخروج حاليًا ، أيها الأحمق . هذا حظر غير رسمي للتجوال ، وسوف يشتبك أعوان والدى مع أقزام آسى ، ولا أحد يستطيع التنبؤ بما يمكن أن يحدث . '

أضاف تكوا :

' كل إنسان فى المدينة يعرف حقيقة الأمور . '

لم أقل شيئًا خلال برهة من الزمن ، وآثر تكوا البقاء فى المنزل . لو أن تكوا لم يسخر منى ، ولو أنه لم يذكر أوديه بذلك الذى فعلته منذ سنوات ، ولو أنهما لم يتآمرا علىّ وجعلانى أحس بإحساس الغريب ، لو أنهما لم يفعلا كل ذلك وهم يعرفون حق المعرفة أنى كنت محجوزًا فى أوجوسو لودج - لما اتخذت القرار الذى اتخذته مطلقًا ، ولكنى بدأت أفكر أنه حتى لو كان الراقصون فى الشارع خطيرين فلابد من الانصراف ومغادرة منزل أوديه . ربما كان ذلك عنادًا من جانبى ، ولكنى أحسست أن نشاطاتهم الدينية لا شأن لها بى إطلاقًا ، وبفرض أن الفريقين اشتبكا مع بعضهما فكيف لى بضمان سلامتى فى منزل أوديه إذا ما بدأت الجماعة المعادية الهجوم عليه ؟ خلاصة القول أننى كنت فى منزل واحد من صُنَّاع الرعب فى المدينة ، ولذلك قررت مغادرة المنزل ، ووجدتنى غارقًا إلى أذنىّ مع أهلنا الأقوياء ، ومع سياسيينا ، ومع حُكَّامنا الذين ينظرون إلى توجههم الدينى باعتباره وسيلة من وسائل نشر نفوذهم وتوسيعه ، كما سئمت أولئك الذين يصنعون لنا الواقع ، ويحيطون أنفسهم بالخوف .

قلت : ' سأنصرف لحال سبيلى ، ويسعدنى أن أراك مرة ثانية يا أوديه . لقد تغيرت كثيرًا . '

ابتسم وحذرنى من جديد أن مغادرتى للمنزل فى ذلك الوقت أمر لا يتصوره عقل . ودعتهما ثم انصرفت .

ولم أدرك الطابع الجديد لذلك المكان الذى سبق أن نسيته ، إلا عندما كنت عائدًا فى طريقى إلى الفندق ، مستشعرًا خواء تلك البلدة

العجيب ، ومستشعراً الظلام أيضًا وهو يزيد الهواء كثافة على كثافته ، ومتذكراً مغامرات أيام المراهقة فى شوارع ذلك البلد . كنا ، منذ سنوات مضت ، عائدين من مباراة من مباريات كرة القدم ، واختصرنا الطريق بأن سرنا خلال الغابة ، وفجأة سمعنا قرع الطبول . سمعت تلك الطبول وأنا أسير فى شوارع البلد الخالية من الناس . كان قرع الطبول مستمراً وملحًا ومقبضًا للصدور . كان الناس يتكلمون عن الخوف ، وعن الوفاة وعن التضحية ، وهنا تذكرت أنه فى مثل هذا الوقت من كل عام ، بعد انقضاء موسم رياح الهارمتان ، وبعدما تملأ الأمطار الأنهار ، وتجرف الأكواخ ، وتقبض على الأرض العطشى وترويها ، هنا يقوم أهل التقاليد الدينية بممارسة طقوسهم التى يصل عمرها حاليًا إلى ألف عام. تذكرت أن الناس سبق أن قالوا : إن رئيس العبادة إذا لم يره شعب شريف ، يصبح أكسير حياته بحاجة إلى الدم . قالوا أيضًا إن رئيس العبادة يبلغ من العمر مائة وثمانين عامًا ، أما نحن معشر الطلبة فقد كنا نخشى ونخاف العودة متأخرين إلى المدرسة . كنا نعيش فى فزع وخوف من القصص التى كانت تروى عن اختفاء الطلاب الأذكياء النجباء، وقصص أولئك الذين قتلوا ، وعثر الناس على جثثهم على جانبى الطريق ، على بعد أميال من المدينة ، تذكرت أيضًا منطقة ما تحت الحزام المظلمة فى مدينة واو . حدث ذلك ، بينما كان ينتابنى خوف من نوع جديد ، خوف الكبار المركب ، الذى جعلنى أحاول العودة إلى الفندق.

ثم بدأت السماء تمطر فجأة بلا برق أو عواصف رعدية . كانت الدكاكين مغلقة على امتداد الشوارع ، كما كان الناس ينظرون فضولاً

من خلف ستائر نوافذ منازلهم ، وكانت تمرق على الطريق سيارة بين الحين والآخر . أضفى سقوط المطر فى صمت هو وأصوات الأجراس وصليل الفئوس ، وطنين الطبول ، ودوى الأصوات الناتجة عن النُّفُر المصنوعة من قرون البقر - ووصول تلك الأصوات إلى كل مكان - ومنظر أولئك المنشدين الدينيين المتوحشين الذين يجوبون الشوارع متجردين من الجسد - كل ذلك أضفى على المدينة جو المكان الذى تسكنه الكوابيس . كنت أسمع من حولى فى جميع الاتجاهات الضوضاء الصادرة عن الاشتباكات التى تدور بين الجماعات الدينية المختلفة ، كنت أسمعهم وهم مشتبكون فى معركة أبدية متصارعون على السلطة وعلى الغلبة ، ولم يحدث أن كشف الناس قط عن عدد الرءوس التى ضاعت فى تلك المصادمات والمواجهات ، وهذا سر من أسرار هذه المدينة . ازداد انهمار الأمطار ، ودوىّ الرعد فى السماء ، وبرق البرق فوق منازل الفقراء ، ثم مرت بجانبى امرأة كانت تجرى وتصرخ :

" لم يعد فى النهر أسماك ! "

وعندما نظرت حولى كانت المرأة قد اختفت . يبدو أنى بدأت أهلوس . رأيت أسرار المدينة وهى ترقص فى الشارع : رجال صغار السن يعانون أمراضًا صهرت وجوههم ، بنات صغيرات جميلات تخرج الثعابين من آذانهن . رأيت هياكل عظمية ترقص مع نساء بدينات . تجاوزت مقبرة المدينة ورأيت الموتى يقفون ويصرخون طلبًا للأطفال . هُيِّئ لى أن استطلاق القوى الطقوسية الدينية قد استطلق بدوره أيضًا تلك الأرواح السجينة . هذه هى الكوابيس تركب كلابًا ، لكل واحد منها

رأسان ، ووجوه تلك الكوابيس أكلتها الديدان ، راحت تلك الكوابيس تعيث الفساد فى المدينة مدمرة السيارات والبنايات . هاجمت الكوابيس الطرق ، وحفرت الحفر عند نهاية شوارع المدينة كى يسقط فيها السائقون المتهورون .

اشتد المطر ، وأنا على استعداد للقسم بأن الغابات زاد معدل نموها واقتربت من المدينة أكثر وأكثر ، وتحولت إلى أقنعة داكنة الاخضرار فيما بين المنازل ، وانسابت مياه الفيضان والنهيرات قادمة من ميازيب تصريف مياه الأمطار التى فاضت وماجت ، متجهة إلى الشوارع حاملة معها القمامة من منطقة إلى أخرى ، وصدمت عندما اكتشفت أن بعض المنازل ، التى عرفت فيما بعد أنها مملوكة لأعضاء الديانة ، لم تسقط عليها الأمطار . واصلت المسير وأنا مبتل تمامًا . دوى الرعد من فوقى . أحسست بقطرات المطر تتساقط على كتفىّ ، كما لو كان المطر مكونًا من أحجار بدلاً من الماء ، وتجمعت حولى أكوام من القمامة طاول ارتفاعها ركبتىّ . برق البرق ، محولاً كل ثانية إلى وهج ، كما أحسست أيضًا بأشياء ثقيلة تتساقط فوقى ، وتلفنى ، وعندما نظرت رأيت السماء تمطر أسماكًا . صرخت . جريت . كان الأطفال يطفون على سطح الماء مثل صور ذهنية ، أفواههم محمومة ، عيونهم مفتوحة عن آخرها . لاحظت أيضًا اصطباغ قميصى باللون الأحمر بفعل المطر . نادانى الناس مرات عدة ، وعندما استدرت ناظرًا إليهم لم أجد أحدًا منهم .

وصلت الفندق ووجدته مغلقًا . تسلقت داخلاً إلى الفندق عن طريق نافذة من النوافذ الخلفية . كان الفندق مهجورًا ، وفى قاعة الرقص رأيت قطة بيضاء جالسة على الطاولة . أطالت القطة النظر إلى بعينيها الخضراوين . صعدت إلى غرفتى فى الطابق الثانى ، وعن بعد ، ومن حول المدينة ، سمعت أصوات الطبول التى تشبه أصوات الرعد ، مختلطة بأصوات سقوط المطر اللينة الهينة . نظرت من النافذة ، واندهشت عندما وجدت أن السماء لم تكن تمطر على الإطلاق . نزلت إلى الطابق الأرضى من خلال الفناء الخلفى الذى كانت تفوح منه الروائح الكريهة ، وحاولت التأكد . كانت السماء تمطر فى كل مكان ، باستثناء الفندق .

شاهدت بعد ذلك سيلاً مخيفًا ينساب فى الشارع ، كما لو كان سداً كبيرًا قد انهار وتفككت الأحجار المعالجة بالقطران . شاهدت والد أوديه وهو يضع فوق رأسه تاجًا من النقود ، جالسًا فوق سطح الماء ، كما لو كان يجلس فوق زورق لا تراه العين . كان صولجانه من الفضة ، كما كان وجهه كالحًا ، كما لو كان على وشك الدخول فى مرحلة متقدمة من مراحل تملك الشيطان له ، وهؤلاء هم الخدم يحملون نفاياته ، ويتغنون بفضائله وهم يلتفون حوله ، وهؤلاء هم أتباع ديانته وأنصارها ، قساة متوحشون لا يرحمون ، يحملون غنائم انتصارات ذلك اليوم ، أو إن شئت فقل : أجساد وسبايا المنهزم .

عندما شرعت فى العودة لاحظت وجود غشاء من التراب فوق نبات اليام ، أو إن شئت فقل : البطاطا الصينية ، الموجود عند مقدمة الفندق .

كانت نباتات الموز قد جفت هى الأخرى ، وفى الركن البعيد من السماء كان القمر يصطبغ باللون الأحمر . راح رأسى يدور بعد أن احتشى بكل هذه التفاصيل ، لاحظت أيضًا اقتراب السيل منى . رآنى أحد أتباع الديانة ، وفى خلال لحظة ، وكما لو كان ذلك عقابًا لى على بذاءتى ، بدأت الطبول الراعدة ، هى وصليل الفئوس يتجهان نحوى . جريت داخلاً الفندق ، وأغلقت الباب ، ودست القطة البيضاء أثناء اندفاعى إلى الطابق العلوى ، وعندما وصلت غرفتى كان الرعد يطوق الفندق . جلست فى السرير ، وأشعلت سيجارة ، ووجدتنى أرتعد وأتصبب عرقًا . بحثت عن الإنجيل فلم أجده . قطعت الغرفة جيئة وذهابًا ، متخوفًا من النظر إلى الخارج. طرق أتباع الديانة الأبواب طرقًا شديداً . سمعت أصوات الخشب وهو يتناثر ، وهنا رحت أبحث كالمجنون عن شىء ما ، أى شىء . فتشت حقيبة ملابسى . رحت أبحث ، مثل من تملكه الكابوس، عن شىء ، شىء سحرى يمكن أن ينقذنى . عندئذ سقطت زجاجة من زجاجات دواء القوة POWER DRUG على الأرض ثم انشرخت ، وانساب السائل خارجًا منها . سمعت الباب فى الدور الأرضى وقد استسلم للارتطام القوى الذى حدث له . فى ذروة ذلك الارتباك رحت أجرف محتويات الزجاجة من على الأرض وأشرب الدواء المسكوب . سمعت أتباع الديانة ، الذين ذاع عنهم أنهم يأكلون الزجاجات بعد أن ينتهوا من الشرب الطقوسى ، سمعتهم وهم يصعدون السلم . عولت كثيراً على الرعد المنبعث من أقدامهم . دست على الزجاج المكسور . هز الفندق عويل يصم الآذان ، ثم سمعتهم بعد ذلك يطرقون بابى . فتحت

زجاجـة أخـرى من زجـاجـات دواء القـوة POWER DRUG. نزف فـمى .
كنت قـد شـربت نصف الزجـاجـة عندمـا انفـتح البـاب مـسـتسلمًا، ورأيت
اندفاع نهر هائج مائج ، رأيت مرآة سوداء طافية فوق الماء ، وقد تسلط
عليها وميض البرق فى كل أجزائها . كان والد أوديه يجلس فوق الماء ،
وعيناه مفتوحتان عن آخرهما ، وكان أتباعه يقفون خلفه ، مضمخين
بالأنتيمون ، أى اللون الأحمر ، ويمسكون فى أيديهم صورة مصغرة
لتلك الحافلة التى طاحت فى البحيرة . انهال السيل فوقى ، وهنا
وجدتنى أغوص فى كابوس الغرق .

أسطورة البقاء على قيد الحياة الفجّة :

بعد ذلك بيومين كان تكوا يشرح لى مبادئ وأسس الطقوس الدينية
المرعبة . أوضح لى أن متخيلات الضحايا هى التى تمسك بخناقهم وتبدأ
عملها فى إماتتهم خنقًا . كان تكوا فى حالة نفسية طيبة ، كما أبلغنى
أن البلد شهد وابلاً من الأمطار يدخل ضمن الأرقام القياسية العالمية ،
كما أبلغنى أيضًا أن السماء أمطرت دمًا فى بعض أجزاء المدينة ، كما
شوهدت أسماك السلطعون وهى تتساقط فوق السوق ، كما أخبرنى
أيضًا أن أجزاء من مدينة واو أعيد تنظيمها فى ضوء تلك الأمطار : هذا
يعنى أن منازل عدة ، بما فى ذلك بنك من البنوك ، وكذلك كنيس المدرسة
جرفتها مياه الفيضان الناتج عن سقوط الأمطار ، كما جرى أيضًا نقل
المتطوعين إلى مختلف مناطق الدلتا بحثًا عن البنايات المفقودة ، ثم

أخبرنى أنه نظراً لعدم العثور على تلك البنايات فإن المليونيرين عرضا إقامة بنايات أخرى بدلاً منها .

كان تكوا قد حضر إلى غرفتى ومعه بعض رفاق المدرسة، وأكثر الرجل من الكلام إلى الحد الذى حال بينى وبين الترحيب بأولئك الرفاق .

سألنى أحد هؤلاء الرفاق ، وهو ينظر إلى الفوضى التى تعم المكان: ' كم بَغِيٍّ كانت معك هنا الليلة الماضية ؟ '

' لا أحد . '

' إذن ، ماذا كنت تفعل هنا ؟ '

أنا لا أعرف ، ليست عندى أدنى فكرة عن الطريقة التى أمضيت بها الساعتين الماضيتين . كنت أحس أعياءً شديداً مثل المرضى . كانت أعصابى متوترة تمامًا . كنت أرتعد بصورة مستمرة ؛ فقد فتحت أصوات الطبول ثقوبًا فى رأسى ، كما تضاعف عدد الخفافيش فى ذهنى ، كما أدخلتنى صلصلة العملات المعدنية ، وحفيف أوراق البنكنوت من فئة الجنيه ، فى رجفة شديدة كنت فيها بلا حول أو طول . عندما شاهد تكوا زجاجات دواء القوة POWER DRUG ملقاة على الأرض قال:

' آهٍ ، إنه يحتفظ لنفسه بدواء جديد . '

اقتسموا الزجاجة فيما بينهم . اعترضت على ذلك . ضحكوا . ورحت أحكى لهم عن الحافلة التى طاحت فى البحيرة ، وعن الذين

ماتوا، وعن الرجل الرستفارى ، ولكنهم جميعًا أطالوا النظر إلىّ وهم يترنحون ، ثم أجبرونى على ارتداء ملابسى وسحبونى جَراًّ إلى المكان الذى ستجرى فيه المباراة المالية . تشاكيت ، ولكنى فى واقع الأمر كنت سعيدًا لأنى خرجت من الغرفة وتركتها .

كانت الشوارع مكتظة بالناس مرة ثانية ، وإذا ما نحينا جانبًا الميازيب التى كانت تفيض بالمياه ، هى وأكوام القمامة التى تخلفت فى أنحاء المكان - نجد أن المدينة كانت تبدو وكأن شيئًا لم يحدث فيها مطلقًا . ربما بدا الأمر لى وكأن ذلك الرعب الفظيع من صنع خيالى ، لو أننى لم ألاحظ التعبيرات القذرة التى ارتسمت على وجوه الناس .

ونظرًا لتحسن حالة تكوا النفسية ، فقد أبلغنى أن أحداث الأيام الثلاثه الأخيرة لم تشهدها المدينة من قبل . قال لى أيضًا : إن القوى الموجودة حاليًا داخل المدينة تكبر يومًا بعد يوم ، كما أبلغنى أننى إن أردت البقاء على قيد الحياة فى هذه البلاد ، أو فى أى مكان آخر من العالم ؛ فإن سر ذلك يكمن فى الانضمام إلى الجانب الأقوى ، ثم ' تسكب دمك فى الوعاء . ' قال أيضًا إن القوى التى تحكم البلاد هى من نوع يستحيل تخيله أو تصوره ، وتغنى تكوا بأمجاد تلك القوى وامتدحها كما لو كانت موجودة فى أى مكان وفى كل مكان ، كما لو كانت تصغى وتستمع ، كما لو كانت مادة من هواء يستطيع أن ينزل به العقاب فى أى وقت من الأوقات .

قال : ' الأمر كله سياسة فى سياسة ، ومباراة اليوم تدور كلها حول هذا الموضوع . '

' ماذا تقول ؟ '

قال : ' إنها السياسة . '

' أنا لا أفهم ما تقول . '

قال : ' ليست هناك سياسة بدون قوة ، وليست هناك قوة بلا خوف . '

نظر إلىّ نظرة إشفاق .

قال : ' أقوى المخاوف فى هذه المدينة هى أن تكون بلا دفاع ، أى أن تكون بدون راعٍ قوى ، ومن ثم تقع تحت رحمة الطبول . '

ركب تكوا موجة يقينه .

' النجوم الجديدة تطلع كل يوم ، وهى تتمو من القوى نفسها ، ومن الطقوس الدينية نفسها ... '

قاطعته فى الكلام ملخصًا ذلك الذى قاله الشاعر أوكيجبو Okigbo' ... ومن نفس رائحة الدم فى المساء . '

هز كتفيه وابتسم ابتسامة تدل على الانتصار ثم قال : ' هذا هو جمال عالمنا . '

أحسست بالسعادة لسعادته ، ولم تكن هناك علامة غائرة فى ذهنه. هذا يعنى أن الرستفاريين هم والأطفال المصابون بالمرض لا يضايقونه . لم يحدث له أن عمل مندوب مبيعات فى مجال الكوابيس - إذ كان هو دومًا مديرًا لتلك الكوابيس . ضربنى تكوا على ظهرى ، ولكننا عندما

اقتربنا من مكان المباراة ، تحول الزَّخم الذى ارتسم على وجهه إلى شكل من أشكال الاستهزاء والاستهتار ، ثم توقف بعد ذلك ، وسد الطريق علىّ ، وأدهشنى عندما قال :

" إلى جانب من تقف ؟ "

تزاحم حولى رفاق المدرسة السابقون ، وكانوا جميعًا يعيشون فى تلك المدينة الغريبة ، وتنم وجوههم عن البؤس والشقاء ، وأعينهم وضيعة وتشبه أعين الفئران ، وتتشابه قسماتهم وملامحهم من حيث اليأس والشقاء ، وأطلت النظر إلى تكوا وحملقت فيه ثلاث دقائق طويلة لم أفهم شيئًا خلالها ، بعد ذلك ، ومع تناهى أصوات الأبواق إلينا من الشرفة ، استطعت أن أتبين تمامًا الطريق الذى يسلكه حفاظًا على عمله ووظيفته ، كما استوعبت أيضًا عاداته المسرفة ، وأسلوب حياته الخالى من المسئولية ، ولامبالاته التى لا تعرف حدوداً ، وبخاصة عندما يكون الآخرون يتضورون جوعًا . عرفت أيضًا أنه لا يمكن أن يدرك كنه معايشة الإنسان لسبع جثث فى أحلامه ، ولا كنه العيش مع نساء أكل الدود وجوههن ، أو مع أطفال تطفح أمعاؤهم الديدان ، والسبب فى ذلك أنه منضم إلى الجانب الآمن ، الجانب الصحيح ، أو إن شئت فقل : الجانب الأقوى . تفلت فى وجه تكوا ومضيت إلى الشرفة . لم يرفع تكوا أو أى أحد من رفاق المدرسة يده فى وجهى ، وكان هذان الخطآن هما آخر خطئين ارتكبتهما فى تلك المدينة .

عندما وصلت الشرفة لم أستطع رؤية أى شىء نظراً لوجود أعداد كبيرة من البشر . كانت المسابقة واحدة من مباريات الهواء الطلق ، وفى وسط ذلك الجمع كانت هناك حلبة مغطاة ، ومن حول تلك الحلبة ، اكتظ سكان المدينة وهم يتصببون عرقًا ، ويحدثون ضوضاءً - منادى السيارات ، الشحاذون ، النجارون ، أصحاب الحانات والمقاهى ، المومسات ، مديرو محلات القمار ، الكتبة ، عمال الخدمات فى مجال البترول ، الموظفون المتحذلقون المتشددون ، أصحاب العاهات والأمراض الغريبة ، وهذا رجل عجوز بلا حواجب على عينيه ، وهذا شاب يتكئ على عكازين . بلغ الزحام حدا بدت معه المناسبة وكأنها احتفال سياسى كبير ، أو جمع من الناس يبحثون لأنفسهم عن علاج عن طريق الخدمات الكهنوتية التى تعتمد على استعمال الإيمان فى العلاج . اختلطت مع ذلك الحشد من الناس وشققت طريقى صوب المقدمة ، وسمعت الناس من حولى يرددون أن أطباء الأعشاب ، أو الأطباء الشعبيين كانوا يمنعون سقوط المطر . لم أستطع تبين ذلك ، ولما كنت محشوراً وسط الجماهير ، وشبه عاجز عن الحركة ، فقد أدركت أنى جوعان ، فأنا على حد علمى ، لم آكل شيئًا منذ أيام . أخافنى ذلك الحشد من الناس . ظل الناس يتدافعون طول الوقت . كانوا يحسون القلق ويتحرقون شوقًا لبداية المسابقة ، ولما كانت أوجه المطحونين من الناس تحيط بى من كل جانب ، تلك الوجوه الوضيعة ، تلك الوجوه الغريبة علىّ ؛ فقد اعترانى الخوف وتملكنى . شعرت بدواء القوة POWER DRUG ينخر فى معدتى ، ويتسلط على غشاء المعدة وبطانتها ، مسبباً بذلك التهاب أمعائى .

تملكتني طاقة مجنونة عندما بدأت مراسم المسابقة . شعرت بالغضب والتهور ، وعندما اندفعت إلى الأمام مررت بمجموعة من الصيادين الذين جاءوا لحضور تلك المناسبة ومعهم شباكهم . جاءوا لاصطياد النقود ، وفي لحظة من لحظات التنوير المشوبة بالهلوسة خطر ببالي أن كل أولئك الحاضرين : البائعات اللاتي يبعن ويشترين في الأسواق ، القادمات من بقاع الأنهار المظلمة ، الكتبة القادمين من بيروقراطيات بعيدة في قرى الدلتا – بينهم صفة مشتركة واحدة . نحن بحاجة إلى معجزات حديثة . كنا جميعًا ، وعن بكرة أبينا ، جوعانين . كلنا هجرنا حياواتنا الخاصة وتخلينا عنها ، تخلينا عن حياواتنا في دنيا المال والأعمال ، تخلينا عن وقت فراغنا ، تخلينا عن آلامنا ، لأننا أردنا أن نشاهد المعجزات ، والمعجزة التي جئنا لمشاهدتها ، والتي كانت تشمل الجانب الآخر المتمثل في طبول الطقوس الدينية وطبول الرعب ، جئنا لمشاهدة معجزة تضاعف العملات والنقود والأموال . جئنا كيما يشبعنا كبار سحرة النقود والأموال ، أو إن شئت فقل : سادة عصرنا وزماننا .

أنا ما زلت عاجزاً عن الفهم . بلغ تزاحم الجمهور وكثافته حدا توارت معه الحلبة تمامًا ، ولم أعد أرى سوى نجوم السماء ، النجوم التي لا تحصى ولا تعد ، وهي تتسود وإلى الأبد حظر تجوالنا بمختلف صوره وأشكاله وحماقاتنا على اختلاف أنواعها .

سمعت ، عندما اقتربت من المقدمة ، صوتًا صادراً عن مكبر الصوت يتمتم باقتراب بدء المسابقة . تعرفت ذلك الصوت . هذا صوت

رفيق آخر من رفاق المدرسة ، الذى أصبح سكرتيراً خاصا لواحد من السياسيين ، وعندما بدأت أتبين ذلك الذى يدور صدمتنى الحقيقة التى مفادها أن الحلبة التى كانت تبدو لى عادية من بُعد ، كانت فى واقع الأمر منصة ، أو إن شئت فقل : باغودا (*) تتلألأ بفعل الأضواء الملونة ، والشرائط ذهبية اللون التى تستعمل فى الزينة . كانت هناك صورتان كبيرتان معلقتان على جانبى الحلبة ، واحدة منهما لكل مليونير من المليونيرين . كان أوديه يلبس لباساً من البروكار ، ذلك القماش الموشى بالقصب ، ويجلس أمام طاولة مصنوعة من الزجاج ، وتهوِّى عليه نساء باستعمال المراوح . كان آسى يجلس على الجانب الآخر ، وإلى الخلف منهما كان يقف الحرس الخاص بوالديهما . كان الراقصون الطقوسيون من الجانبين يرتدون جلوداً مختلفة من جلود الحيوانات ، ويقفون فى الخلف على مسافة بعيدة . كانت فئوسهم تتصادم بين الحين والآخر مولدة شراراً يطير فى الهواء .

بعد أن بدأت المسابقة . بدأت تدوى أصوات الأبواق وبدأت تصدح الموسيقى النحاسية . فى الجزء الأمامى من المسرح وقف الموسيقيون والمداحون من جانبى المليونيرين يلعبون الأدوار المنوطة بهم ، كما لو كانوا هم أنفسهم أيضاً يتنافسون . تقدم رئيس المسابقة وألقى إعلاناً على الحاضرين ، وهنا بدأ مداحو والد أوديه يتغنون ويبالغون فى صفات

(*) الباغودا : معبد بوذى مكون من عدة طوابق ذات تصميم خاص . (المترجم)

وشمائل المتبرع لأعمال الخير ، وعزفت الموسيقى لحنًا ، وجاءت مجموعة من الراقصات . أدّين رقصة المطر ، وهن يهززن أردافهن ، وراح مندوبو المليونير ينثرون النقود فوقهن .

بدأ الجمع يعج بالهرج والمرج ، وأعلن أن والد أوديه كان قد اشترى سيارة رولزرويس مكيفة ، وأن السيارة بها ثلاجة كبيرة كان يخزن فيها نقوده ويبردها فيها أيضًا ، وهتف الناس وصفقوا ، وهنا جرى إحضار الثلاجة على المسرح وجرى إخراج رزم البنكنوت منها ، ثم نزع الأربطة المطاطية عنها ونثرها بعد ذلك على جمهور الحاضرين ، وجرى صراع على المقدمة من أجل النقود . امتدت أيدٍ عدة تتدافع طلبًا للنقود. استمر ذلك فترة من الوقت إلى أن جرَى إفراغ ربع محتويات الثلاجة تقريبًا ، وتقدم رئيس المسابقة وأعلن على الحاضرين إعلانًا آخر ، وعزف الموسيقيون لحنًا ، ثم سمعنا بعد ذلك صوت طنين فى الهواء ، ونظرنا إلى الأعلى وشاهدنا طائرة هليوكوبتر تحوم فى حركة دائرية بطيئة ، فوق رءوسنا مباشرة ، وانصرفت الطائرة ثم عادت مرة ثانية . بدأ الدخان ينبعث من الطائرة ثم شاهدنا بيرقًا لامعًا كبيرًا يحمل اسم والد آسى وصورته . هلل الجمهور وهتف بصوت عالٍ . بقى الناس بلا حراك فترة من الوقت ، وراحت السماء تمطر عملات معدنية طوال فترة الصمت تلك . شاهدنا النقود الفضية تتساقط فى البقعة الضوئية الملونة المصاحبة للطائرة . تساقطت تلك العملات المعدنية علينا ، حادث مدهش ومذهل . وانسابت النقود الفضية متلألئة وهى تتساقط علينا من السماء وكأنها نجوم حقيقية ، وبدأ الناس يتفرقون ويتدافعون عندما بدأت

العـمـلات المعـدنيـة تتـسـاقط علينا ، وتؤذينا ، وتصطدم برءوسنا ، وبوجوهنا. بدأت العملات المعدنية تتساقط علينا مثل المطر كما لو كان ذلك عقـابًا لنا على وقوفنا تحت الطائرة . تساقطت العـمـلات المعـدنيـة مصطدمة أيضًا بالحلبة ، وعندما بدأنا نتدافع نحو العملات المعدنية ، بدأت تتسـاقط علينا رزم البنكنوت من فئـة النيـرة ، وراحت تنتشر هنا وهناك بفعل ريش مروحة الطائرة الهليكوبتر .

تدافـعنا ، وركب بعضنا بعضًا ، وتحـول الجمع إلى منطقة حـرب وعراك . قفزنا فوق بعضنا بعضًا ونحن نحاول جمع النقود ، وبالرغم من أن ذراعى كانت ملويةً ، وبالرغم أيضًا من أن الناس كانوا يدوسون فوق ظهرى ، ويتعلقون فى عنقى ، وبالرغم أيضًا من طرف عينى (لإثنائى عن النقود ، ومنعى من جمعها) ، فقد أفلحت فى اختطاف مبلغ كبير من النقود . كانت أوراق البنكنوت مبتلة ، ومن فوق المسرح رحب رئيس المسابقة بذلك المنظر الأخير وحيَّاه ، ومن مؤخرة الحشد ، راح واعظ وهو يستـعمل ميكروفونًا مكبرًا للصـوت ، يستـنكر المسابقة كلها ويدينها هى والمـدينـة ، حيث أورد اقتـباسًا يقول : ' شـعبى يموت لافتقاره إلى الرؤيا . '

قدم رئيس المسابقة إعلانًا آخر .

قال الواعظ :

' يسهل على الجمل المرور من خلال ... '

لم يكمل الواعظ جملته مطلقًا ؛ فقد ضاع صوته وسط الجماهير .

اعتلى المتنكرون خشبة المسرح وراحوا يرقصون ، وأدى المداحون دورهم ، وعزف الموسيقيون على آلاتهم . تبارز راقصو الطقوس الدينية حول الباغودا ، وحملوا الثلاجة إلى المسرح مرة ثانية ، وحوّمت الطائرة الهليوكوبتر فى الهواء مرة ثانية ، وسار الحال على نفس هذا المنوال ، مشهد من فوق مشهد آخر ، الأمر الذى أحارنا أمام ذلك الإفراط المجنون ، كما جردنا أيضًا من كل احتمالات التعجب والاندهاش ، وبعد ذلك بساعتين ، بعد أن أصيبت الجماهير بالخدوش والكسور ، وبعد أن استنفدنا كل قوتنا فى التدافع على النقود ، أعلن رئيس الاجتماع فوز والد آسى بالجولة، ثم أعلن بعد ذلك انتهاء المسابقة ، وفى خلال لحظة خلى المسرح تمامًا ، واختفت سلطات الاحتفال المحلية داخل سياراتهم ، وكان قد فاتنى أن ألاحظ عدد السيارات ، من الأنواع الفاخرة ، التى كانت تقف حول منطقة الاحتفال ، ومع اختفاء الناس فى جوف الليل ضاعت منى الحقيقة التى مفادها أنى لم أرَ أيًّا من المليونيرين .

بعد إعلان الفائز ، قام أتباع والد أوديه ، وهم يصرخون من أن القضاة والمحكمين تلقوا رشاوى ، بعملية تخريبية ، وبعد انصراف مسئولى الاحتفالات المحليين سمعت صوت فرقعة فى السماء . وبرق البرق ، ودوى الرعد ، وبدأت تتساقط الأمطار . سقطت المياه على شكل سيول . تفرق الجمع سالكًا طريقًا ينحرف منه إلى طريق آخر ، أما نحن فقد كنا بمثابة القمامة المحمولة على موجات الطين والوحل . اضطرّنا المطر إلى الاحتماء ببعضنا بعضًا ، وجعلنا نتزاحم على المنطقة خلف المقابر ، وعلى المنطقة الخلفية من السوق العامة ، ثم التزاحم على الاحتماء بدار السينما .

وبينما كنت أمضى خائضاً فى مياه الشوارع ، متحسساً النقود التى تدافعت من أجلها ، أحسست بوجود جوع كبير ، وغضب واستعار كبير فيما بيننا . فى كل مكان ذهبنا إليه فى تلك الليلة رأينا أن النيرات الورقية تساقطت فوق قبور الموتى ، وفوق طاولات الأسواق ، وفوق أكواخ الفقراء ، وفوق السيارات الثابتة ، وفوق أكوام القمامة ، ولم أكتشف أننا كلنا كنا ضحايا أضحوكة كبيرة وقاسية إلا عندما بدأت ألتقط أوراق البنكنوت وأنا فى طريقى إلى الفندق ، وعندما قلبت أوراق البنكنوت الرطبة فى يدىّ ، بدأ الحبر ينساب منها ، وبعدها اكتشفت أن وجهاً من العملة كان حقيقيا ، أما الوجه الثانى فقد انمحى وأصبح أبيض بلا كتابة . كنا نتدافع على عملات فكاهية . وخطر ببالى ذلك الذى قاله تكوا : أى الجانبين تساند ؟ وهنا بدأت أضحك . ضحكت للجراح التى أصابتنى ، وضحكت لعينى التى تورمت ، وضحكت أيضاً لذراعى الملوية ، وظللت أضحك طوال الطريق إلى الفندق ، وعندما اقتربت من الفندق جرت نحوى نساء عديدات لتقلن لى وهن يصرخن إن أتباع الديانات بدءوا يجوسون فى الشوارع من جديد ، وعن بعد سمعت الواعظ يقول :

' كل إنسان إلى خيمته ! وكل روح إلى أسرتها ! '

لم أشغل نفسى بالأمر أكثر من ذلك ، ولكنى عندما اتجهت إلى الشارع الذى يقع فيه الفندق الذى أنزل فيه ، سمعت تكوا فجأة وهو يقول :

' ها هو هناك ! أمسكوه ! أمسكوه بسرعة ! إنه عدو ، إنه جاسوس ! '

كان معه بعض البلطجية . تقدموا ناحيتى شاهرين فئوسهم فى أيديهم ، وجريت فراراً منهم وتهت مختلطاً بالجماهير التى بدأت تتفرق قاصدين منازلهم . بقيت واقفاً فى المطر إلى ما بعد منتصف الليل وانطفأت الأنوار فى كل أنحاء المدينة . عدت إلى الفندق ، وتسلقت داخلاً إليه عن طريق النافذة الخلفية ، ثم تسللت إلى الطابق العلوى ، وبسرعة حزمت كل أغراضى ثم نزلت إلى الدور الأرضى لأسدد قيم الفواتير وأدفع الحساب ، ثم استقللت تاكسيا قاصداً المرأب (الجراج) وجلست أسفل طاولة من الطاولات ، والمطر ما زال يهطل ، إلى أن طلع الفجر . استقللت أول سيارة أجرة وهربت من مدينة واو . أحسست أن نيازك الأشكال الجديدة لحظر التجوال سوف تظل مشتعلة طوال جيلين أو ثلاثة أجيال ، وتذرو الرياح تراث تلك الأجيال بعد ذلك ، لتبعثره بين الكلاب المنبوذة .

ما وراء النص المكتوب :

بعد ثلاثة أيام من عودتى إلى مدينة ليجوس قصدت المكاتب التى كنت أعمل فيها من قبل وعلمت أن علاجات بلا حدود Unlimited Cures قد انتقلت من مكانها . كان مقر الشركة الجديد يشرف على البحيرة ، وعندما وصلت إلى ذلك المقر ، طلبت منى السكرتيرة – التى بدت لى

وكأنها لم تأكل شيئًا منذ أن تركتهم فى المرة الأخيرة – الدخول إلى المكتب ، وأطال ريّسى النظر إلىَّ وحملق فىَّ حملقة شديدة . كان متينًا وكئيب الشكل كسالف عهده ، ثم أشار إلىّ بالجلوس . كان يمضغ شيئًا من ثمار الكولا ، وراح يمروح على نفسه وهو شارد الذهن .

سألنى بعد فترة : ' ما الذى تنوى عمله ؟ '

' أنا أفكر فى هذا الأمر . '

قال مبتسمًا : ' لقد نشرت صورتك فى الصحف كلها ، وعليه فلن يسمح لك أحد بالعمل معه . '

صمت قليلاً ، ثم سألنى بعد ذلك إن كنت على استعداد للقيام بدورى كمواطن كامل . حملقت فيه ، وفكرت فى الأحداث التى فى مدينة واو ، وفكرت أيضًا فى الطائرة الهليوكوبتر ، وفكرت كذلك فى أتباع الديانات ، وأعملت فكرى أيضًا فى السؤال الذى طرحه علىّ تكوا Tak-wa، وفكرت فى النهاية فى الرجال السبعة الذين لقوا حتفهم .

قال ريِّسى ، وهو يُهوِّى بمروحته ، ويتكلم بصوت ينم عن الاستياء :

' ماذا حدث لك ، يا أنت ؟ هراء فى هراء ! هذا غرور ليس إلا ! هؤلاء السائقون يسابقون أنفسهم ويتسببون فى حوادث خطيرة يومًا بعد يوم ، وخلال فترة غيابك عن هنا طاحت ثلاث سيارات نقل فى البحيرة . لم يكونوا بحاجة إلى أدويتنا كى تدلهم على الطريق . زد على ذلك ، أن دواء القوة POWER DRUG تحسن تحسنًا كبيرًا . '

تناول زجاجة وشرب منها مِلْءَ فمه ، ثم خبط الزجاجة على الطاولة مرة أخرى .

' أبلغنى أحد الصبية الذين يعملون معى أن واحداً من الكيمياويين، والذى جرى رفته فعلاً من العمل ، وضع بطريق الخطأ مقداراً كبيراً من زيت الماريجوانا (القنب الأفريقى) ، ومقداراً أكبر من اللازم أيضًا من الكلورفورم ، ومقداراً أزيد من اللازم أيضاً من الكحول فى الدواء . لقد راجعنا كل ذلك الآن مراجعة دقيقة .'

ظل الرجل يحملق فىّ فترة طويلة . كان يجلس فى المكان نفسه ، ثابتًا ، وكأنه تمثال ، وكأن مسخه قد تحول إلى حجر . بقى على ذلك الحال طوال خمس دقائق ، ثم هاج بعد ذلك ، مثل الثور ، وانتفض واقفًا، وراح يصيح فى أنحاء المكتب ، وأخذ يطيح بأكوام الوثائق ، ويصيح مصدراً تعليمات إلى سكرتيرته ، ويدق الأبواب ، تُحفُّه طاقة مخيفة ، ثم عاد بعد فترة وجلس فى مكانه السابق . تعرّق الرجل ، جحظت عيناه ، وبدت القوة على محياه . قال :

' هل ستنزوى ، وتروح تواسى نفسك ، أم أنك ستكون رجلاً ، أى أفريقيا بمعنى الكلمة ؟ '

من نافذة الرَّيس نظرت إلى البحيرة ، كان لونها أخضر ناصعًا فى ضوء الشمس ، ثم أخبرنى أن عملى ما زال شاغراً ، كما عرض علىّ زيادة راتبى ، وقلت له إنى سوف أتدبر ذلك الأمر .

عندما غادرت المكتب بدأت أتدبر مسألة العودة إلى حافلات النقل الجماعى المكتظة بالأطفال الذين يصيحون والمتسببون الذين يصرخون .

كان على أن أختار بين هذا وذاك . الغش أم الأصالة . وبدأت بعد ذلك ، أجد تفسيراً وتفهماً لتلك الكوابيس التى كانت تتملكنى . كان علىّ أن أختار بين البقاء فى المربع السكنى وأن أكون مشترياً ، بين أن تحمينى القوة وأن تعترينى القوة ، بين الضحك والبكاء . هذا يعنى ضيق مجال الخيار أمام الرجل الأمين ، يضاف إلى ذلك أن أحداً لا يستطيع القطع بأن ذلك الخيار ليس هو الفرصة الوحيدة المتاحة للفقير فوق هذا الكوكب ، وأنا أحس بالخجل عندما أجدنى أعترف بذلك، ومع ذلك فأنا أكره الألم والمعاناة ، وعليه رضيت بالأمر الواقع بإطالة صور حظر التجوال على اختلاف أشكالها ، رضيت بالأضواء التى تظهر ثم تخبو فى سماء صغيرة ، وهنا وقع اختيارى من جديد على استئناف عملى القديم ، وبقيت مدة آخذ عينات دواء القوة POWER DRUG الجديد ، وألقى خطبى الكلامية فى حافلات النقل العام ، وعلى أرصفة الطرق ، ولكن قناعتى لم تكن هى القناعة السابقة نفسها .

وعندما بدأت عيوب الدواء الجديد تكشف عن نفسها غيرت رأيى ، وبدأ ريسى يتأمل مسألة عمل أدوية لعلاج المشكلات التى خلقها دواء القوة POWER DRUG. متى ينتهى كل ذلك ؟ والحال هنا شبيه بحال قادتنا وزعمائنا ؛ فهو يخلق مشكلة ، ثم يخلق مشكلة ثانية لعلاج المشكلة الأولى – ويسير الحال على هذا المنوال – خصوبة لا تنتهى ، تتصاعد تصاعداً حلزونيا لتعم الفوضى أكثر وأكثر ، ولكنى لم أقرر ترك ذلك العمل ، ومحاولة استئناف عمل جديد خاص بى أنا شخصيا ،

إلا بعد اكتشافى أن الريِّس نفسه لا يتعاطى الدواء الذى يصنعه ، وبعد أن ادخرت لنفسى ما يكفينى من المال .

فى غضون ذلك الوقت على وجه التقريب علمت أن الرستفارى ما زال حيا يرزق ، وفى المساء كنت ، فى بعض الأحيان ، أسمع من بعد صوت ذلك الرجل الغريب الذى يستثير الحزن والألم عندما كان يضربنا بقوله :

' أفريقيا ، نحن نعوِّل عليك كثيراً ! '

وفى شىء من الحزن تعين على التحول إلى الاتجاه المعاكس ووجدتنى أتجه صوب الحانة القريبة . سوف أطلب قرعة كبيرة من نبيذ النخيل وأشرب لنسيان مصاعب أيامنا . سأشرب فى صحة ذلك الشاب الصغير الذى ألقى بنفسه فى البحيرة ، ملقياً على الحكومة باللوم فى انتحار ذلك الشاب . دخلت عندئذٍ بداية موسم الأمطار ، وتوقفت كوابيسى ، ولكنى بدأت أرى حياواتنا وكأنها جزء من كابوس ، ومبلغ علمى ، أنى أفضل حالى السابق .

عندما تعود الأضواء

كان إيدى EDE يغنى فى حفل موسيقى متواضع وفجأة انطفأت الأنوار . لم يكن فى الفندق أية مولدات كهربية ، وصاح جمهور الحاضرين يطلبون إعادة نقودهم إليهم ، ثم غادروا مكان الحفل مشمئزين ، وفى ظلمة المكان رأى إيدى ثوب عشيقته الأبيض المضىء يطفو إلى الأعلى مشيراً إليه . سمع صوتها الحزين وهى تقول :

' هذه هى المرة الثالثة التى تنقطع فيها الأنوار فى هذه الليلة '

' أنا لا أعتقد أنهم يستلطفون أغنيتى ، يا ماريا . '

ضحكت ضحكة لطيفة خفيفة .

وبعد فترة زمنية قصيرة قالت إنها ليست على ما يرام .

قال وهو شارد الذهن : ' إنه التعميم ، الذى يجعلنا نحس بالوحشة ونستشعرها – فى البداية . '

أمسك إيدى الميكروفون فى يده وراح يحملق فى ذلك الظلام البهيم. كانت عيناها تلمعان مثل عينى قطة من القطاط . أعاد الميكروفون إلى الحامل مرة ثانية ولم يعرها مزيداً من الاهتمام ، وبينما كان يعاون الموسيقيين فى نقل الآلات الموسيقية جلست عشيقته فى ركن من أركان المسرح ، وهى محمومة فى الظلام ، لم ينظر إليها مرة ثانية ، فى الوقت الذى تجول فيه مدير الفندق حاملاً مصباحًا فى يده ، ويعثر على تلك

العشيقة نائمة على الأرض . أيقظها إيدى ، ووضعها فى سيارة أجرة ، وأخذها إلى بيته . كان إيدى غضبان منها فى تلك الليلة ؛ هذا الغضب حال بين إيدى وبين ملاحظة التغيير الذى بدأ يطرأ على هذه العشيقة .

تجنبها برهة زمنية قصيرة . بدأ يتأمل رقتها البالغة ، وضعفها البالغ أمام الإغراء ، هى ممن يعكرون أفراح الآخرين ومتعتهم . أفلح فى إلقاء اللوم عليها بسبب الفشل الذى منيت به الحفلة الموسيقية التى أقامها مؤخراً ، بل إنه بدأ يفكر فى العثور على امرأة أخرى ، ولكنها عندما جاءت للقائه ، بعد انقطاع أخبارها عنه طوال أسبوع كامل ، وبعد عودة الأنوار ، بدت جميلة جدا فى عينيه ، كما أن عينيها كانتا حزينتين إلى الحد الذى جعله ينسى كل تلك المضايقات الصغيرة ، ودون أن يسألها عن أحوالها ، وعن أحاسيسها ، أغلق الباب وبدأ يقبلها . دفعته بعيداً عنها . أمسك يديها وأطال النظر إليها . ارتجفت ارتجافاً قليلاً . كانت يداها ناعمتين وراحتا يديها رطبتين ؛ كما كانت حبات العرق تلمع تحت أنفها . جعلها تسترخى فى السرير ، ثم خلع حذاءها عن رجليها وجعل وجهها ناحية وجهه .

قالت : ' أود مشاهدة التليفزيون . '

' شاهدى عينىّ . '

ابتسمت . حرك أصابعه خلسة بين وركيها حتى لا يفسد استسلامها ، وعندما بدأ يلاعبها ويداعبها عطست .

' هل أنت مصابة بنزلة برد ؟ '

' هو عطس ليس إلا . '

' ربما يكون هناك من يخوض فى سيرتك . '

' من هو ذلك الذى يخوض فى سيرتى ؟ '

' أنا لا أعرف .'

واصل مداعبته لردفيها الحارين ، فشعرت . لاقى ابتلالها . هى تحدث دومًا على سبيل المفاجأة .

' أنت تهيجنى ، تثيرنى .'

أهاجها وأثارها أكثر وأكثر ، ثم نزع عنها ' بلوزتها ' المصنوعة من الحرير ، ثم نزع عنها تنورتها وألقى بهما على الكرسى ذى المسندين . اضطربت أنفاسه . راح ينتظر احتجاجاتها .

سألته بصوت جديد ومختلف تمام : ' ماذا عن أمك ؟ '

كان إيدى يعيش مع أمه فى غرفتين صغيرتين .

' بلغنى أنك تُربِّين شيئًا ما . '

' أصحيح ما تقول ؟ '

' سافرت أمى لحضور اجتماع أهل المدينة . '

' وماذا بعد ذلك ؟ '

' ستبقى هناك فترة طويلة .'

سكتت ماريا عن الكلام برهة ، ثم سألته :

' ماذا لو ذهب أحد لزيارتها ؟ '

' لا مانع من ذلك .'

' ماذا عن الباب ؟ '

' إنه رائع .'

أطالت النظر إليه ، ولمعت عيناها ، وعندما ضحكت أخذ إيدى نفساً عميقاً قبل أن يدفن رأسه بين ثدييها .

قال بصوت مرتعش وحالم : ' جميل أن يستشعر الإنسان الحياة وجمالها .'

' ومن الذى يجادل فى ذلك ؟ '

' لا أحد ' .

صمتا هما الاثنان ، وراحت تداعب شعره بلطف ورقة ، وصعدت فوقه بقوة بلغت من العشق حدا أحس بانتصابه المفاجئ .

قالت وهى تتراجع مبتعدة عنه قليلاً : ' ماذا يمكن أن يحدث لو أنى لست راغبة فى هذا الجماع ؟ '

' ستندهشين بعد ذلك . '

' ما الذى سيدهشنى ؟ '

' ستدهشين من نفسك أنت .'

' إيدى ، أقولها بجد ، ماذا يمكن أن يحدث لو أننى لا أرغب فى هذا الجماع لأى سبب من الأسباب ؟ '

' ماذا تقولين ؟ '

' أنا أعنى ما أقول '.

' أتودين قتلى . '

' كن جادا .'

' حسن ، سوف أصاب بالإحـ.....'

وفجأة وبدون إنذار ، راحا يتجامعان من جديد ، بل إن الجماع غزا حياتيهما . فى كل يوم ، مرة ، مرتان ، بل ومرات كثيرة كانت الأنوار تنطفئ ، ويُسدل الظلام على كل شىء ، فتطلق فيضاً قاهراً من الحرارة ومن العرق ومن العجز عن الفهم .

أحس إيدى فى الظلام بالتغير الذى طرأ على حالتها النفسية . كان جسد ماريا يحترق وهى بجانبه ، نهض من السرير وأشعل شمعة . كان وجه ماريا شاحبًا ، وشفتاها ترتعشان . كانت جبهتها تتصبب عرقًا. ارتسم تعبير الخوف فى عينيها ، وعندما بدأ إيدى يعود ثانية إلى السرير دفعته بعيداً عنها ثم ارتدت ملابسها .

' ماذا حدث ؟ '

' لابد أن أخرج من هذا المكان . '

' لماذا ؟ '

' قلت أنا ذاهبة . '

' أهذا بسبب النور ؟ سيجىء حالاً . '

' قلت أنا ذاهبة . '

' لماذا ؟ '

' لا شئ . '

' لماذا كل هذه الغرابة على نحو مفاجئ ؟ '

' أنا خائفة .'

' خائفة من ماذا ؟ '

' لا شىء . '

حاول إغواءها على البقاء ، ولكنه استشعر عدم اقتناعها . كان جمال ماريا من النوع الشاذ الذى يتركز على هدف واحد فقط .

قال لها غاضبًا : ' وهو كذلك ! إذا كنت تودين الانصراف ، فاذهبى إلى حال سبيلك ! '

تشجعت على إثر نبرة صوته الجديدة، وسارعت بارتداء ملابسها . كان البعوض يئز من حولها . أخذت درجة الحرارة فى الارتفاع شيئًا

فشيئًا ، لو أنه نظر إلى وجهها في ضوء الشمعة نظرة فاحصة لكان قد وقف بالفعل على مدى اضطرابها ، ولكنه لم يلاحظ سوى ذلك الذى حسبه نوعًا من اللامبالاة من جانبها ، وبعد أن ارتدت ملابسها كاملة حولت عينيها الجريئتين إليه ثم قالت :

" ألن تودعنى ؟ "

ونظرًا للإحباط الذى أصابه ، ونظرًا لعجزه عن فهم الأسباب التى جعلتها تغير فجأة الحالة النفسية التى كانت عليها فى المساء ، وقف إيدى صامتًا ، وهنا رفعت ماريا رأسها إلى أعلى ، وتناولت حقيبة يدها ، ثم غادرت الغرفة . فقد إيدى صوابه ، وراح يصيح فيها بكلام مضحك ويكيل لها اللعنات والسباب . كان الجو مظلمًا تمامًا فى الطرقة . تناهى إليه من الخارج أصوات أناس كانوا هم أيضًا يتصايحون : بعضهم يتصايحون مع زوجاتهم ، وبعضهم يتصايحون مع أطفالهم ، وبعض ثالث منهم يتصايحون مع الهواء ، كما لو كانوا يفعلون ذلك تسجيلاً لاحتجاجهم عليه .

ارتفع مستوى الأصوات الأخرى إلى مستوى صوته ، ولكنه غطى عليها باللعنات والسباب ، أملاً فى أن يستنطق منها ردا على ما يقول ، ومتطلعًا إلى تصعيد المواجهة إلى الحد الذى لا يمكن تسويته إلا عن طريق المصالحة الفورية ، ولكنها لم تبتلع الطعم الذى قدمه لها ، وعندما تجاوزا طاولة من طاولات البيع ، شاهد على وجهها ، فى ضوء مصباح الكيروسين ، ظلاً خفيفًا ، ولكنه لم يتعرف حقيقة ذلك الظل ، وعندما

وصلا إلى الطريق الرئيسى كان قد صعّد الموقف تصعيداً خطيراً إلى حد أنه عندما وصلت إليهما سيارة من سيارات الأجرة ، لم يجد أمامه ما يفعله سوى أن يطيل النظر إليها ، ويحملق فيها مهددًا ومتوعداً .

قالت قبل أن تركب سيارة الأجرة :

' لا تحاول الإساءة إلى . '

' ولم لا .'

' ولماذا ؟ '

وبدون أن يعنى ما يقول ، وفى ظل عدم قدرته على السيطرة على نفسه ، وبسبب غضبه من الظلام واستيائه منه قال :

' أنت قلق كبير ، وضعيفة وهشة ، ودائمًا مريضة . وخجولة جدا . أنت ليست لديك الرغبة بحق . أنا لا أود ولا أريد أن أراك مرة ثانية .'

حملقت فيه . وأطلق سائق السيارة الأجره آلة التنبيه .

قال إيدى ، وهو منفعل تمامًا ، وبشىء من الرضا الذى لا يمكن تفسيره أو تقليله : ' أنا لا أريد ولا أود أن أراك ثانية . '

فتحت ماريا باب السيارة ، وبعد أن انعكس ضوء الشمعة فى عينيها قالت :

' إن فعلت ذلك ، إن أهملتنى ، ولم ترنى قط ، فذلك يعنى أنك قتلتنى .'

بدت له وكأنها أصابها مس من الشيطان ، أو كاد يتملكها ، ثم واصلت كلامها :

' وإن كنت تحبنى بحق ، وإذا ما أردت أن تكلمنى بعد ذلك ، سوف يتعين عليك إيقاظى من الموت ، فهل بوسعك أن تفعل ذلك ؟ '

لم يفهم إيدى ما قالته . كان فى غاية الاندهاش ، ثم اختفت ماريا بعد ذلك داخل سيارة الأجرة دون أن تنطق بكلمة واحدة ، واختفت فى الظلام أيضاً سيارة الأجرة التى لم تكن لها أنوار خلفية .

مرت ثلاثة أسابيع ، رفض أن يقابلها خلالها . استمرت العتمة . داومت أمه السؤال عن أسباب تغيب ماريا وداوم هو على الكذب عليها بأن كل شيء كان على ما يرام . وفى يوم من الأيام ، بعد أن انتهى من تاريخ جلسة التسجيل ، وبعد أن أنهى عمل يوم كامل فى المكتب ، عاد إلى منزله متوتر الأعصاب ومرهق الذهن ، خطر بباله أن ماريا بدأت تخرج تماماً من حياته . جلس على كرسى ذى مسندين يفكر فى ماريا . أغمض عينيه وحاول أن ينام . ظل ضوء الشمعة يتراقص ، وراح البعوض يئز فى أذنيه . رأى ضوء الشمعة ، وهو مغمض العينين ، وكأنه راقصة ملتاعة تتألم ، تزيت جسمها بفعل العرق .

انبعثت منه رائحة كريهة . آذاه البعوض والنمل ، وفى ضوء الإرهاق الذى أصابه جراء عمل يوم كامل ، ونظراً أيضاً للجهد غير الطبيعى الذى بذله للحاق بالحافلة ، وفى ضوء الكآبة التى أصابته

بسبب درجة الحرارة المرتفعة – أحس وكأن يداً امتدت إليه ونظفت لوح عواطفه ومسحته مسحًا جيداً ، وتخلّى إيدى عن الكرسى وراح فى ثبات عميق على الأرض ، وأثناء نومه رأى حلمًا طويلاً شاهد فيه ماريا وهى تخرج من مرآة قادمة إليه ، وكانت حول رأسها هالة من النور التى حجبت عنه الرؤية بصفة مؤقتة . اندهش عندما رأى وجهها ، لأن لونه كان قد تحير إلى لون المرمر . كانت عيناها جاحظتين ، فى حين كانت أسنانها تبرز من فمها ، سن بعد سن ، عندما كان يطيل النظر إليها . استيقظ من نومه فجأة وهو حزين ويشبه الرصاص داخل معدته .

كان جزء كبير من الشمعة قد احترق . لم يشعر بالارتياح . أحس، على العكس من ذلك ، بالتعب والتوتر ، جلس على الأرض ولم يستطع التنفس بسبب ارتفاع درجة الحرارة . تمنى لو أن البعوض ابتعد عنه مدة ساعة ، حتى يتمكن من استعادة الطاقة التى أنفقها بفعل الحرارة ، وبفعل الغبار ، وبفعل الشغب والعراك . تمنى – ولكنه فى واقع الأمر لم يجرؤ على التمنى – عودة الأنوار . نهض واقفًا ، وبينما كان يجفف وجهه بواحدة من الفوط ، وعندما خطر بباله أن ماريا واقفة على الباب ، خرج من الغرفة . كانت الطرقة مظلمة وخالية من البشر . عاد إلى الغرفة واستأنف نومه من جديد . رأى ماريا فى الحلم مرة ثانية . كانت تمشى مقلوبة رأسًا على عقب عارية ، فى عالم من المرايا .

سألها : ' لماذا تسيرين هكذا ؟ '

قالت : ' غنِّ من أجلى . '

' ولماذا أغنى ؟ '

' كى تؤخر ذلك الذى ألاقيه وأعانيه .'

' وأنا لا أستطيع الغناء إلا بعد عودة الأنوار .'

ضحكت ، ثم رأها بعد ذلك رؤية واضحة . كانت الزهور تنمو فى أذنيها ، وعندما حركت رأسها لاحظ أن الخفافيش ربطت نفسها ربطًا محكمًا فى شعرها .

صرخ ، فطارت الخفافيش من شعرها داخلة عينيه . استيقظ من النوم يتصبب عرقًا .

قال وهو يستشعر شيئًا ما : ' آه ، ياالله ! '

وقف وأشعل شمعة أخرى وأطفأ الشمعة السابقة . جلس على الكرسى وراح يتعجب كيف أنه لم ير ماريا طيلة ثلاثه أسابيع . أحس بالخجل من نفسه . ثلاثة أسابيع ! ازداد خجله أكثر وأكثر إلى حد أنه أتى عليها باللوم لكل الإحباطات التى حدثت فى ذلك اليوم ، وألقى عليها أيضًا باللوم لزحام المرور . لامها أيضًا على ضياع ثلاثة أزرار من قميصه عندما كان يتصارع جريًا وراء الحافلات وهو فى طريقه إلى عمله ، كما أفلح فى إلقاء اللوم عليها فيما يتعلق بالأعطال الكهربية .

أطال لهب الشمعة الأبراص الهاربة ، وكبَّر أيضاً بيوت العنكبوت ، ومع انتصار الحرارة على وعيه ، قرر إيدى الخروج للقاء ماريا ، وهو

يتصبب عرقًا ، كيما يواجهها بما اقترفت يداها ، وبعد أن خلص إيدى نفسه من الإصرار والعناد ارتدى ملابسه ، وترك لوالدته ملاحظه تقول : ' خرجت للقاء ماريا . ولن أتغيب طويلاً .' وأطفأ الشمعة ، وفى الظلام الحالك ، راوده إحساس مفاجئ مفاده أنه تمادى كثيراً فى إهماله ماريا ، بل إن المسألة أصبح من الصعب حلها . ترك مفتاح الغرفة تحت الدوّاسة الموجودة أمام باب الغرفة ، حتى يتسنى لوالدته العثور عليه ، ثم مر من خلال الطرقة ، ومنها إلى المجمع السكنى .

كان الشارع فى انتظاره .

كان الناس يحرقون فى خرابة أمام المنازل ، أكوامًا من النفايات والخردة والقمامة المخزنة منذ سنين . كان ذلك بمثابة آخر أعمال اليأس والقنوط . تفهم إيدى كيف أدى انقطاع الكهرباء فترة طويلة إلى توليد المزيد من التوترات الجديدة . تصاعدت ألسنة اللهب لتضىء وجوه الأطفال الجوعانين . نظر إيدى إلى المستنقع بأعشابه العالية وشجرته الوحيدة التى توقفت عن النمو . عند حافة المستنقع كان هناك مبنى مدرسى جعل الناس من فنائه مجزراً ، أو إن شئت فقل : مسلخًا . كانت الحيوانات تتصارع مع الجبال . كانت الشجرة خالية من الأوراق ، وفى الليل كان يشاهد الديكة تأوى إلى الأغصان الجرداء وتنام فوقها .

تجاوز إيدى منطقة النيران والشجرة المحترقة . كان الجميع يراقبون النار فى صمت . كانت هناك شموع منفردة أمام المنازل ، كما لو كانت المدينة سهرانة طول الليل إلى جوار مرضاها مواساة لهم .

وعندما وصل إيدى إلى الطريق الرئيسى كيما يستقل سيارة من سيارات الأجرة ، رأى وشاهد زحام المدينة المرورى المعتاد . كانت السيارات بلا حراك . انتظر إيدى وصول سيارة شاغرة ، وراح يؤنب نفسه طوال فترة الانتظار . ترى ، ماذا حدث له ؟ من يكون هو ؟ كان على يقين تمامًا من أنه كان حظيظًا عندما التقى ماريا أول مرة ، بل إنه كان أوفر حظا لأنها هى أيضًا كانت تهتم به ، فى الوقت الذى كان فيه موسيقيون آخرون ورجال آخرون يفوقونه من حيث الثراء ، ومن حيث النجاح ، بل ومن حيث الوضع الاجتماعى نفسه . إذن ، ما الذى منعه من معاملة ماريا على نحو أفضل قليلاً ؟ ما هى الأسباب التى جعلته ينظر إليها وكأنها تحصيل حاصل ؟ ابتسم ، هو يعرف السبب . إنهما الغطرسة والعناد اللذان يصاحبان النجاحات الصغيرة ، فقد أصدر مؤخراً ألبومه الأول ، الذى استقبله الجمهور استقبالاً طيبًا ، وكان يحقق مبيعات طيبة أيضًا . أجروا معه مقابلة تليفزيونية ، ولابد أن بعض الناس كانوا يتعرفونه بين الحين والآخر ، والأكثر من كل ذلك ، بل والأكثر من استمتاعه بإخضاعها لإرادته ، أنه بدأت تتملكه طاقة جديدة، أو إن شئت فقل : يقين مفاده أن هناك قوى فى الهواء ، فى رئتى المحولّ، وأن تلك القوى باستطاعتها نفض الصدأ عن الحياة من ناحية ، وتعديل إرادة الروح غير المفيدة من الناحية الأخرى .

انتظر طيلة خمس عشرة دقيقة ، ولكن حركة المرور لم تخف . قرر الذهاب سيراً على الأقدام إلى المكان الذى تقيم فيه ماريا ، إلى الكابينة التى تغوص فى أعماق غيتو مونشن Munshin. عندما بدأ المسير ،

ارتسمت فى ذهنه الصورة التى كان عليها وجهها قبل ثلاثة أسابيع : الوجه الشاحب الذى تتراكم عليه حبات العرق فى المنطقة تحت الأنف ، واكتشف أهمية أن يتذكر عن وجهها أشياء لم يلق لها بالاً فى ذلك الوقت. أحس بظلمه لها ظلمًا كبيرًا، وغلبه على أمره قلق جائر مفاده أنه إذا لم يعجل ويسرع الخطى فلربما بدأت تخرج مع أول رجل محترم يصادف طريقها .

مر على نَبيَّةٍ كانت تقص رؤاها فى الشارع المحمل بالتراب . كانت تحمل لافتة تقول : ' الموت هو ثمن الغرور .' خارج منزل أحد الدجالين المحتالين شاهدت رجلين يهلوسان . كان أحدهما يمسك بدجاجة بيضاء ترفرف بين يديه . رقص الرجلان فى اتجاه إيدى ، وهما يتمتمان ويكشران عن أنيابهما ، كان هذيانهما نوعًا من أنواع الغزو ، وبعد أن تجاوزهما إيدى راحا يغنيان خلفه . عبر موقف الحافلات محاولاً تحاشى الشحاذين الذين كان يبدو عليهم أنهم مصابون بكل أمراض الدنيا وأدوائها على أجسادهم . كانوا مثل الأطياف التى تعلقت به ، وراحت تتعلق بيديه ، ويشدونه من أكمام القميص ، متوسلين إليه أن يعطيهم شيئا من النقود . لم يعطهم شيئًا . دفعهم بعيداً عنه ، ولكنهم كانوا يجرون وراءه يطلبون ويستجدون ويتوسلون . رأى وجه ماريا فى وجه واحدة من أولئك الشحاذات . رآها مثلما كانت فى موقف الحافلات فى يوم من الأيام ، عندما انحشرت فى زحمة الحافلة وخرجت منها وهى تصرخ ، بعد أن انسحقت من كل جانب بسبب عنف التدافع . كانت عائدة إلى منزلها بعد الزيارة التى قامت بها إلى المكان الذى يعيش هو

فيه . راقبها مندهشًا من أن شراسة الحياة العادية فى المدينة لم تهرسها تمامًا .

كان ضوء المساء عامرًا بالجُعْل الكبيرة (*) . تزايد الظلام وراح سكان المدينة يتجولون خلال حُجبٍ من الغبار والتراب . مر على جماعة من الناس وقفوا يحملقون فى الطريق ، كما لو أن شيئًا عجيبًا ومخيفًا كان على وشك الحدوث ، ومر أيضًا على أطفال كانوا يلعبون لعبة الحجلة ، وتحيط بهم ميازيب تصريف المياه .

كانت تلك الجعل الكبيرة ، أثناء طيرانها فى الهواء ، تشكل سحبًا فوق أكوام القمامة والنفايات الموجودة على طول الطريق ، وفوق جبل الزبالة الضخم فى السوق ، كانت تلك الجُعْلُ تصدر ضوضاء حادة جعلت إيدى يعض أسنانه .

ارتسم وجه ماريا فى ذهنه مرة ثانية عندما وصل مفترق الطرق الذى كان الجنود عنده فى حالة تهيج شديد . ضوضاء السيارات ، الأصوات البشرية ، أصوات الموسيقى القادمة من محلات التسجيلات ، كل ذلك لم يكن يصدقه عقل . بدا الأمر مثل آلة مجهولة ، تشكلت موسيقاها من الفوضى البشرية بالغة التطرف ، وأن أوتار تلك الآلة كان يجرى شدها وتوتيرها إلى حد الانهيار . كانت محلات بيع الحلى

(*) الجُعْل : بضم الجيم وتسكين العين ، نوع من حشرات الليل الضارة . (المترجم)

الصغيرة الرخيصة ، ومحلات بيع بالات القماش ، ومحلات بيع الأوانى المصنوعة من البلاستيك ، والمحلات التى تبيع المصنوعات اليدوية – كل هذه المحلات كانت تتلألأ فى غبار مصابيح الكيروسين وفى النور البرتقالى الباهت الصادر عن مولدت الكهرباء .

خطر بباله منظر وجهها عندما كان يضاجعها على الأريكة . كانت تتصرف دومًا كما لو كان فى المضاجعة شىء خاطئ تمامًا . كانت تود ممن يضاجعها أن يغويها ويغريها إلى مالا نهاية ، وكان لابد من جعلها تحس وكأنها ليست مسئولة عما حدث ، أو حتى تمتعها بذلك الجماع . خطر ببال إيدى أنها فتاة غريبة . كانت دائمًا تعض شفتها السفلى عندما تكون مستمتعة بحق . كانت تعض شفتها بقوة ، تعضها بشكل مؤلم ، وهى فى قمة الفرح .

وصل إلى الكوخ الذى يعيش فيه العرّاف ، ومفسر الأحلام . أراد الدخول ، ولكنه خاف من الرؤى التى يحتمل أن تستثيرها تلك الأحلام ، وخاف أيضًا من طلب الهدنة الروحية التى قد يطلبونها لو أنه حكى لهم الأحلام التى رآها فى منامه .

وبعد مضى إيدى قدمًا أدهشه أن يرى ماريا تمشى وهى نائمة . سبق له أن رآها تمشى أثناء النوم ، ولكنه يراها هنا على مرأى ومسمع من الجميع ، وهى تحاول عبور الطريق ، وقد دخل ذلك الرعب والخوف عليها إلى قلبه . بدا عليها أنها كانت غير عابئة تمامًا بحركة المرور وضجيجها . عبر إيدى الطريق خلفها ، وتعين عليه الجرى خلفها نظرًا

لمروق سيارة من سيارات النقل بجانبها ، متجاهلة الجنود الواقفين ، طاردها ، لمسها من كتفيها ، وعندما استدارت لتنظر إليه كاد يغمى عليه ؛ لم تكن هى ماريا ، إنما كانت امرأة كفيفة لها عينان بيضاوان . تراجع إيدى إلى الخلف مترنحًا ، ومضطربًا وهو يتمتم بكلام غير مفهوم، ثم وقف بعد ذلك إلى أن يفيق من تلك الصدمة .

امتد جنون الجنود إليه . كانوا يوجهون المرور بإشارات توحى بالخلل العقلى . كانوا يستوقفون السيارات ، وكانوا يجلدون السائقين ، ويلهبون ظهور راكبى الدراجات النارية ، بينما كان إيدى يقف وسط تلك الأصوات النشاز سمع لحنًا مألوفًا جعله يمسك أنفاسه . كان ذلك اللحن من ألبومه ، وهنا هدأت أنفاسه . وراح يستمع إلى موسيقاه ، وهى تتناهى إليه من أحد محلات التسجيلات ، وقد ارتسمت ابتسامة على شفتيه . كان ينتظر عبارة بعينها ويتوقعها، ولكنها لم تأت مطلقًا . كان التسجيل مشروخًا ويبدو أن راعى محل التسجيل لم يكن فى المحل . ضايقه أن يكون تسجيله محشورًا فى رأس آلة التسجيل . قطب جبينه ، وأتى إشارة تنم عن الغضب ، ثم لاحظ بعد ذلك أن أحد الجنود الذين كانوا ينظمون المرور ، راح يحملق فيه ، ويطيل النظر إليه وقد ارتسمت فى عينيه نظرة حادة . اندهش إيدى لأنه كان ينظر إلى جندى المرور وهو شارد الذهن . بدأ يبتعد عن المكان ، ولكن الجندى ترك تنظيم حركة المرور واتجه صوب إيدى . كان سوطه يتدلى من خلفه، وعندما بدأ الكلام ظن أن الجعل تقفز من فمه .

سأله الجندى : ' لماذا تعوِّج فمك لى ، يا هذا ؟ '

أحدث إيدى بعض الضوضاء غير المترابطة .

واصل الجندى كلامه وسوطه يتدلى خلفه : ' ألا تعجبك الطريقة التى أؤدى بها عملى ، يا أنت ؟ '

لم ينطق إيدى بكلمة واحدة .

' إذن ، ما الذى كنت تنظر إليه ، يا أنت ؟'

' أنا ؟ لا شىء "

' أنا وكيل عريف ، طبعًا أنت تعرف ذلك . '

قال إيدى : ' أنا أعرف ذلك .'

' هل تحاول الاستعراض والاستظراف ؟ '

' أبدًا '

' اتبعنى إذن إلى مركز الشرطة ! '

' لماذا ؟ '

" قلت لك اتبعنى ! '

لم يكن لدى إيدى أى سبب للخوف ، ولكن وكيل العريف حملق فيه، وهو يتصبب عرقًا ، ومحمر العينين ، وكانت رائحة البول تفوح من الزى الذى كان يلبسه .

' لماذا ، ما الذى فعلته ؟ '

صاح وكيل العريف : ' اخرس ' .

' لماذا أخرس ؟ '

قال وكيل العريف بعد أن تفل فى وجه إيدى : ' أنا أقول لك اخرس ! '

مسح إيدى اللعاب من على وجهه وبدأ ينصرف ماشيًا ببطء . خرجت امرأة من إحدى الحظائر وسكبت ملء دلو من الماء المختلط بالطين على الطريق . كانت آلات التنبيه فى السيارات تتبارى فيما بينها واتجهت نحوهم جماعة من الموسيقيين ، الذين كانوا يعزفون على طبول صغيرة باستخدام أصابعهم . كانوا يغنون غناء حزينًا ، وعندما تجاوزوهم ، تهيأت فرصة الهرب أمام إيدى - الذى كان يفكر دومًا فى تطوير الموسيقى التقليديه لتناسب الأغراض الحديثة - وقبل أن يبدأ فى الانصراف كان وكيل العريف قد ضربه بالسوط على ظهره .

أرغى وكيل العريف وأزبد ورفع صوته للمرة الثانية : ' أيها الفأر الغبى ! من أنت حتى ترد علىَّ عندما أتكلم ! '

لم ينتظر إيدى السوط الثانى ، وخطف السوط من يد الجندى ، ودفع وكيل العريف بعيدًا عنه ولاذ بالفرار وسط موكب الموسيقيين . داس وكيل العريف على الماء المخلوط بالطين وسقط أرضًا ، وتناول بعض أمعاء الدجاج ظنًا منه أنها السوط ، ثم راح يطارد إيدى .

كان الموسيقيون يغنون أغانى عن الحكومات الفاسدة ، وعن الطرق السيئة ، وعن انقطاع الكهرباء ، عندما ضرب الجندى وجه أحدهم بأمعاء الدجاج ، ونجا إيدى - وهو يحاول الهرب - بأعجوبة من السقوط

فى أحد أبيار المجارى عبر الطريق، ثم اختفى خلف المراح الذى تتحرك فيه الماعز المربوطة حركة تنم عن قلقها وعدم ارتياحها .

شم رائحة البول . البول البشرى والبول الحيوانى .

كان المعلمون ورعاة الماعز نائمين كل على حصيرة .

راح فى ظلمة الليل ، يراقب الموسيقيين وهم يتصايحون مع وكيل العريف ، ويدفعونه دفعًا ينم عن غضبهم واستيائهم منه . بعد اختفاء وكيل العريف فى بئر المجارى ، هنا فقط أدرك إيدى أنه شاهد انتقامًا إلهيا . ضحك إيدى ، واجتاز الطرف الآخر من مراح الماعز . عبر الطريق وواصل المسير . أحنى رأسه قليلاً وهو يمر من خلال البوابة غير المرئية التى مر من خلالها إلى غيتو مونشن Munshin الجهنمى .

وجد إيدى نفسه يتحرك بصورة مستمرة عكس انسياب الجماهير البشرية . راح الشحاذون يتقاطرون نحوه . جماعات المدّاحين ، الذين يكسبون عيشهم من تملق المواطنين أصحاب النفوذ ؛ كل أولئك مروا عليه وتجاوزوه . خطر ببال إيدى ، عندما تذكر المرة الأولى التى ذهب فيها للقائها فى المكتب ، كيف كان مكتبها بجوار النافذة وكان الجو حارًا . كانت الشمس تتسلط عليها بلا رحمة أو هوادة ، ومع ذلك بقيت واثقه من جمالها والفارق الذى أحدثه ذلك الجمال . كانت أكثر النساء اللاتى التقاهن فى حياته تحديًا . كانت دائمًا تراوغه بشكل أو بآخر ، كما لو كان الضباب يغلفها ، ولم تكن مسألة فهمها على حقيقتها أمرًا سهلاً . كل ذلك جعله يستعر جوعًا لمعرفة المزيد عنها .

اشترى بعضاً من المكسرات المقلية فى الرمل ، ومرت عليه سيارتان من سيارات النقل كانتا تسيران بسرعة عالية . شعر بالغثيان على أثر الروائح التى تخلفت عن هاتين السيارتين ، عجز عن التنفس ، يضاف إلى ذلك أن سحب الغبار جعلته يحس بالعطش . توقف أمام كشك من أكشاك بيع المرطبات واشترى لنفسه زجاجة من مشروب الفانتا . كانت المرأة التى تبيع الفانتا لها وجه مكتظ باللحم والدهن ، كما كان شكلها العام متيناً نظراً لعدد الفوط التى تلفها حول خصرها . تحدثت كثيراً وهو يشرب زجاجة الفانتا . قالت إن الحكومة كانت تفعل التعتيم عامدة متعمدة حتى يقوم الناس العاديون برشوة المسئولين فى المجلس . كان قد أتى على ربع زجاجة الفانتا ، عندما أضافت البائعة أن ذلك حدث نظراً لأن الحكومة احتقرت شعبها ، كما أن الحكومة كانت تود للمواطنين أن يتوهوا فى الطرق البرية غير المعبدة ، ويختفون فى المصارف المكشوفة وفى أبيار المجارى ، وبعد أن أنهى على نصف زجاجة الفانتا ، كانت البائعة قد غيرت نظريتها تماماً . قالت إن الأعطال الكهربية حدثت نتيجة أعطال التشحيم فى المولدات .

قالت وهى تضحك : ' معظم الحكام العسكريين يمتلكون شركات .'

اهتزت ضخامة جسمها بفعل ضحكها . خطر ببال إيدى أن وجهها ينم عن الكرم . ضحك هو أيضاً ، فقد أصابته عدوى خفة ظلها ، ولكن وجهها تجهم بعد ذلك وقالت :

' هذا أمر لا يستدعى الضحك . '

استمر إيدى فى ضحكه .

' لقد مات طفل فى المجمع بسبب ذلك .'

انتهى من شرب زجاجة الفانتا ودفع ثمنها ، ورمت له الباقى على الطاولة .

قال : ' يؤسفنى أن أسمع ذلك يا سيدتى .'

قطبت جبينها ونظرت إليه :

' أنا أسفة لك ' ، ثم ظهر بعد ذلك على وجهها تعبير عدائى ، وأضافت قائلة :

' ومن تكون حرمتك ، يا أنت ؟ '

انعكس ضوء مصباح الكيروسين على جبهتها . ما زال وجهها ينم عن الكرم ؛ خطر كل ذلك ببال إيدى وهو يجول خلال منطقة السوق المترامية الأطراف .

حوم نسران فى السماء . فى البداية لم يكن متأكداً منهما . مراً على جثمان رجل بالغ ملقى على كومة من القمامة على جانب الطريق . كان الجثمان شبه مغطى بقشور السيام ، وأمعاء الأبقار والماعز المتعفنة. كان الناس يتحلقون حول الجثمان يراقبونه كما لو كان سيصحو فجأة بفعل شيءٍ غير عادى . أحس إيدى أنه سبق له رؤية ذلك الرجل ، ولكنه لم يكن متيقناً من ذلك . أهو وكيل العريف ؟ لا يمكن أن يكون هو . كان الذباب مشغولاً فى فترة ما قبيل الظلام . اندفع إيدى من خلال الحشد

الواقف ، وتناول عصا وراح يبعد الأمعاء من فوق جثمان الميت . أعيته الرائحة الخبيثة الصادرة عن القمامة . كان على وشك أن يسحب الجثمان بعيداً عن كوم القمامة عندما لاحظ أن عينى الميت كانتا مفتوحتين . أطال الواقفون النظر إلى الجثمان ، ومرقت سحلية على وجه الميت وبدأ يتحرك فجأة . فرت جماهير البشر . هربوا عبر الطريق وقلبوا طاولات البيع والشراء عندما كانوا يسارعون هاربين . تراجع إيدى إلى الوراء ، بينما كان ضوء الوضوح يجىء ويروح فى ذهنه ، وكأنه وصلة سائبة وغير محكمة . نهض الميت واقفًا ، ونظر إلى إيدى نظرة نارية ، ثم قال :

' فى البداية تغوطوا علينا ، ونحن حاليًا نتغوط على أنفسنا . '

لم يعرف أيدى إلى أين يهرب . اقترب الميت منه اقترابًا بطيئًا ، حاملاً معه تشكيلة هائلة من الروائح الكريهة . تراجع إيدى إلى الخلف . توقف الميت ، ثم رفع يده اليمنى إلى أعلى ، وبأصبع واحد يشير نحو السماء ، مثل واعظ مخبول ، وقال بصوت قوى جبار :

الثورة !

فى تلك اللحظة أدرك إيدى أن الحرارة لا تطاق ، وكان الهواء ساكنًا . وشقت الجماهير طرقها عنوة ، مندفعة بعيدًا عن إيدى ، إلى أن وجد نفسه منغمساً فى سيل من التحركات المرتبكة حتى أفضى به إلى مكان بعيد عن الميت وعن موعظته .

وصلت إليه البراغش (*) بفعل الحرارة ، هبت الريح هبوبًا لطيفًا . خطر بباله مظاهر الاكتئاب التى رآها على وجه ماريا ، عندما عادت من عملها ، إذ كان وجهها مرهق ويغطيه الغبار . تذكر أيضًا يوم أن تسلطت على ذهنها فكرة الموت ، وراحت تلقى نظرة على إعلانات العزاء، معلقة على ذلك العدد الكبير من صفحات الصحف التى تحمل مثل هذه الإعلانات ، واستمرت فى جذب انتباهه إلى القصص الإخبارية التى تدور حول الحوادث التى تقع على الطرق ، وإلى عمليات السرقات المسلحة ، واغتيال الناس ، والقتل الذى ينتج عن الطقوس الدينية ، والإعدامات العسكرية التى يجرى تنفيذها على شاطئ البحر .

دخلت حشرات البراغش فى أنفه وكان عليه أن يتمخط فى منديله تمخطًا شديدًا كيما يخرج تلك الحشرات من أنفه ، وهنا أدرك ، وللمرة الأولى، مدى صعوبة الأمر على ماريا ؛ إذ كان من عادتها الصياح دومًا والتباكى نظرًا لأنها لم تكن تستطيع الحصول على عمل جيد أو الترقى إلا إذا قل احترامها لجسدها ، وعندما اقترب من اختناق وقف أمامه الجمهور محاولاً اجتيازه من خلال فراغ ضيق ، تذكر مدى الغرابة التى طرأت على ماريا عندما انطفأت الأنوار . أزعجه أنه لم يكن يعرف على وجه الإطلاق اللحظة الدقيقة التى بدأت ماريا فيها تخاف الظلام وتخشاه . بدأت تتوارد على ذهنه تلك الأشياء التى سبق أن قالتها ماريا. كيف أنها استطاعت إطالة التحديق فى ثعبان من الثعابين فى

(*) البرغشة : حشرة من فصيلة الهاموش . (المترجم)

الفناء الخلفى إلى أن أجبرته على إغماض عينيه . توارد على ذهنه أيضاً كيف أن الجنود كانوا يستوقفون الحافلات ويصادرون أية امرأة لأتفه الأسباب ، وكيف حدث فى يوم من الأيام ، عندما كانت تمارس أحلام اليقظة فى المكتب ، أن دخلت ثلاثة أرواح ذكرية من خلال الجدران ، وحاولوا إجبارها على معاشرتهم جنسيا .

خطر ببال إيدى ، أن الدنيا كلها تحاول التهام جمالها ، عندما كان يتجاوز ذلك الاختناق الضيق . المشكلة سببها طاولة المرأة التى تبيع عليها أشياءها . كان فى ذلك الاختناق الضيق هو الأكبر على امتداد أميال عدة من حوله . كانت فى ذلك الاختناق معروضات فوضوية غير منظمة من الدلاء المصنوعة من الألومنيوم ، ومعروضات من التقاويم ، والأوانى والتماثيل الصغيرة والأقنعة والمصابيح ، ومسألة عبور الناس من خلال المسافة ما بين طاولة البيع والطريق حتمت وجود شىء من النظام ، ومع ذلك كان الجمهور يتزاحم ويتدافع ، ونظراً للتزاحم الذى لقيه إيدى من جميع الجوانب ، توصل إلى قرار مفاده أنه لقى ما يكفيه من المعاناة فى ذلك اليوم . حاول الاستدارة والعودة إلى منزله ، وفى نيته التقاء ماريا فى يوم آخر ، وهنا أدرك أن الرجوع إلى الخلف أسوأ من التقدم إلى الأمام ، وهنا راحت إحدى الفتيات تقوى وتصيح فى جمهور الحاضرين ، وشق إيدى طريقه خلال الجمهور وخرج وجسمه يتصبب عرقًا .

عندما مر إيدى على محل يبيع محفورات ومنحوتات تقلد منحوتات الأسلاف والأجداد ، خطر بباله شىء غريب قالته له ماريا ، وهو أن

رجلاً من المكتب الذى تعمل فيه أقسم بأغلظ الإيمان أنه سيجعل منها امرأة له ، حتى وإن استدعى ذلك منه استعمال السحر ، وفجأة ، وكأنما ارتباك المدينة وزحامها أدخله فى دور من أدوار الهلوسة ، راح يقابل ماريا فى كل مكان . كان يرى وجهها طافيًا فوق وجوه النساء المسنات . رآها أيضًا فى عيون النساء اللاتى كن يمرقن راكبات الدراجات النارية. ظن أنه رآها من الخلف ، إذ اختفى رأسها وكتفاها فى زحام السوق .

عبر العديد من مفترقات الطريق ، قفز فوق كثير من ميازيب تصريف المياه متحاشيًا بذلك أولئك الذين يدفعون عربات ' الكارو ' ، وراح يمسك بالذباب فى أذنيه بينما كان ينصت إلى الموسيقى التى كانت تنبعث من محلات التسجيلات . خطر بباله أن الفوضى عندما تكون هى بمثابة الرب فى عصر من العصور ، تصبح الموسيقى الصاخبة بمثابة الآلة الرئيسية عند مثل هذا الرب . لم يستوعب تلك الفكرة أو يتفهمها تفهمًا كاملاً ، ولكنها أوضحت أسباب تعلقه بالموسيقى وانجذابه إلى ذلك النوع من الموسيقى الذى يقوم على خطوط لحنية واضحة وملتهبة . خطرت بباله تلك المرة الأخيرة التى ذهب فيها إلى ' البلاج ' بصحبة ماريا .

قالت وهى تشير إلى القرابين التى طردتها أمواج البحر إلى الشاطئ كما لو كانت صلوات مرفوضة : ' حتى بحارنا أصابها مس من الجنون .'

خطر ببال إيدى : ' هذه بنود جديدة . نحن بحاجة إلى بشرات وجلود جديدة حتى نستطيع مسايرة ما يجرى . نحن بحاجة إلى أغانٍ جديدة .'

أضافت ضاحكة : ' نحن بحاجة إلى أجهزة عصبية جديدة .'

سمع ضحكها من خلال النافذة ، وبينما كان يهم مسرعًا إلى غرفتها اكتشف أن توقعه لم يكن صحيحًا فحسب، وإنما تعترضه كثير من المصاعب ، اتقد داخله إحساس غريب عندما سمع صوتها . طرق باب غرفتها . فتح له الباب رجل لم يسبق له أن رآه مطلقًا فى حياته .

' نعم . عَمّن تبحث ؟ '

' نظر إيدى محملقًا داخل الغرفة . وجد مجموعة من المسنين والمسنات واقفين من حول السرير .

' هل ماريا موجودة هنا ؟ '

' من أنت ؟ '

' تسأل من أنا ؟ '

' نعم . أنت .'

كان الرجل الذى فتح الباب أحول ، كما كانت تغطى وجهه شبكة معقدة من التجاعيد .

' اسمى إيدى ... '

نادته ماريا بعد ذلك بصوت ضعيف وطلبت منه الدخول . دخل إيدى الغرفة فى ذلك الجو المحزن . وقف إلى جوار الواقفين حول السرير. كان وجه ماريا أكثر شحوباً من ذى قبل ، وكانت مغطاة إلى عنقها بقطعة من القماش الأبيض ، كما كانت تربط رأسها بعصابة حمراء اللون . كانت عيناها محمومتين . كانت واهنة بشكل لا يصدقه عقل ، وتحددت قسماتها ، وجحظت عيناها . كانت تفوح من الغرفة رائحة حامض الفنيك ، ورائحة البخور، كما كان هناك أيضًا قربانٌ حيوانىٌّ فى الغرفة . راحت النساء المسنات يلمسنها ويتمتمن بصلوات فى سرهن . كان الرجال المسنون ينظرون إليها بحزن بالغ انعكس على عيونهم . كانت هناك فتاة جميلة صغيرة تجلس على السرير إلى جوار ماريا . كانت الفتاة تصيح وتنتحب ، وراحت عينا ماريا تداومان الانغلاق ببطء والانفتاح فجأة ، وعندما بدا عليها أنها راحت فى النوم غادر المكان المجتمعون حولها ، وتحتم على والدة الفتاة الصغيرة أن تنقلها بعيداً نظراً لأنها كانت لا تود ترك ماريا . كان إيدى ما يزال يستمع وهو خارج الغرفة إلى صوت الفتاة الصغيرة التى كانت تبكى . كانت الشمعات السبع تخفق فى ركن من أركان الحجرة ، وسرعان ما أصبح إيدى الشخص الوحيد المتبقى فى المكان . جلس على السرير ، وفتحت ماريا عينيها وقالت :

' أنا مشغولة عليك . '

' ماذا بك ؟ '

' لا شىء . '

' ماذا تعنين ؟ لابد أن بك شيئًا . '

' أنا بخير . '

كانت هناك مجموعة من زجاجات الدواء موضوعة فوق الطاولة الموجودة إلى جوار السرير ، وفى كل أرجاء الغرفة ، وكما لو أن طبيبًا من أطباء الطب الشعبى قد زار الغرفة ، كانت هناك أوانٍ مملوءة بالمياه العشبية التى تطفو فوقها أوراق الأشجار ولحاؤها . كانت هناك أسحار معلقة على جدران الغرفة الأربعة ، كما كان هناك سحر خامس معلق فوق حلق الباب من أعلى . لم يسبق له مطلقًا رؤية تلك الأسحار فى غرفة ماريا .

' أنا خجلانة وآسفة على تصرفى معك فى المرة الأخيرة . '

كان مصباح الكيروسين ينتج سناجًا أسود ، كما كانت هناك ظلال كبيرة تحوم حول الغرفة . كان البعوض يئز داخل الغرفة وفى كل مكان، كما كان الجو حارًا وخانقًا ، ومع ذلك لم تتعرق ماريا .

' هذه المدينة المجنونة تضع العراقيل أمامى وأنا فى طريقى إليك ، لتحول بينى وبين الوصول إليك ، فقد استغرق حضورى إلى هنا أكثر من ثلاث ساعات ، ولكن كيف حالك يا ماريا يا حبيبتى .'

قالت : ' أنا أواجه الموت وجهًا لوجه . '

' ماذا حدث ؟ '

' لا أحد يعرف . من رأى عمى، الطبيب الشعبى ، أننى أصبت بالتسمم جراء عضة من ثعبان . '

' تقولين ثعبان ؟ ما هذا الذى تقولين ! '

' أنا لا أعرف ماذا حدث لى ، فأنا أشعر بالإعياء . كدت أموت على امتداد يومين . لم تكن لدى رغبة فى تناول الطعام ، ولم أكن أقوى على المشى ، أو فعل شيء ، وهذا هو أول يوم أستطيع الكلام فيه مع أى إنسان . '

قال : ' ما عليك ' وهو يلمس جبهتها . أحس حرارة شديدة فى بشرتها .

واصلت كلامها قائلة : ' لقد رفتونى من عملى مؤخراً ، فقد وصلنى خطاب الفصل بالأمس ، أى بعد أسبوع من إرساله . أين كنت طوال هذه المدة ؟ '

' كنت غبيا جدا ، وأنا أستحق العقاب . لقد افتقدتك كثيراً . أنا آسف . '

' احتفظ بأسفك لنفسك . ' قالتها ووجهها يتهلل بشراً . ' كنت أتقيّأ ما لا يقل عن مرتين كل يوم . أحس كأن رأسى يشبه طبلة الساحر . ماذا أفعل بأسفك ؟ ربما كنت قد مُتُّ أثناء غيابك . '

' أرجوك ، لا تقسى علىَّ . '

' ولِمَ لا ؟ '

' أنت لا تعرفين مدى المعاناة التى لقيتها فى الوصول إلى هنا اليوم . '

' وماذا بعد وصولك إلى هنا ؟ وأنا أقطع هذه الرحلة يوميا . كل يوم بيومه ، وأنا فى طريق عودتى من عملى . يجب أن تعلم أنك لست وحدك الذى يعانى . '

نظر إيدى إلى وجهها الضعيف ، وإلى عينيها اللامعتين ، وهنا استشعر إحساساً مفاجئًا جعله يبكى وينتحب . لم تهدِّئه ، أو تواسِه . راحت ترقبه بعينين لامعتين لا تعرفان الرحمة ، وعندما استطاع تمالك نفسه سألها :

' كيف حالك الآن ؟ '

' أنا بخير . '

' أنا أعنى ما أقول . '

' أنا فعلاً بخير . '

كانت تخاطبه كما لو كان غريبًا ، إذ كان صوتها خاليًا من الود والحنان . حملق فيها ، فى حين راحت هى تطيل النظر إلى سقف الحجرة .

قال : ' رأيت فى الحلم أنك توفيت . '

ارتعدت

' أنا لم أمت بعد . '

' فهمت من ذلك الحلم أنك لم تعودى تحبيننى بعد . '

' أنت لن تعرف مطلقًا . '

' هل توقفت عن حبى فعلاً ؟ '

أغمضت عينيها . صمتا هما الاثنان ، ثم قالت بعد ذلك : ' حلمت أن البائعات فى السوق رجمتك بالأحجار إلى أن توفيت . '

' لا تقولى مثل هذه الأشياء . '

' وفى الحلم تعين علىّ أن أموت كيما نعود إلى الحياة مرة ثانية . '

' أنت تخيفيننى . '

نظرت إليه كما لو كانت لم تره من قبل .

سألها : ' هل تستطيعين المشى ؟ ' سألها ذلك السؤال كيما يغير موضوع الحديث .

' لماذا ؟ '

' الجو حار هنا . هيا بنا نخرج لنستنشق شيئًا من الهواء النقى المنعش . '

' هل معك وعاء ؟ '

' لماذا ؟ '

' لتلاقيه فيه . '

' وما هو ذلك الذى سألاقيه ؟ '

' لا شيء . '

أطال النظر إليها ، ثم اقترب منها . ابتسمت .

' منذ فترة طويلة وأنت غافل عما حدث لى . '

' ماريا ، لا تقولى هذا الكلام . '

قبلها قبلة عاطفية . لم تستجب له . كانت شفتاها حارتين . ارتعشت مرة ثانية ودفعته بعيداً عنها .

' ظننت أنى لن أراك ثانية . '

' مستحيل . '

' أنا لا أراك إلا عندما تريد منى شيئًا . '

قال : 'أنت مخطئة فيما تقولين .' قالها وهو يشعر بالخجل والانكشاف .

' هل تريد شيئًا تشربه ؟ '

' لا . أشكرك . '

' أنا مضيفة سيئة اليوم . '

' لا تشغلى بالك بهذا الأمر . '

' فى حلم من الأحلام التى رأيتها شاهدت عنزة كانت تتحدث معى بصوتك . '

نظر إليها حائراً ومرتبكاً .

' وفى حلم آخر رأيتك تجلس في غرفة مظلمة ، وتغنى فيها . ولم يكن أحد يستمع إليك سواى . '

تنهد .

' هل كتبت أغانى جديدة . '

كان يود إخبارها بالأغنية التى كان يعتزم كتابتها فى مدحها والثناء عليها ، ولكنه قرر الاحتفاظ بذلك كسر من الأسرار .

كذب عليها قائلاً : ' أنا أكتب أغنية عن شجرة تحترق . '

بعد أن قال تلك العبارة أدرك أنها تصلح أن تكون فكرة جديدة .

' وماذا عن الشجرة التى تحترق ؟ '

' لقد حرقوا شجرة بالقرب من منزلنا . '

' المدينة كلها تحترق . '

' المفروض أن تكونى قد رأيت الشجرة . '

' وأنت كان ينبغى عليك أن ترى ما رأيته أنا . '

' ماذا ؟ '

' لا شيء . '

قبَّلها مرة ثانية .

قال : ' هيا بنا نخرج فى الهواء الطلق . '

' أنا لا أستطيع الابتعاد عن هذا المكان . '

' هيا بنا نقوم بنزهة قصيرة سيرًا على الأقدام . '

بينما كانت تتدبر الأمر ، كشف الغطاء من عليها . كانت شبه عارية من أسفل . انكمشت معدتها ، وكانت عيناه جوعانتين .

' أتود أن تأكل امرأة مريضة ؟ '

قبل معدتها ، وتشمم رائحة الأعشاب على بشرتها . أمسكت برأسه بين ثدييها الممتلئين . قبلها وراحت تتأوه ، ثم نهضت من السرير ولفت الملاءة البيضاء حول نفسها . كانت عظامها تطرقع .

قالت وهى تضحك : ' أنا أبدو مثل امرأة مسنة . '

فرشت شعرها وارتدت ملابسها ، ووضعت مكياجًا على وجهها . وعندما انتهت مما تفعله قالت :

' الهواء ردىء . '

تجاوزا الأكواخ وطاولات البيع . بدأت تتكلم مثل شخص أصابته الحمى ، كانت كلماتها غير محكمة :

' ذات ليلة ، منذ حوالى ثلاثة أسابيع خرجت لقضاء الحاجة فى دورة المياه ، ورأيت رجلاً له ثلاث رءوس جالسًا أمام باب المرحاض ، وسألته من يكون ورد على بصوتك . خفت ، وبينما كان يتكلم كانت عيونه

الست تلمع أمام عينيّ فى الظلام ، ثم سمعت شيئًا من الفحيح . أحسست بشىء يلمس رجلى . جريت داخلة إلى غرفتى وطرقت أبواب غرف الآخرين وعدت ومعى مصباح وسكين ، ولكن الرجل كان قد اختفى . حكيت للناس عن ذلك الذى رأيته وفتشنا المجمع ولم نجد شيئًا ، وعندما ذهبت إلى عملى فى صبيحة اليوم التالى رأيت ذلك الرجل ، الذى حكيت لك عنه ، والذى هددنى باستعمال السحر ضدى ، جالسًا على مكتبى . ترك المكتب ، ولكنه كان يبتسم ابتسامة غريبة كلما رآنى ، وبدأت أشعر بالمرض عندما عدت من عملى فى ذلك اليوم . هذا هو ما حدث . بدأت لا أنام إلا عندما يكون النور من حولى . لماذا لم تأت لترانى طوال تلك المدة ؟ '

لم يكن لديه عذر سوى التباهى والخيلاء . واصلا مسيرهما ، ثم أردفت تقول :

' وطوال تلك الفترة كنت أرى فى منامى أحلامًا غريبة . كان المتنبئون والمتكهنون يطاردوننى ، وهم يُغَنُّون . المتوهمون ذوو الأرجل الواحدة كانوا يهلوسون ويهذوون من حولى . رأيت فى منامى أيضًا سيدات يرتدين السواد ويسكبن الملح من أكياس فى أيديهن . سكبن الملح إلى أن كوّن منه جبلاً أبيض ، ثم بدأن فى تعبئة الملح فى الأكياس من جديد ، وبعد أن انتهين من ذلك رُحْن يسكبن الملح من جديد . رأيت فى منامى أيضًا أجسام الموتى تخرج من القبور وتسير فى السوق . اشتروا ثمار الكولا من السوق وأطالوا النظر إلى الناس وحملقوا فيهم . كنت أنا فى عرض البحر وأنت مجرد طائر يطير بعيدًا عنى ، فهل أنت كذلك ؟ '

ضحك إيدى الذى كان ينتابه مزيج من الخوف والحرج . تلك الماريا التى سبق أن عرفها تحولت الآن إلى شىء مختلف ، تحولت إلى مرحلة ضبابية يصعب فهمها . كانت هناك قوة عجيبة تنبثق من وجهها . يبدو أن المرض قد شحذ روحها وجعلها أكثر حدة .

قالت : ' أنا أكاد أموت . '

أمسك إيدى بيديها .

' كلام فارغ . لا تتكلمى بهذه الطريقة . '

مشيا فى صمت .

' قالت بعد شىء من الوقت : ' هيا بنا نعود . أنا لست قوية بما فيه الكفاية . '

استدارا وبدءا رحلة العودة .

' لماذا لا تغنى لى ؟ '

غنَّى لها .

لم يسبق له أن غنى مطلقًا لأى أحد فى الشارع . غنى عن مُصلِّح الدراجات الذى كان يرى فى منامه أنه يركب الدراجة ويقودها فوق سطح مياه البحر . غنى عن الأصدقاء الذين ماتوا فى الحرب الأهلية ، غنى عن الجنود المجانين ورجال الشرطة الجوعانين ، غنى عن الأطفال الذين ينشأون ضعافًا واهنين ، غنى عن بنايات المدينة التى كانت تغوص فى الأرض ، وغنى أيضًا عن الحب : حبه لماريا ، وحب ماريا للعالم ،

وانجرف مع ارتجالاته الغنائية ، وعلا صوته مغطيًا على الأصوات الصادرة من محلات التسجيلات ، كما غطى أيضًا على جؤار الصقور . لمسته على ذراعه وقالت :

' هذا يكفى . '

واصل الغناء ، ثم أردفت هى قائلة :

' أم أنك تحسب نفسك أورفيوس (*) ؟ '

توقف عن الغناء .

التقيا عم ماريا بالقرب من المنزل ، عمها الطبيب الشعبى . كان يضع فى شعره ريشة خضراء ويلف حول وسطه قطعة من القماش الأحمر . كان بصحبته صبى وسيم ، يعمل شماساً .

قال لماريا بلهجة حادة : ' ادخلى واستريحى استعداداً للمرحلة الثانية من العلاج . '

دخلا الغرفة ، ونامت ماريا فى سريرها وراحت تطيل النظر إلى إيدى كما لو كانت تتمنى أن يكون جريئًا وجسوراً ومقداماً ، ولكنه عندما لمس ركبتها نظرت فى اتجاه الباب وقالت :

' حتى الناموس يغار هو الآخر فى هذه الحرارة . '

رقد معها بهدوء فى السرير . استمع إليها وهى تتكلم بصوت عال

(*) أورفيوس : إله الموسيقى والألحان العذبة عند الإغريق القدامى . (المترجم)

عن البحث عن عمل جديد ، وحياة جديدة . بدأ النعاس يغالبه بسبب شدة الحرارة . نام فترة وجيزة ، ورأسه على صدرها . كانت أنفاسها المضطربة ترفع رأسه وتخفضه ، ثم أيقظته فجأة .

' دخلت الغرفة الآن روح . إنها تحملق فيّ طول الوقت . '

' أين ؟ '

أشارت في اتجاه الشموع السبع الموجودة في أحد أركان الغرفة . لم يرَ شيئًا . اعتدل جالسًا في السرير . كانت شمعة من الشموع قد انطفأت .

سألها : ' هل أنت متعبة ؟ '

قالت : ' أحبك . '

' هذا هو ما يقوله السياسيون للناس . '

' سأبقى معك الليلة وإلى الأبد . لن أتركك مطلقًا ، وعندما تتحسنين أتمنى أن تكوني زوجة لي . '

ضحكت ضحكة بلهاء ، ثم التزمت الصمت مرة ثانية .

' هل سمعتِني ؟ '

بقيت صامتة ، ثم بدأت شفتاها ترتعشان . وارتعدت ساقاها . انفتحت عيناها وراحت تطيل النظر نحو الأمام ، أطالت النظر إلى شيء محدد تمامًا ولكنه غير مرئي .

' وهل أنت على ما يرام ؟ '

ازداد ارتعادها سوءاً . تعلقت به وغرزت أظفارها فى ذراعيه بينما كانت تحملق نحو الأمام . بدأ السرير يتذبذب ويهتز . انهمرت الدموع على خديها . اضطرب إيدى ، وهزها . صرخت صرخة حادة أصابت إيدى بالصمم فترة وجيزة . عندما أفاق مما أصابه كانت قد نزلت من السرير وبدأت تجرى داخل الغرفة ، مصطدمة بالجدار ، وكأنها كانت تقاتل شيئًا خياليا كان يكتم أنفاسها .

جرى إيدى نحوها ، ولكنها فرت هاربة منه ، كما لو كان عدوا لها . أمسك بها ، أحكم قبضته عليها ، وطرحها أرضًا . رفسته وخربشته وهى تقاومه ، ثم صاحت بصوت غريب ومخيف صادر عن حلقها قائلة :

' اتركنى ! اغرب عنى ! لا تحضر إلىّ مرة ثانية ! '

قاومته مقاومة وحشية وجعلت عنقه ينزف دمًا . وبعد أن أصاب أيدى الرعب والفزع ، ذهب واستدعى عمها ، وعندما دخل الغرفة كانت قد عادت إلى الهدوء . حملها إيدى ووضعها على السرير . كانت تبدو شاحبة اللون ، كما كانت عيناها مغمضتين ، ويبدو أنها كانت نائمة . بدأ عمها فى إعداد العلاج الشعبى العشبى ، وبعد برهة فتحت ماريا عينيها ونظرت إلى إيدى نظرة حزينة .

قالت : ' ابتعد ؛ فأنا لا أود أن ترانى على هذا الحال . '

' لا . لن أبتعد عن هذا المكان ، وسوف أبيت هنا هذه الليلة . '

' وماذا عن أمك ؟ ألن تقلق عليك ؟ '

قال : ' استريحى ، ولا تشغلى بالك بأى شىء . '

سمعوا طرقات على الباب .

' انصرف الآن ! '

' لن أنصرف . '

' سوف أجىء إليك وألقاك . '

' متى ؟ '

' عندما أستطيع ذلك . '

انفتح الباب ودخل أقارب ماريا . كانوا يحملون معهم مسحة من الحزن . دخلوا الغرفة ونظروا إلى إيدى شذراً، نظروا إليه كما لو كان متطفلاً يقحم نفسه فيما يجرى ، أو كما لو كان مسئولاً عما يجرى لماريا . عندما دخلوا نهض إيدى واقفًا من السرير ، وقف وهو يشعر بالوحدة والعزلة ، أحس أيضًا بأنه غير مرغوب فيه . أشارت له ماريا . اقترب منها ، وهمست له قائلة :

'ما الذى جعلك تظن أنى سوف أنتظرك ، بأى حال من الأحوال ؟'

' أنا لا أفهم ما تقولين . '

' أنت تعاملنى معاملة سيئة . '

' أرجو أن تسامحينى . '

' أفضل لك أن تنصرف قبل أن يجعلك أقربائى تحس بأنك شخص غير مرغوب فيه . '

انحنى فوقها ، ولكنها لم تقل شيئًا غير الذى قالته . ضاعت الحياة من عينيها . لم يكن متأكداً أنها كانت قد راحت فى سنة من النوم أم دخلت فى غيبوبة ، ثم تحركت شفتاها بعد ذلك . انحنى فوقها ثانية .

قالت بصوت واهن : ' قد أكون لك إلى الأبد . '

بقيت بعد ذلك بلا حراك . نظر إليها .

قال عمها محتدا : ' إياك ! '

انتظر إيدى ، ولكن ماريا لم تتحرك .

قال عمها : ' آن أن تتصرف الآن . '

نهض إيدى واقفًا دون أن يدرك ذلك الذى كان يفعله ، وحيا الجميع تحية آلية ، وخرج يتعثر فى الفناء الخارجى . مر على الشماس الوسيم الشاب ، وبينما كان يبتعد عن منزل ماريا ، مرتبكًا ، خطر بباله أنه كان يسمع صوتها يدوى ضاحكًا خلال الغبار الأصفر فى هواء الليل .

إنها فتاة غريبة . مر على أطفال يلعبون على نواصى الشوارع . اختصر الطريق عبر المناطق الخلفية من المنازل ، وقفز الكثير من ميازيب تصريف المياه الراكدة . إنها فتاة غريبة بحق ، ظل ذلك الخاطر يشغل باله وهو يشق طريقه نحو الطريق الرئيسى . رجل له ثلاثة رءوس يقف أمام باب دورة المياه ؟ ترى ، ما هذا الذى دخنته ؟ ابتسم عندما

تذكر ذات صباح ، عندما استيقظ فى ساعة مبكرة ، أن عنزة كان يجرى ذبحها فى المجزر المواجه لبيتهم ، فخطر بباله فى ذلك الوقت أن امرأة كان يجرى قتلها ، وكيف أنه دق ناقوس الخطر وطلب النجدة والغوث ، ولم يغب عن ذهنه هو أيضًا أن أهل المجمع بعد أن تجمعوا طرحوا عليه السؤال نفسه : ' ما هذا الذى دخنته ؟ '

عندما وصل السوق المزدحمة تبين العديد من الرءوس الطافية فوق الضباب الغبارى الأزرق من خلال الظلام . كان الناس ما يزالون يتوافدون عائدين من أعمالهم أو من زياراتهم . هؤلاء هم الباعة الجائلون ينادون على بضاعتهم . سمع من يصرخ ويقول ' حرامى ' فى أعماق السوق . ترددت الصيحات فى الهواء ، وأعقبها الصراخ ، ثم خمد ذلك الصياح والصراخ . مر على طاولة من طاولات البيع حيث شاهد رجلاً مُرتب الشعر يعظ الناس . كان الملتفون حول ذلك الواعظ يحذر كل منهم ويطلبون من بعضهم مراقبة جيوبهم ، نظرًا لأن الوعاظ غالبًا ما يكونون على صلة باللصوص .

انتابت إيدى بعد ذلك موجة من الحزن ، فإن هى إلا لحظة اغرورقت بعدها عيناه وجاءت إليه ماريا على شكل موجة من الأثير الضبابى ، تشع منها الأضواء وهى ترتدى فستانًا أبيض ، وعندما انقشعت السحابة من على عينيه ، راوده إحساس مختلف . أحس أن شيئًا سقط من حياته ، ثم بدأ يرى ماريا فى كل مكان . تحولت إلى بومة كانت تطير هاربة . تحولت إلى قطة . تحولت إلى كلب يتبعه وهو ينبح . رأى عينيها السوداوين فى أعين الدجاج وفى أعين الماعز . كانت

الكلاب تنظر إليه نظرات حزينة . راوده إحساس غريب بأنها كانت تراقبه ، من أعين الحيوانات كلها ، ومن عيون كبار السن ، ومن عيون الأطفال . كانت البنات الجميلات ينظرن إليه ويحملقن فيه كما لو كن عارفات بكل شىء ، وبينما كان يندفع خلال جمع من الناس سمع صوتًا يأتيه من بعد فى الخلف ، كان الصوت ينادى ويقول :

' إيدى ! إيدى ! '

حاول التوقف ، ولكن الجمع اضطره إلى المضى قدمًا . لم يسمع الصوت مرة ثانية . زاحم الناس وتدافع معهم ، وفى كل ناحية كان ينظر إليها ، كما لو كان ينظر فى مرآة متعددة المراحل والانعكاسات ، كان يرى ماريا وهى تختفى مبتعدة عن بؤرة المرآة ، ثم سمع بعد ذلك على شكل صياح ، كان صداه يتردد فى كل أنحاء السوق على شكل أصوات نشاز- :

' عادت الأضواء ! '

أضاءت أنوار المنازل ، وأنوار طاولات البيع المزودة بمصابيح كهربية ، وأضاءت أيضًا أنوار الدكاكين . كان الأمر يبدو وكأن المدينة استيقظت من النوم . شارك إيدى فى ذلك التهليل . أحس وكأن حملاً سقط عن كاهله . أحس وكأنه تحرر من طاعون غريب .

وعند عنق الزجاجة ، فى المنطقة أمام دكان السيدة البياعة تحولت الإثارة الناتجة عن عودة الأنوار ، إلى هرج ومرج . كانت الجماهير

تتدافع وتتجاذب ، فى الوقت الذى تحمل فيه وجوههم تعبيرات تنم عن الطاقة والنشاط الجديدين . كانت الفوضى فى كل مكان . كان الناس يجرون فى جميع الاتجاهات ، وبعد برهة من الزمن أدرك إيدى أن الهرج والمرج كانا ناتجين عن حركة بعض المواشى التى كان يجرى اقتيادها فى اتجاه حظيرة المواشى . أدرك إيدى أيضًا أنه كان محصورًا بين قطيع المواشى والجدار الذى لا يتحرك المكون من الجماهير ، بعدئذٍ سمع رجلاً قريبًا يناديه :

' إيدى ! إيدى ! '

نظر حوله ورأى الشماس الوسيم بين الجمع ، ولا يفصله عنه سوى قطيع الماشية المتحرك . عندما رأى إيدى الصبى ، علم .

صاح الصبى ، وأشار على نحو يوحى بضياع الأمل وقلة الحيلة : ماريا ... '

وقف إيدى مرتبكًا . استدار ثم راح يترنح من جانب إلى آخر . حاول الوصول إلى الشماس ولكنه وجد نفسه يتدافع فى عكس اتجاه الجمهور . دفعه شخص ما . سقط أرضًا . داست الجماهير عليه ، وهى فى تلك الحالة الهستيرية . عندما نهض أحس وكأن مفاصله انخلعت من أماكنها .

صاح الصبى : ' إيدى ! إيدى ! قف مكانك ، أنا قادم إليك . '

لم يستطع إيدى المحافظة على ثباته وهدوئه . تدافع وداس على بضاعة السيدة البياعة . عندما نهض إيدى واقفًا أبصر ماريا واقفة

تنظر إليه ، ثم اختفت بعد ذلك ، وحلت محلها فتاة قزمة ، جسمها عجوز، ولكن وجهها شاب ، ولها لحية غريبة النمو . أشارت إليه تلك الفتاة القزمة ثم صاحت قائلة شيئًا ما ، ثم راحت بعد ذلك تقفز إلى الأعلى ثم تنزل إلى الأسفل ، وهى تشير بأصبعها تعبيراً عن الإثارة والاضطراب ، وبعد ذلك بلحظة استطاع إيدى سماع صياحها :

' حرامى ! حرامى ! '

عندما نهض إيدى من فوق البضاعة الموجودة على طاولة البيع ، كانت الأقنعة ، والأطباق ، وكذلك الحلى الصغيرة ، قد تعلقت فى يديه .

' حرامى . حرامى .'

وصلت الكلمة الأخيرة إلى كل الحاضرين . استدار الجمع إليه . حاول إيدى الهرب ، ولكن البائعة أمسكت به وأوسعته ضرباً بالعصى والحجارة . سال الدم على وجهه وبدأت الأنوار المحيطة به تخبو فى عينيه. وصل الشماس بعد فوات الأوان .

فى أعماق السوق ، وسط الأصوات النشاز ، كانت هناك امرأة تغنى بصوت عذب وحلو ومكلوم . كانت المصابيح الكهربية فى شارع إيدى تتأرجح مع النسيم . كانت الكلاب تنبح من الغبار . فى حين كانت الريح تتنهد فوق قمم السطوح ، كان الجيران هادئين ، وكان الأزواج والزوجات قد انتهوا من شجارهم . سهرت والدة إيدى فى تلك الليلة ، تستمع إلى نقيق الضفادع الذى كان يتناهى إليها قادمًا من المستنقع .

ما رآه الخمّار

يحكى أنه كان هناك خمار ممتاز ، يعشق تسلق أشجار النخيل ويتمتع بسحب نبيذ تلك الأشجار ، وذات ليلة رأى فى منامه أنه بينما كان يسحب نبيذ النخلة سقط من فوقها ثم مات . أزعجه ذلك الحلم إلى الحد الذى جعله يقوم ، وفى ساعة متأخرة ، بزيارة صديقه تباسكو Ta-basco، الذى كان طبيباً شعبيا من أطباء الأعشاب المشهورين ، ولكن تباسكو ، فى تلك الليلة ، كان مشغولاً إلى الحد الذى لم يستطع معه التركيز على ذلك الذى كان الخمار يقوله ، ولما كان الطبيب قد ضاق ذرعًا بطلبات زوجاته ، فقد راح يواصل مضغ كميات من حبوب فلفل التمساح ، ويرطب فمه بنبيذ النخيل ، وعندما كان الخمار على وشك مغادرة المكان سحبه طبيب الأعشاب الشعبى وانتحى به جانبًا ، وقال له بلغة غير مترابطة تمامًا :

" أعرف صياداً ، حدث أن رأى وعلاً غريبًا عندما كان يمارس الصيد فى يوم من الأيام ، وتتبع الوعل إلى أن وصل إلى تل من تلال النمل ، والمدهش أن الوعل تحول إلى امرأة ، ثم اختفى بعد ذلك . انتظر الصياد بالقرب من تل النمل كيما تظهر المرأة مرة ثانية . راح الصياد فى النوم ، وعندما استيقظ من نومه وجد الأرض غارقة فى ماء أحمر اللون . نظر إلى الأعلى فوجد نفسه محاصراً بتسعة أرواح . أصيب الرجل بمس من الجنون ، بطبيعة الحال ، استغرق الأمر منى ثلاثة أسابيع بعد أن تسللت إلى داخله لأشفيه مما حل به ، وترتب على ذلك

أن لبسنى شىء من جنونه . غداً إذا ما أحضرت إلىّ ثلاث سلاحف وفصاً كبيراً من فصوص الكولا سوف أفعل لك شيئًا بشأن ذلك الحلم الذى رأيته ، أما الليلة فأنا مشغول جدا '

وافق الخمّار ، وعاد خائبًا إلى منزله ، وشرب حتى الثمالة قرعة كاملة من نبيذ النخيل . حاول نسيان أحلامه فى الوقت الذى راح فيه فى ثبات عميق .

فى الصباح جمع كل أثماله ومحاليله السحرية ، وربط ثلاث يقطينات إلى دراجته ، ثم اتجه قاصداً الغابة كى يبدأ عمله اليومى . بعد أن أمضى وقتًا طويلاً راكبًا دراجته وصل إلى لافتة قرأ عليها : شركة دلتا للبترول : منطقه تنقيب . من يتعدى عليها يعرض نفسه للخطر . حملق الخمار فى اللافتة دون أن يفهم مغزاها . بعد اللافتة لاحظ الخمار مجموعة غريبة من أشجار زيت النخيل . مضى الخمار بدراجته خلال تشابكات تشبه بيوت العنكبوت كيما يصل إلى تلك الأشجار الغريبة . أسكرته الرائحة الصادرة عن لحاء تلك الأشجار حمراء اللون ، وسرعان ما ربط الخمار محاليله السحرية إلى جذع نخلة من ذلك النخيل ، وأحضر حبله ، وشرع فى تسلق واحدة من ذلك النخيل . وضع رجليه من حول النخلة ، وراح يحرك الحبل ناحية الأعلى فوق حراشيف اللحاء الجافة ، وأخذ يتسلق ساحبًا نفسه إلى الأعلى بسرعة كبيرة ، إلى أن بدأ صدره يوله . أعمته شمس الصباح ، التى كانت تتسلط عليه بشكل غير عمودى . عندما انفجرت الأضواء الذهبية فى عينيه ، تراجعت أغصان النخلة مبتعدة عنه . كانت تلك أول مرة يسقط من نخلة منذ ثلاثين عاماً .

عندما صحا من نومه انتابته نوبة من الدهشة إلى حد جعله لا يحس بالألم ، بل راوده إحساس غريب بأن سقوطه من النخلة قد أفاده إلى حد ما ، أحس أيضًا بخفة وانعدام وزن لا يصدقهما عقل . سار خلال ترتر بيوت العنكبوت المتلئلة ، دون أن تكون لديه أية فكرة عن المكان الذى يقصده . اندفعت الحُبَاحِب (*) داخلة فى أنفه وفى أذنيه ، ثم خرجت من عينيه بأضوائها اللامعة . سار مدة طويلة ، ثم صادف لافتة أخرى قرأ عليها : شركة دلتا للبترول : من يتعدى عليها سوف يضطهد . رأى من حوله جبالاً من الطين ، والأحجار الوعرة ، كما رأى شجرة نخيل واحدة ، وجذور المنجروف المرفرفة . أحدث علامة على جذع الشجرة ، وفى الحال تحولت تلك العلامة إلى جرح متقيح تمامًا ، وبينما كان يتجاوز الجذور المتشابكة ، مهمومًا ومتعبًا جراء تقيحات الجرح ، لمسته تلك الجذور المتشابكة فى ساقيه . سحبته نحو الأسفل . وأضحكته، وعندما بدأ يضحك تركته الجذور المتشابكة يمضى لحال سبيله .

وصل إلى نهر من الأنهار ، كانت مياهه لزجة وتبدو بلا حراك . كانت هناك نقرة أو ثقب بالقرب من النهر ، كما كانت هناك ثلاث سلاحف عند حافة النقرة تنظر إليه وتراقبه . كانت واحدة منَ السلاحف لها وجه مثل وجه تباكو Tabaco. كان الخمار على وشك أن يقول شيئًا

(*) الحُباحِب : بضم الحاء الأولى وكسر الحاء الثانية ، نوع من الذباب الذى يضىء أثناء الليل . (المترجم)

ما عندما خرج من النقرة ثعبان متعدد الألوان مرّ عليه وهو يتلوى ، عندما انزلق الثعبان فى النهر تغير لون الماء إلى اللون الشفاف المضىء . احترق جلد الثعبان وصدرت عنه شعلة وردية اللون . قال الخمار وهو ينظر إلى صوت من الخلف :

' لا تستدر . '

وقف الخمّار بلا حراك . حملقت السلاحف الثلاث فيه بعيون من الزجاج ، ثم بالت بعد ذلك فى اتجاه الخمار السلحفاة التى لها وجه مثل وجه تباكو . اتضح أن السلحفاة كانت تتمتع بتلك العملية . كانت السعادة البالغة التى ظهرت على وجه السلحفاة تجعلها تبدو شيطانية إلى حد بعيد جدا . ضحك الخمار وضربه على رأسه من الخلف جسم ثقيل . استدار إلى الخلف بسرعة ولم يرَ شيئًا . ضحك مرة ثانية ولكنه ضُرِب من الخلف مرة ثانية أشد من الضربة الأولى . أحس أن مادة كينونته بدأت تذوب ، وخلال الصمت الذى أعقب ذلك بدا النهر وكأنه يرتفع إلى أعلى .

تساءل الخمار : ' أين أنا ؟ '

تلت فترة صمت أخرى ، ثم انزلق الثعبان اللامع خارجًا من النهر ، وعندما مر الثعبان عليه رفع رأسه وتفل فى وجهه . واصل الثعبان زحفه داخلاً النقرة ، وهو يبرق بفعل ألوان أشعة الشمس . بدأ الخمار يرتعد ، وبعد الارتعاد تملكه هدوء غريب ، وعندما نظر حوله رأى أنه قد تضاعف . لم يكن متأكدًا إن كان عقله أو جسمه هو الذى كان يدخل فيه أو يخرج منه .

' أين أنا ؟ '

لم يرد الصوت عليه ، ثم سمع بعد ذلك وقع أقدام تبتعد عنه . لم يقوَ على النوم ؛ لأنه سمع أصواتًا أخرى كانت تتكلم من فوقه ، ومن حوله ، كما لم يكن موجوداً .

فى ذلك العالم ، لم تغرب الشمس ، ولم تشرق . كانت بمثابة عين واحدة لا تتحرك ، وفى المساء كانت الشمس تشبه بلوزة كبيرة ، وفى الصباح كانت الشمس ساطعة . لم يكن مسموحًا للخمار أن يغمض عينيه مطلقًا ، وبعد يوم من التجوال ، عندما كان جالسًا بالقرب من النقرة يهلوس فى موضوع نبيذ النخيل ، كان مخلوق نتن الرائحة يحضر إليه ويحشى عينيه ببيوت العنكبوت . كان ذلك يجعل عينيه ترمشان ، وكان أيضًا بمثابة تجهيز عجيب للنظر . عندما حاول الخمار النوم ، وعيناه مفتوحتان ، رأى الدنيا التى يعرفها تدور على شكل أضواء حمراء . رأى النساء وهن يذهبن إلى الأسواق البعيدة ، تتبعهن أصوات لم يسمعنها . رأى أيضًا أن لافتات الدنيا بدأت تكبر وتكبر . رأى أيضًا مستخدمى شركة الزيت وهم يحاولون تسوية الغابات ، وعندما أحس بالجوع كان يحضر إليه مخلوق آخر ، لم يستطع رؤيته ، ليغذيه خليطًا من معجون أو مهروس الحرباوات وحشرات أم أربع وأربعين ولحاء الشجر ، وعندما كان يشعر بالعطش كان المخلوق يعطيه يقطينة مشروحة مملوءة بسائل أخضر اللون ، وفى آخر الليل ، كان يزحف فوقه مخلوق آخر تفوح منه رائحة غريبة ، ويتوحد معه ، ويترك له البيوض الشاذة الناتجة عن الليلة التى قضياها سويا .

وفى يوم من الأيام تجرأ الخمار وراح يعد البيوض . كانوا سبع بيوض . صرخ الخمار . ارتفع النهر . أبرز الثعبان رأسه من النقرة ودوى ضحك الموت خارجًا من الشمس . عثر الضحك عليه ، أطبق عليه، هزه ، ثم ترك فراغات كبيرة فى رأسه .

هرب الخمار فى تلك الليلة ، وهرب معه كل شىء ، ثم توقف بعد برهة من الزمن . أساء استعمال المكان ، وأساء إلى سكانه المخيفين ، ومناظره الطبيعية المملة التى لا تتغير ، ولما لم يستطع الهرب ، سحق المكان سحقًا وحشيا ، وكوفئ على ذلك بضربات عدة . بعد ذلك ، ونظراً لأن البيوض كانت تضايقه بالضوضاء الصادرة من داخلها ، كما لو كان مولداً مرعبًا يلف ويتحرك داخل الأشكال المخيفة لتلك البيوض ، فقد تعلم الصبر . تعلم مراقبة السماء ، ورأى أن السماء لم تكن تختلف عن السماوات التى كان يراها عندما يكون مخموراً . تعلم ألا ينصت أو يستمع إلى أنين المولد داخل البيوض ، كما تعلم أيضًا أنه عندما يلزم السكون ، فإن كل ما حوله ينعكس عليه ذلك السكون .

وفى يوم آخر ، جاءه الصوت وقال :

" كل شىء فى دنياك أو عالمك له نظراء لا يحصون أو يعدون فى عوالم أخرى ، ليس هناك شكل ، وليس هناك جنون ، وليس هناك فرط سرور ، وليست هناك ثورة إلا ولها ظل فى مكان ما . أستطيع أن أروى لك قصصًا تصيبك بالجنون . أنتم أيها البشر بطيئون جدا. أنتم متأخرون ألفى سنة عن أنفسكم ."

اختفى الصوت على وجه السرعة .

قال له صوت آخر :

' أنت ميت منذ يومين . استيقظ '

جاء إليه مخلوق حشى عينيه ببيوت العنكبوت ، ورمشت عيناه من جديد ورأى أن الحروب لم تنته بعد ، وفجأة انفجرت القنابل التى لم يجرِ تفجيرها لأسباب واهية ، والتى كانت مخبأة فى المزارع ، وجرى نسف بعض أولئك الذين عاشوا كما لو كانت الحرب الأصلية قد انتهت ؛ نُسفوا وهم يقاومون الفقر . رأى أيضًا انهيار الجسور التى كان يجرى إصلاحها . رأى أيضًا طرقًا كانت تمتد عبر المناطق الوعرة والبرية من الغابات ، ومستنقعات الملاريا ، رأى أيضًا جداول مائية بلا أسماء ، كما رأى أيضًا تلالاً بلا قياسات . شاهد أيضًا بدايات الطرق مكدسة بهياكل البشر العظمية ، ضحايا الحوادث المجنونة . رأى أيضًا كلابًا تتبع الناس فى بدايات ونهايات طرق الغابات وممراتها ، هى والمسارات الليلية التى تستثير التأمل . وفور اختفاء الكلاب تحولوا إلى مخلوقات كانت تبتلع الرحالة غير المحصنين الذين يسيرون وحدهم .

رأى بعد ذلك المحاولات الفاشلة لتسوية منطقة الغابات والتنقيب عن البترول ، كما رأى أطباء السحر الذين جرى جلبهم لطرد الأرواح من الغابات . حاولوا أيضًا منع الأمطار التى كانت تسقط على شكل سيول، كما حاولوا تأخير غروب الشمس ، وعندما فشلوا فى كل ذلك أستأجرت الشركة مغتربًا يعيش خارج الوطن ، وصل بالطائرة ومعه متفجرات

متبقية من الحرب الأخيرة . رأى الخمار ذلك المغترب وهو يضع الديناميت حول منطقة الغابة ، وبعد الانفجار شاهد الخمار سحابة سميكة من الدخان الأخضر ، وعندما صفا الدخان وزال شاهد شيئًا غريبًا من الزيت ومن أطراف الحيوانات ينبثق من الأرض . جرى التخلى عن الموقع فى النهاية . كانت هناك بعض النباتات الغريبة التى كان نموها يشبه الدم المهدر على أرض المعركة .

رأى الخمار أيضًا أناسًا كان يجرى قتلهم بفتح النار عليهم أثناء الانقلاب ، ومن خلال الإعدام السرى ، وكذلك فى السرقات تحت تهديد السلاح . لاحظ أيضًا أن أولئك الذين ماتوا إنما أسقطوا بطلقات كانت تحمل اسم كل واحد منهم ، وعندما توقفت عيناه عن الرمش بدأ الخمار يتجول تحت انفجارات السماء النحاسية . لاحظ أيضًا أنه لم تكن هناك طيور حوله ، ورأى أيضًا شرائط طويلة من أغشية بيوت العنكبوت منسوجة فوق شجرة النخيل المجروحة .

حدث بعد ذلك ، فى يوم من الأيام ، أن استوقدت فى الخمار نيران الذكريات ، فرأى فى تلك البيئة الغريبة ثعبانًا متعدد الألوان ملتفًا حول صورة لحجر من الصابون ، كما رأى أيضًا تماسيح فى بحيرة ماؤها يبقبق وأخضر اللون ، كما رأى أيضًا رجلاً مات وهو فى وضع الجلوس بينما كان يقرأ إنجيلاً مقلوبًا . كل الأشياء بدت وكأنها تحترق ولم يكن هناك دخان . كان طين البترول غليظ القوام ينساب هابطًا من الجدران ، فى حين كانت الشعلات وردية اللون تحترق وتشتعل فى كل مكان دون

أن تستهلك شيئًا . سمع ضوضاء من خلفه . استدار فوجد مخلوقًا وضع فى يده عنوة طبقًا عليه مادة مختلطة من الطعام ، وأشار المخلوق إليه بحتمية أن يأكل ذلك الذى وضعه فى يده . هنا حرر الثعبان متعدد الألوان صخرة الصابون من التفافه عليها ، وبينما كان الخمار يأكل انزلق الثعبان إلى الأعلى وبدأ يلقى عليه نكاتًا سخيفة ، وحكى الخمار له قصص أولئك الناس الذين ماتوا شنقًا فى مدن غريبة تمامًا عبر البحار العظيمة ، كما حكى له أيضًا قصة سلخ جلد طفل رضيع دون أن ينبس ببنت شفة . ضحك الثعبان . وضحك الخمار أيضًا نظرًا لأن الثعبان بدا ساخرًا إلى حد ما . طبلت فوق رأس الخمار ضربات حادة عدة ، بدت له كما لو كانت بفعل حافة من الصلب ، وأفقدته الوعى لما يمكن أن يكون دهرًا طويلاً من الزمان .

وعندما أفاق شق طريقه خارجًا من المكان ، وعندما مر على الرجل الذى مات وهو جالس يقرأ الإنجيل مقلوبًا ، رأى أن الرجل شبيه به تمامًا ، ثم هرب بعد ذلك من النُّقْرة .

وصل تسرعه وعدم صبره إلى أبعاد جديدة . عد الأحجار التى على الأرض ، كما عد أيضًا بيوت العنكبوت ، وألوان الشمس ، وارتفاعات النهر . كما عد أيضًا مرات هبوب الريح ، وحكى لنفسه قصصًا ، ولكنه اكتشف أن كل ما قاله لنفسه عن التخريب كانت تجرى فى الوقت نفسه مراقبته عن طريق الضربات ، والطرقات . أحصى كل تلك الطَّرقات . لقد اعتاد تلك الطرقات .

ثم جاءه الصوت بعد ذلك مرة ثانية . كان فى هذه المرة أكثر وحشية من ذى قبل . قال الصوت :

' هل يعجبك الحال هنا .'

' لا . '

' هل تريد أن تغادر هذا المكان ؟ '

' نعم .'

' وما الذى يمنعك من مغادرة المكان ؟ '

' أنا لا أعرف الطريقة التى أغادر بها هذا المكان .'

صمت الصوت .

قال صوت آخر :

' أنت ميت منذ ثلاث سنوات .'

هذا الدرس بالغ الأهمية تعلمه ذلك الخمار الذى رأى السماء والأرض من زوايا كثيرة ، وعرف أيضًا أسرار النبيذ .

قال الصوت : ' إن كنت تريد مغادرة المكان ، فسوف نضربك ونطردك لإخراجك من هذا المكان .'

' لماذا ؟ '

' لأنكم أيها البشر لا تفهمون سوى الألم .'

' نحن لا نفهم الألم .'

تلت فترة صمت أخرى . كان الخمار ينتظر طرقة . وجاءت الطرقة، وطفت أفكاره مثل بيوت العنكبوت فوق الريح . بقى الخمار على ذلك الحال ، ساكنًا بلا حراك ، خلال أطوار الشمس أرجوانية اللون ، وبعد برهة زمنية طويلة قال الصوت :.

' إليك بعض الأفكار كيما تحل محل الأفكار التى سبق أن نُحِّيت جانبًا . أتريد أن تسمع تلك الأفكار ؟ '

' نعم .'

سعل الصوت ثم بدأ يقول :

' حتى الأشياء الطيبة فى الحياة الدنيا تسممكم فى نهاية الأمر . هناك ثلاثة أنواع من الأصــوات ، ونوعين من الظلال ، وهناك يقطينة واحدة لكل رأس مشروخ ، وهناك سبع نقرات (حفر) لأولئك الذين يتسلقون أكثر من اللازم . من يتحسس الأشياء يستشعر الحامض فيها. هناك نار لا تحرق ، ولكنها تذيب لحم البشر شأنها شأن ملح الطعام . الفم الأكبر هو الذى يأكل الرأس الأصغر . الريح تعيد إلينا ذلك الذى طرحناه بعيداً . هناك طرق عدة لإشعال نارك الخاصة . هناك صوت بعينه هو الذى يشير إلى المتاعب القادمة ، كما أن أفكارك هى مجرد خطوات ومواطئ أقدام دورانك حول منطقة الهزيمة الخاصة بذهنك أنت وحدك .'

قال الخمار : ' أشكرك '

غادر الصوت وانصرف ، وراح الخمار فى ثبات عميق .

عندما استيقظ رأى ثلاث سلاحف تتكاسل مسترخية عند حافة النقرة (الحفرة) كانت السلحفاة التى لها وجه تباكو تضع على عينيها نظارة مركب على كل طرف من طرفيها قرن ، وسماعة صدر معلقة حول عنقها . كسرت السلاحف حبة من حبات الكولا ، واقتسمتها فيما بينها ، وراحت السلاحف تتناقش مثل العلماء بلا نصوص أو كتب ، وخرج الثعبان متعدد الألوان من النقرة (الحفرة) وقصد إلى النهر . توقف برهة عندما اقترب من السلاحف . انبهر الخمار بفعل عينى الثعبان كثيرة الألوان .

قالت السلحفاة التى لها وجه تباكو : ' هناك ستة أقمار هذه الليلة . '

وافقت السلحفاتان الأخريان : ' نعم ، هناك ستة أقمار هذه الليلة .'

قال الثعبان ، رافعًا رأسه إلى السماء ، وعيناه تلمعان :

' هناك سبعة أقمار هذه الليلة . '

صمتت السلاحف ، وواصل الثعبان حركته فى اتجاه النهر . تناولت السلحفاة التى لها وجه تباكو صخرة وألقتها على الثعبان ، وضحكت السلحفاتان الأخريان .

قالت السلحفاة التى لها وجه تباكو : ' لن تكون هناك أقمار الليلة .'

كما لو كانت تلك إشارة ، هجمت السلحفاتان الأخريان على الثعبان . خنقته السلحفاة تباكو من حلقه وراحت تميته خنقًا باستعمال سماعة الصدر ، أما السلحفاتان الأخريان فراحتا تضربان رأسه بالصخور . اندفع الثعبان مهاجمًا بذيله . تدحرج تباكو هو والثعبان وسقطا فى النقرة . سمعنا الضوضاء منبعثة من النقرة . وبعد برهة من الزمن خرجت السلحفاة تباكو بدون النظارة والسماعة ، واحتلت مكانها بين السلحفاتين الأخريين ، وكسرت السلاحف حبة ثانية من حبات الكولا، ثم بدأت السلحفاة تباكو تجهز غليونًا ، واستعملت فلفل التمساح بدلاً من التبغ ، واشعلت السلحفاة تباكو الغليون وأشارت للخمار وطلبت منه أن يدنو منها . ذهب الخمار وجلس بين السلاحف على حافة النقرة . راحت السلحفاة تباكو تنفس الدخان فى وجه الخمار وقالت :

' أنت ميت منذ ستة أيام . '

لم يفهم الخمار شيئًا . استأنفت السلاحف نقاشها بجدية تامة حول عدد الأجرام السماوية .

وبعد شيء من الوقت كان للدخان تأثير جعل الخمار يطفو داخلاً إلى العالم المألوف . بدأ إحساسه بالضحك من أنفه . طفا للحظات خلال طفولته ، يوم أن حملته أمه على ظهرها فى يوم الاحتفال التنكرى . كان الجو حارا . مرت الأشكال التنكرية مرور الرعد ، وهى تنفث دخانًا أحمر فى كل مكان حتى يتسنى إرباك البشر الفانين فيما يتعلق بمظاهرهم الطقوسيه المخيفة . ظل أنفه على أحر من الجمر طوال ذلك اليوم ، وفى تلك الليلة رأى فى منامه أن كل أنواع الأشباح الخرافية كانت تتنافس

فيما بينها حول من يستطيع وضع أنفه على وجهه . عاش الحلم . كانت تلك الأشباح الأسطورية تشتمل على الحداد الشهير ، الذى استطاع تحويل الماء إلى معدن ، والسلحفاة سيئة السمعة ، وولعها الشديد إلى حد الجنون بالمواقف المركبة والمواقف المعقدة ، وأطباء السحر ، الذين ليس لديهم مفتاح الأسرار ، وبينما كانوا يتنافسون وصلت أمه وطردتهم بعيداً بأن نثرت أو بعثرت طبقًا من فلفل الأرض الحار ، الأمر الذى أدى إلى ازدياد مشكلة أنفه سوءاً على سوء .

وبينما كان الخمار يطفو فى ذلك العالم المألوف جاء الصوت وأتعبه، وقال صوت آخر :

" الوقت يتأخر . هيا استيقظ ."

سقطت عليه الضربات غير المرئية . كانت تلك اللحظة أغرب لحظات الشمس ، وذلك عندما تغير لونها من اللون الأرجوانى إلى ظلام العين الداخلية ، وبعد توقف الضربات خلّص الخمار نفسه من العطس الشديد الذى كان يتراكم . كان كلما يعطس تنفجر البيوض الضخمة ، ويفقد الثعبان عينيه الملونتين ، وينشطر الصوت إلى أصوات عدة من أصوات البعوض الذى يتحرق للحوار . انبثقت السوائل الخضراء خارجة من النقرة وأطاحت بالثعبان بعيداً ، كما أطاحت أيضاً باللافتة وبالسلاحف، وعندما أفاق الخمار من ذلك الطوفان نظر حوله . مرت سحابة زرقاء أمام عينيه . كان تباكو طبيب الأعشاب الشعبى يقف فوقه وهو يلوح بعود من أعواد البخور الطبيعية ، التى كان ينبعث منها دخان مثير ومزعج إلى أبعد الحدود . عندما التقت عيونهما ، صاح تباكو صيحة

فرح وراح يسكب النبيذ على صورة الحجر الصابوني المبنى منه ضريح ذلك الإله الوثنى . كان للصورة عينان زجاجيتان خضراوان ، وعند سفح الضريح كانت هناك سلحفاتان فى إناء أخضر .

تساءل الخمار : ' أين أنا ؟ '

قال طبيب الأعشاب الشعبى : ' أنا آسف ، لأنى لم ألقِ بالاً لحلمك فى المقام الأول . '

' ولكن أين أنا ؟ '

'أنت سقطت من فوق شجرة زيت النخيل ومت لمدة سبعة أيام . كنا على وشك أن ندفنك فى الصباح ، وأنا أحاول الوصول إليك طوال هذه الفترة ، وأنا لن آجرك نظير خدماتى لك ؛ واقع الأمر أنى سوف أدفع لك ، والسبب فى ذلك أنى فى سنوات عملى كطبيب أعشاب شعبى لم تصادفنى حالة أهم من حالتك ، أو حوار أفضل من حوارك وحديثك .'

المؤلف فى سطور

بن أوكرى

روائى وكاتب قصة قصيرة وشاعر ، ولد فى مدينة منّا بنيجيريا ، لوالدين هما جريس وسيلفر أوكرى ، وبعد مولده انتقل والده إلى إنجلترا لدراسة القانون ، وبذلك قضى بن أوكرى سنوات عمره الأولى فى مدينة بكهام فى جنوب لندن . وقد قرأ بن أوكرى كثيراً جداً فى طفولته ، كما روت له أمه حكايات أفريقية كثيرة ، ثم التحق بكلية اليوروبا فى مدينة وارى التى كانت تبعد مسافة ٤٠٠ ميل عن أسرته فى ليجوس .

وبعد أن أنهى بن أوكرى دراسته الثانوية عمل كاتبًا فى محل من محلات الدهانات ، وفشل فى الالتحاق بالجامعة ، ثم بدأ يكتب مقالات عن المشكلات الاجتماعية والسياسية ، ولكنه عندما كتب قصصاً قصيرة عن تلك المقالات لقيت رواجًا كبيراً فى الصحف النسائية ، وكذلك فى الصحف المسائية .

وله عدة روايات منها : «زهور وظلال» ، و«مناظر طبيعية داخلية»، و«الطريق الجائع» . وله عدة مجموعات قصصية منها : «أحداث الضريح» ، و«نجوم حظر التجوال الجديد» . وفى مجال الشعر صدر له كتاب بعنوان «مرثية أفريقية» .

وقد حصل بن أوكرى على عدة جوائز منها : جائزة كُتَّاب الكومنولث المخصصة لأفريقيا عام ١٩٨٧م ، وجائزة أغاخان للرواية التى تمنحها مجلة Roviow باريس ، كما حصل على جائزة شبانتى روفينو الأدبية الدولية .

المشروع القومى للترجمة

المشـروع القومـى للترجمـة مشـروع تنميـة ثقافيـة بالدرجـة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١-	اللغة العليا	جون كوين	أحمد درويش
٢-	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣-	التراث المسروق	جورج جيمس	شوقى جلال
٤-	كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	أحمد الحضرى
٥-	ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦-	اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧-	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكى
٨-	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩-	التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	محمود محمد عاشور
١٠-	خطاب الحكاية	چيرار چينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١-	مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢-	طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	أحمد محمود
١٣-	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤-	التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥-	الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	أشرف رفيق عفيفى
١٦-	أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف: أحمد عتمان
١٧-	مختارات	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوى
١٨-	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩-	الأعمال الشعرية الكاملة	چورج سفيريس	نعيم عطية
٢٠-	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
٢١-	خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ماجدة العنانى
٢٢-	مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	سيد أحمد على الناصرى
٢٣-	تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
٢٤-	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
٢٥-	مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦-	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧-	التنوع البشرى الخلاق	مقالات	نخبة
٢٨-	رسالة فى التسامح	جون لوك	منى أبو سنة
٢٩-	الموت والوجود	جيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠-	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣١-	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
٣٢-	الانقراض	ديفيد روس	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣-	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بلبع
٣٤-	الرواية العربية	روجر آلن	حصة إبراهيم المنيف
٣٥-	الأسطورة والحداثة	پول . ب . ديكسون	خليل كلفت
٣٦-	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد
٣٧-	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم

٣٨-	نقد الحداثة	آلن تورين	أنور مغيث
٣٩-	الإغريق والحسد	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠-	قصائد حب	آن سكستون	محمد عيد إبراهيم
٤١-	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد
٤٢-	عالم ماك	بنجامين باربر	أحمد محمود
٤٣-	اللهب المزدوج	أوكتافيو پاث	المهدى أخريف
٤٤-	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلي	مارلين تادرس
٤٥-	التراث المغدور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	أحمد محمود
٤٦-	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد على
٤٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨-	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتى
٤٩-	الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
٥٠-	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١-	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	محمد أبو العطا
٥٢-	العلاج النفسى التدعيمى	ب. نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣-	الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	مرسى سعد الدين
٥٤-	المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحى
٥٥-	ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	على يوسف على
٥٦-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود على مكى
٥٧-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطى
٥٨-	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩-	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
٦٠-	التصميم والشكل	جوهانز إيتين	صبرى محمد عبد الغنى
٦١-	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢-	لذّة النّص	رولان بارت	محمد خير البقاعى .
٦٣-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤-	برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	رمسيس عوض .
٦٥-	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض .
٦٦-	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧-	مختارات	فرناندو بيسوا	المهدى أخريف
٦٨-	نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩-	العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠-	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١-	السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	حسين محمود
٧٢-	السياسى العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلى
٧٣-	نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤-	صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	حسن بيومى
٧٥-	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	أحمد درويش
٧٦-	جاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	عبد المقصود عبد الكريم

٧٧- تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٢) — رينيه ويليك — مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨- العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية — رونالد روبرتسون — أحمد محمود ونورا أمين
٧٩- شعرية التأليف — بوريس أوسبنسكى — سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠- بوشكين عند «نافورة الدموع» — ألكسندر بوشكين — مكارم الغمرى
٨١- الجماعات المتخيلة — بندكت أندرسن — محمد طارق الشرقاوى
٨٢- مسرح ميجيل — ميجيل دى أونامونو — محمود السيد على
٨٣- مختارات — غوتفريد بن — خالد المعالى
٨٤- موسوعة الأدب والنقد — مجموعة من الكتاب — عبد الحميد شيحة
٨٥- منصور الحلاج (مسرحية) — صلاح زكى أقطاى — عبد الرازق بركات
٨٦- طول الليل — جمال مير صادقى — أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧- نون والقلم — جلال آل أحمد — ماجدة العنانى
٨٨- الابتلاء بالتغرب — جلال آل أحمد — إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩- الطريق الثالث — أنتونى جيدنز — أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠- وسم السيف — ميجل دى ثربانتس — محمد إبراهيم مبروك
٩١- المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق — باربر الاسوستكا — محمد هناء عبد الفتاح
٩٢- أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر — كارلوس ميجيل — نادية جمال الدين
٩٣- محدثات العولمة — مايك فيذرستون وسكوت لاش — عبد الوهاب علوب
٩٤- الحب الأول والصحبة — صمويل بيكيت — فوزية العشماوى
٩٥- مختارات من المسرح الإسبانى — أنطونيو بويرو باييخو — سرى محمد عبد اللطيف
٩٦- ثلاث زنبقات ووردة — قصص مختارة — إدوار الخراط
٩٧- هوية فرنسا (مج١) — فرنان برودل — بشير السباعى
٩٨- الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى — نخبة — أشرف الصباغ
٩٩- تاريخ السينما العالمية — ديفيد روبنسون — إبراهيم قنديل
١٠٠- مساءلة العولمة — بول هيرست وجراهام تومبسون — إبراهيم فتحى
١٠١- النص الروائى (تقنيات ومناهج) — بيرنار فاليط — رشيد بنحدو
١٠٢- السياسة والتسامح — عبد الكريم الخطيبى — عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣- قبر ابن عربى يليه آياء — عبد الوهاب المؤدب — محمد بنيس
١٠٤- أوبرا ماهوجنى — برتولت بريشت — عبد الغفار مكاوى
١٠٥- مدخل إلى النص الجامع — جيرارجينيت — عبد العزيز شبيل
١٠٦- الأدب الأندلسى — ماريا خيسوس روبييرامتى — أشرف على دعدور
١٠٧- صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر — نخبـة — محمد عبد الله الجعيدى
١٠٨- ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى — مجموعة من النقاد — محمود على مكى
١٠٩- حروب المياه — جون بولوك وعادل درويش — هاشم أحمد محمد
١١٠- النساء فى العالم النامى — حسنة بيجوم — منى قطان
١١١- المرأة والجريمة — فرانسيس هيندسون — ريهام حسين إبراهيم
١١٢- الاحتجاج الهادئ — أرلين علوى ماكليود — إكرام يوسف
١١٣- راية التمرد — سادى پلانت — أحمد حسان
١١٤- مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع — وول شوينكا — نسيم مجلى
١١٥- غرفة تخص المرء وحده — فرجينيا وولف — سمية رمضان

١١٦-	امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	نهاد أحمد سالم
١١٧-	المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨-	النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	لميس النقاش
١١٩-	النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	بإشراف: رءوف عباس
١٢٠-	الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	نخبة من المترجمين
١٢١-	الدليل الصغير عن الكاتبات العربيات	فاطمة موسى	محمد الجندى وإيزابيل كمال
١٢٢-	نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	منيرة كروان
١٢٣-	الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نينل الكسندر وفنادولينا	أنور محمد إبراهيم
١٢٤-	الفجر الكاذب	چون جراى	أحمد فؤاد بلبع
١٢٥-	التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديفى	سمحة الخولى
١٢٦-	فعل القراءة	فولفانج إيسر	عبد الوهاب علوب
١٢٧-	إرهاب	صفاء فتحى	بشير السباعى
١٢٨-	الأدب المقارن	سوزان باسنيت	أميرة حسن نويرة
١٢٩-	الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠-	الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	شوقى جلال
١٣١-	مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	لويس بقطر
١٣٢-	ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	عبد الوهاب علوب
١٣٣-	الخوف من المرايا	طارق على	طلعت الشايب
١٣٤-	تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	أحمد محمود
١٣٥-	المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ماهر شفيق فريد
١٣٦-	فلاحو الباشا	كينيث كونو	سحر توفيق
١٣٧-	مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	چوزيف مارى مواريه	كاميليا صبحى
١٣٨-	عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيفلينا تارونى	وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩-	پارسيفال	ريشارد فاجنر	مصطفى ماهر
١٤٠-	حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	أمل الجبورى
١٤١-	اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	نعيم عطية
١٤٢-	الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	حسن بيومى
١٤٣-	قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	عدلى السمرى
١٤٤-	صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	سلامة محمد سليمان
١٤٥-	موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	أحمد حسان
١٤٦-	الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	على عبدالرءوف البمبى
١٤٧-	خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	عبدالغفار مكاوى
١٤٨-	القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	على إبراهيم منوفى
١٤٩-	النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	أسامة إسبر
١٥٠-	التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	منيرة كروان
١٥١-	هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٢-	عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكتاب	محمد محمد الخطابى
١٥٣-	غرام الفراعنة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤-	مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت

١٥٥-	الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦-	المدارس الجمالية الكبرى	جى آتيال وآلان وأوديت ڤيرمو	مى التلمسانى
١٥٧-	خسرو وشيرين	النظامى الكنوجى	عبدالعزيز بقوش
١٥٨-	هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٩-	الإيديولوچية	ديڤيد هوكس	إبراهيم فتحى
١٦٠-	آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومى
١٦١-	من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢-	تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣-	موسوعة علم الاجتماع	جوردن مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
١٦٤-	شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	نبيل سعد
١٦٥-	حكايات الثعلب	أ. ن أفانا سيفا	سهير المصادفة
١٦٦-	العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	محمد محمود أبو غدير
١٦٧-	فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	شكرى محمد عياد
١٦٨-	دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٦٩-	إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	شكرى محمد عياد
١٧٠-	الطريق	ميغيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١-	وضع حد	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢-	حجر الشمس	مختارات	محمد محمد الخطابى
١٧٣-	معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤-	صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥-	التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦-	نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧-	أنطون تشيخوف	هنرى ترويايا	حصة إبراهيم المنيف
١٧٨-	مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدى إبراهيم
١٧٩-	حكايات أيسوب	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠-	قصة جاويد	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١-	النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢-	العنف والنبوءة	و.ب. ييتس	ياسين طه حافظ
١٨٣-	چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	فتحى العشرى
١٨٤-	القاهرة... حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	دسوقى سعيد
١٨٥-	أسفار العهد القديم	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦-	معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧-	الأرضة	بُزرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨-	موت الأدب	ألفين كرنان	بدر الديب
١٨٩-	العمى والبصيرة	بول دى مان	سعيد الغانمى
١٩٠-	محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	محسن سيد فرجانى
١٩١-	الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	مصطفى حجازى السيد
١٩٢-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغى	محمود سلامة علاوى
١٩٣-	عامل المنجم	بيتر أبراهامز	محمد عبد الواحد محمد

١٩٤-	مختارات من النقد الأنجلو-أمريكي	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
١٩٥-	شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
١٩٦-	المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
١٩٧-	الفاروق	شمس العلماء شبلي النعماني	جلال السعيد الحفناوي
١٩٨-	الاتصال الجماهيري	ادوين إمري وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩-	تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية	يعقوب لانداوي	جمال أحمد الرفاعي وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠-	ضحايا التنمية	جيرمي سيبروك	فخري لبيب
٢٠١-	الجانب الديني للفلسفة	جوزايا رويس	أحمد الأنصاري
٢٠٢-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣-	الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالي	جلال السعيد الحفناوي
٢٠٤-	تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	أحمد محمود هويدي
٢٠٥-	الجينات والشعوب واللغات	لويجي لوقا كافاللي- سفورزا	أحمد مستجير
٢٠٦-	الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	علي يوسف علي
٢٠٧-	ليل أفريقي	رامون خوتاسندير	محمد أبو العطا
٢٠٨-	شخصية العربي في المسرح الإسرائيلي	دان أوريان	محمد أحمد صالح
٢٠٩-	السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٠-	مثنويات حكيم سنائي	سنائي الغزنوي	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١-	فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	محمود حمدي عبد الغني
٢١٢-	قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣-	مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	سيد أحمد علي الناصري
٢١٤-	قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع	أنتوني جيدنز	محمد محمود محي الدين
٢١٥-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغي	محمود سلامة علاوي
٢١٦-	جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٧-	مسرحيتان طليعيتان	ص. بيكيت	نادية البنهاوي
٢١٨-	لعبة الحجلة (رايولا)	خوليو كورتازان	علي إبراهيم منوفي
٢١٩-	بقايا اليوم	كازو ايشجورو	طلعت الشايب
٢٢٠-	الهيولية في الكون	باري باركر	علي يوسف علي
٢٢١-	شعرية كفافي	جريجوري جوزدانيس	رفعت سلام
٢٢٢-	فرانز كافكا	رونالد جراي	نسيم مجلي
٢٢٣-	العلم في مجتمع حر	بول فيرابند	السيد محمد نفادي
٢٢٤-	دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥-	حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦-	أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	طاهر محمد علي البربري
٢٢٧-	المسرح الإسباني في القرن السابع عشر	موسى ماردنيا ديف بوركي	السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨-	علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ماري تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩-	مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	أمير إبراهيم العمري
٢٣٠-	عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣١-	الدرافيل	خايمي سالوم بيدال	جمال عبدالرحمن
٢٣٢-	ما بعد المعلومات	توم ستينر	مصطفى إبراهيم فهمي

٢٣٣- فكرة الاضمحلال	أرثر هومان	طلعت الشايب
٢٣٤- الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	فؤاد محمد عكود
٢٣٥- ديوان شمس تبريزى (جـ١)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦- الولاية	ميشيل تود	أحمد الطيب
٢٣٧- مصر أرض الوادى	روبين فيدين	عنايات حسين طلعت
٢٣٨- العولمة والتحرير	الانكتاد	ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩- العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارافر – رايوخ	نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	صلاح عبدالعزيز محجوب
٢٤١- فى انتظار البرابرة	ج . م كويتز	ابتسام عبدالله سعيد
٢٤٢- سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	صبرى محمد حسن عبدالنبى
٢٤٣- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفى بروفنسال	على عبدالرءوف البمبى
٢٤٤- الغليان	لاورا إسكيبيل	نادية جمال الدين محمد
٢٤٥- نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	توفيق على منصور
٢٤٦- مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركث	على إبراهيم منوفى
٢٤٧- الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	والتر إرمبريست	محمد طارق الشرقاوى
٢٤٨- حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩- لغة التمزق	دراجو شتامبوك	رفعت سلام
٢٥٠- علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ماجدة محسن أباظة
٢٥١- موسوعة علم الاجتماع (جـ٢)	جوردن مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٥٢- رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	على بدران
٢٥٣- تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوڤا	حسن بيومى
٢٥٤- الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥- أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦- ديكارت	ديف روبنسون وكريس جرات	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧- تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	محمود سيد أحمد
٢٥٨- الغجر	سير أنجوس فريزر	عُبادة كُحيلة
٢٥٩- مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور	اقلام مختلفة	فاروجان كازانجيان
٢٦٠- موسوعة علم الاجتماع (جـ٣)	جوردن مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٦١- رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢- مدينة المعجزات	إدوارد مندوثا	محمد أبو العطا
٢٦٣- الكشف عن حافة الزمن	جون جريبن	على يوسف على
٢٦٤- إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلى	لويس عوض
٢٦٥- روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض
٢٦٦- مدير المدرسة	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم سويلم
٢٦٧- فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عرودكى
٢٦٨- ديوان شمس تبريزى (جـ٢)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩- وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١)	وليم جيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧٠- وسط الجزير العربية وشرقها (جـ٢)	وليم جيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧١- الحضارة الغربية	توماس سى. باترسون	شوقى جلال

٢٧٢-	الأديرة الأثرية فى مصر	س. س والترز	إبراهيم سلامة
٢٧٣-	الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان أر. لوك	عنان الشهاوى
٢٧٤-	السيدة باربارا	رومولو جلاجوس	محمود على مكى
٢٧٥-	ت. س إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ماهر شفيق فريد
٢٧٦-	فنون السينما	فرانك جوتيران	عبد القادر التلمسانى
٢٧٧-	الجينات: الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	أحمد فوزى
٢٧٨-	البدايات	إسحق عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩-	الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠-	من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	سمير عبدالحميد
٢٨١-	الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	جلال الحفناوى
٢٨٢-	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وليبرت	سمير حنا صادق
٢٨٣-	السهل يحترق	خوان رولفو	على البمبى
٢٨٤-	هرقل مجنوناً	يوريبيدس	أحمد عتمان
٢٨٥-	رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	سمير عبد الحميد
٢٨٦-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٣)	زين العابدين المراغى	محمود سلامة علاوى
٢٨٧-	الثقافة والعولمة والنظام العالمى	انتونى كنج	محمد يحيى وآخرون
٢٨٨-	الفن الروائى	ديفيد لودج	ماهر البطوطى
٢٨٩-	ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠-	علم اللغة والترجمة	جورج مونان	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١-	المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢-	المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣-	مقدمة للأدب العربى	روجر آلن	نخبة من المترجمين
٢٩٤-	فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت صالح
٢٩٥-	سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦-	مكبث	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٢٩٧-	فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوانى	ماجدة محمد أنور
٢٩٨-	مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	مصطفى حجازى السيد
٢٩٩-	ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج١)	لويس عوض	جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج٢)	لويس عوض	جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢-	فتجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣-	بوذا	جين هوب وبورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤-	ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥-	الجلد	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٣٠٦-	الحماسة: النقد الكانطى للتاريخ	چان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٣٠٧-	الشعور	ديفيد بابينو	محمود محمد أحمد
٣٠٨-	علم الوراثة	ستيف جونز	ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩-	الذهن والمخ	أنجوس جيلاتى	جمال الجزيرى
٣١٠-	يونج	ناجى هيد	محيى الدين محمد حسن

٣١١-	مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٣١٢-	روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	أسعد حليم
٣١٣-	أمثال فلسطينية	خايير بيان	عبدالله الجعيدى
٣١٤-	الفن كعدم	جينس مينيك	هويدا السباعى
٣١٥-	جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	كاميليا صبحى
٣١٦-	محاكمة سقراط	آ.ف. ستون	نسيم مجلى
٣١٧-	بلا غد	شير لايموفا- زنيكين	أشرف الصباغ
٣١٨-	الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	أشرف الصباغ
٣١٩-	صور دريدا	جايتر ياسبيفاك وكرستوفر نوريس	حسام نايل
٣٢٠-	لمعة السراج فى حضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٣٢١-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليفى برو فنسال	نخبة من المترجمين
٣٢٢-	وجهات غربية حديثة فى تاريخ الفن	دبليو يوجين كلينباور	خالد مفلح حمزة
٣٢٣-	فن الساتورا	تراث يونانى قديم	هانم سليمان
٣٢٤-	اللعب بالنار	أشرف أسدى	محمود سلامة علاوى
٣٢٥-	عالم الآثار	فيليب بوسان	كرستين يوسف
٣٢٦-	المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	حسن صقر
٣٢٧-	مختارات شعرية مترجمة (جـ١)	نخبة	توفيق على منصور
٣٢٨-	يوسف وزليخا	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	عبد العزيز بقوش
٣٢٩-	رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٣٣٠-	كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	سامى صلاح
٣٣١-	عندما جاء السردين	ستيفن جراى	سامية دياب
٣٣٢-	القصة القصيرة فى إسبانيا	نخبة	على إبراهيم منوفى
٣٣٣-	الإسلام فى بريطانيا	نبيل مطر	بكر عباس
٣٣٤-	لقطات من المستقبل	آرثر.س كلارك	مصطفى فهمى
٣٣٥-	عصر الشك	ناتالى ساروت	فتحى العشرى
٣٣٦-	متون الأهرام	نصوص قديمة	حسن صابر
٣٣٧-	فلسفة الولاء	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٣٣٨-	نظرات حائرة (وقصص أخرى من الهند)	نخبة	جلال السعيد الحفناوى
٣٣٩-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٣)	على أصغر حكمت	محمد علاء الدين منصور
٣٤٠-	اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	فخرى لبيب
٣٤١-	قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	حسن حلمى
٣٤٢-	سلامان وأبسال	نور الدين عبدالرحمن بن أحمد	عبد العزيز بقوش
٣٤٣-	العالم البرجوازى الزائل	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٣٤٤-	الموت فى الشمس	بيتر بلانجوه	سمير عبد ربه
٣٤٥-	الركض خلف الزمن	يونه ندائى	يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦-	سحر مصر	رشاد رشدى	جمال الجزيرى
٣٤٧-	الصبية الطائشون	جان كوكتو	بكر الحلو
٣٤٨-	المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٤٩-	دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	آرثر والدرون وآخرون	أحمد عمر شاهين

٣٥٠- بانوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة	عطية شحاتة
٣٥١- مبادئ المنطق	جوزايا رويس	أحمد الانصارى
٣٥٢- قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٣٥٣- الفن الإسلامى فى الأندلس (الزخرفة الهندسية)	باسيليو بابون مالدونالد	على إبراهيم منوفى
٣٥٤- الفن الإسلامى فى الأندلس (الزخرفة النباتية)	باسيليو بابون مالدونالد	على إبراهيم منوفى
٣٥٥- التيارات السياسية فى إيران	حجت مرتضى	محمود سلامة علاوى
٣٥٦- الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعى
٣٥٧- متون هيرميس	نصوص قديمة	عمر الفاروق عمر
٣٥٨- أمثال الهوسا العامية	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٣٥٩- محاورات بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشارونى
٣٦٠- أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ليلى الشربينى
٣٦١- التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢- تلميذ بابنيبرج	هاينرش شبورال	سيد أحمد فتح الله
٣٦٣- حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	صبرى محمد حسن
٣٦٤- حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٣٦٥- سأم باريس	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٣٦٦- نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٣٦٧- القلم الجرىء	نخبة	البرّاق عبدالهادى رضا
٣٦٨- المصطلح السردى	جيرالد برنس	عابد خزندار
٣٦٩- المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	فوزية العشماوى
٣٧٠- الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٣٧١- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٧٢- عاش الشباب	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٣٧٣- كيف تعد رسالة دكتوراه	أمبرتو إيكو	على إبراهيم منوفى
٣٧٤- اليوم السادس	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٣٧٥- الخلود	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٣٧٦- الغضب وأحلام السنين	نخبة	إدوار الخراط
٣٧٧- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٤)	على أصغر حكمت	محمد علاء الدين منصور
٣٧٨- المسافر	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج
٣٧٩- ملك فى الحديقة	ستيل باث	جمال عبدالرحمن
٣٨٠- حديث عن الخسارة	جونتر جراس	شيرين عبدالسلام
٣٨١- أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢- تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	أحمد محمد نادى
٣٨٣- هدية الحجاز	محمد إقبال	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٨٤- القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	إيزابيل كمال
٣٨٥- مشترى العشق	محمد على بهزادراد	يوسف عبدالفتاح فرج
٣٨٦- دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧- أغنيات وسوناتات	جون دن	بهاء جاهين
٣٨٨- مواعظ سعدى الشيرازى	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور

٣٨٩-	من الأدب الباكستانى المعاصر	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٩٠-	الأرشيفات والمدن الكبرى	نخبة	عثمان مصطفى عثمان
٣٩١-	الحافلة الليلكية	مايف بينشى	منى الدروبى
٣٩٢-	مقامات ورسائل أندلسية	نخبة	عبداللطيف عبدالحليم
٣٩٣-	فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	زينب محمود الخضيرى
٣٩٤-	القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	هاشم أحمد محمد
٣٩٥-	آلام سياوش	إسماعيل فصيح	سليم حمدان
٣٩٦-	السافاك	تقى نجارى راد	محمود سلامة علاوى
٣٩٧-	نيتشه	لورانس جين	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٨-	سارتر	فيليب تودى	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٩-	كامى	ديفيد ميروفتس	إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠-	مومو	مشيائيل إنده	باهر الجوهرى
٤٠١-	الرياضيات	زيادون ساردر	ممدوح عبد المنعم
٤٠٢-	هوكنج	ج. ب. ماك ايفوى	ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣-	ربة المطر والملابس تصنع الناس	توبور شتورم	عماد حسن بكر
٤٠٤-	تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ظبية خميس
٤٠٥-	إيزابيل	أندريه جيد	حمادة إبراهيم
٤٠٦-	المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	جمال عبد الرحمن
٤٠٧-	الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	أقلام مختلفة	طلعت شاهين
٤٠٨-	معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	عنان الشهاوى
٤٠٩-	انتصار السعادة	برتراند راسل	إلهامى عمارة
٤١٠-	خلاصة القرن	كارل بوبر	الزواوى بغورة
٤١١-	همس من الماضى	جينيفر أكرمان	أحمد مستجير
٤١٢-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليفى بروفنسال	نخبة
٤١٣-	أغنيات المنفى	ناظم حكمت	محمد البخارى
٤١٤-	الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	أمل الصبان
٤١٥-	صورة كوكب	فريدريش دورنيمات	أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦-	مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	مصطفى بدوى
٤١٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨-	سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩-	العصر الذهبى للإسكندرية	جون مارلو	نسيم مجلى
٤٢٠-	مكرو ميجاس	فولتير	الطيب بن رجب
٤٢١-	الولاء والقيادة	روى متحدة	أشرف محمد كيلانى
٤٢٢-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١)	نخبة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣-	إسراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤-	لوائح الحق ولوامع العشق	نور الدين عبدالرحمن الجامى	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥-	من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	محمود سلامة علاوى
٤٢٦-	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧-	باندراس الطاغية	باى إنكلان	ثريا شلبى

٤٢٨-	الخزانة الخفية	محمد هوتك	محمد أمان صافى
٤٢٩-	هيجل	ليود سبنسر وأندرزجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠-	كانط	كريستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١-	فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢-	ماكياڤللى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣-	جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	حمدى الجابرى
٤٣٤-	الرومانسية	دونكان هيث وجودى بورهام	عصام حجازى
٤٣٥-	توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ناجى رشوان
٤٣٦-	تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧-	رحالة هندى فى بلاد الشرق	شبلى النعمانى	جلال السعيد الحفناوى
٤٣٨-	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩-	موت المرابى	صدر الدين عينى	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠-	قواعد اللهجات العربية	كرستن بروستاد	محمد طارق الشرقاوى
٤٤١-	رب الأشياء الصغيرة	أروندانى روى	فخرى لبيب
٤٤٢-	حتشبسوت (المرأة الفرعونية)	فوزية أسعد	ماهر جويجاتى
٤٤٣-	اللغة العربية	كيس فرستيغ	محمد طارق الشرقاوى
٤٤٤-	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علمانى
٤٤٥-	حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	محمد محمد يونس
٤٤٦-	التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧-	نظرية الكم	ج. پ. ماك إيڤوى	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٨-	علم نفس التطور	ديلان إيڤانز وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٩-	الحركة النسائية	نخبة	جمال الجزيرى
٤٥٠-	ما بعد الحركة النسائية	صوفيا فوكا وربيبكا رايت	جمال الجزيرى
٤٥١-	الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن ڤان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢-	لينين والثورة الروسية	ريتشارد إيجناترى وأوسكار زاريت	محيى الدين مزيد
٤٥٣-	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤-	خمسون عامًا من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل
٤٥٥-	تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥)	فردريك كوبلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦-	لا تنسنى	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧-	النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان موللر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨-	الموريسكيون الأندلسيون	مرثيدس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩-	نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠-	الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١-	لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢-	طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣-	الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤-	ديمقراطية القلة	مايكل بارنتى	حصة إبراهيم المنيف
٤٦٥-	قصص اليهود	لويس جنزبرج	جمال الرفاعى
٤٦٦-	حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	فاطمة محمود

٤٦٧- التفكير السياسى	ستيفين ديلو	ربيع وهبة
٤٦٨- روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩- جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠- الأراضى والجودة البيئية	نخبة	محمد السيد الننة
٤٧١- رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	نخبة	عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢- دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٣- دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٤- الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥- صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦- أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧- تاريخ الصين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨- الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	عبد العزيز حمدى
٤٧٩- المقهـــى (مسرحية صينية)	لاوشه	عبد العزيز حمدى
٤٨٠- تساى ون جى (مسرحية صينية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدى
٤٨١- عباءة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢- موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	فاطمة محمود
٤٨٣- النسوية وما بعد النسوية	سارة چامبل	أحمد الشامى
٤٨٤- جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	رشيد بنحدو
٤٨٥- التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦- الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧- الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد أبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨- الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩- هُسرل: الفلسفة علماً دقيقًا	هُسرل	محمود رجب
٤٩٠- أسمار الببغاء	محمد قادرى	عبد الوهاب علوب
٤٩١- نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢- محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	محمد رفعت عواد
٤٩٣- خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	محمد صالح الضالع
٤٩٤- كتاب الموتى (الخروج فى النهار)	نصوص مصرية قديمة	شريف الصيفى
٤٩٥- اللوبى	إدوارد تيفان	حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦- الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ١)	إكوادو بانولى	نخبة
٤٩٧- العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلىّ	مصطفى رياض
٤٩٨- النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	أحمد على بدوى
٤٩٩- تقاطعات، الأمة والمجتمع والجنس	نخبة	فيصل بن خضراء
٥٠٠- فى طفولتى (دراسة فى السيرة الذاتية العربية)	تيتز رووكى	طلعت الشايب
٥٠١- تاريخ النساء فى الغرب (جـ١)	أرثر جولد هامر	سحر فراج
٥٠٢- أصوات بديلة	هدى الصدّة	هالة كمال
٥٠٣- مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة	محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤- كتابات أساسية (جـ١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٥- كتابات أساسية (جـ٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق

٥٠٦-	ربما كان قديساً	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥٠٧-	سيدة الماضى الجميل	بيتر شيفر	شوقى فهيم
٥٠٨-	المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبدالباقى جلبنارلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩-	الفقر والإحسان فى عهد سلاطين المماليك	آدم صبرة	قاسم عبده قاسم
٥١٠-	الأرملة الماكرة	كارلو جولدونى	عبدالرازق عيد
٥١١-	كوكب مرقَّع	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥١٢-	كتابة النقد السينمائى	تيموثى كوريجان	جمال عبد الناصر
٥١٣-	العلم الجسور	تيد أنتون	مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤-	مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كولر	مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥-	من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى دوجلاس	فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦-	إرادة الإنسان فى شفاء الإدمان	آرنولد واشنطون ودونا باوندى	صبرى محمد حسن
٥١٧-	نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨-	استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	هاشم أحمد محمد
٥١٩-	محاضرات فى المثالية الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٥٢٠-	الولع بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	أمل الصبان
٥٢١-	قاموس تراجم مصر الحديثة	آرثر جولد سميث	عبدالوهاب بكر
٥٢٢-	إسبانيا فى تاريخها	أميركو كاسترو	على إبراهيم منوفى
٥٢٣-	الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٥٢٤-	الملك لير	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٥٢٥-	موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون ريفز	نادية رفعت
٥٢٦-	علم السياسة البيئية	ستيفن كرول ووليم رانكين	محيى الدين مزيد
٥٢٧-	كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	جمال الجزيرى
٥٢٨-	تروتسكى والماركسية	طارق على وفلْ إيفانز	جمال الجزيرى
٥٢٩-	بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى	محمد إقبال	حازم محفوظ وحسين نجيب المصرى
٥٣٠-	مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر
٥٣١-	ما الذى حَدَثَ فى «حَدَث» ١١ سبتمبر؟	جاك دريدا	صفاء فتحى
٥٣٢-	المغامر والمستشرق	هنرى لورنس	بشير السباعى
٥٣٣-	تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد الشرقاوى
٥٣٤-	الإسلاميون الجزائريون	سيفرين لابا	حمادة إبراهيم
٥٣٥-	مخزن الأسرار	نظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
٥٣٦-	الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون	شوقى جلال
٥٣٧-	الحب والحرية	نخبة	عبدالغفار مكاوى
٥٣٨-	النفس والآخر فى قصص يوسف الشارونى	كيت دانيلر	محمد الحديدى
٥٣٩-	خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحى
٥٤٠-	توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رءوف عباس
٥٤١-	هى تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢-	قصص مختارة من الأدب اليونانى الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣-	السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٤٤-	ميلانى كلاين	نخبة	حمدى الجابرى

٥٤٥-	يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦-	ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق علي منصور
٥٤٧-	بارت	فيليب ثودي وآن كورس	جمال الجزيري
٥٤٨-	علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	حمدي الجابري
٥٤٩-	علم العلامات	بول كوبلي وليتاجانز	جمال الجزيري
٥٥٠-	شكسبير	نيك جروم وبيرو	حمدي الجابري
٥٥١-	الموسيقى والعولمة	سايمون ماندي	سمحة الخولي
٥٥٢-	قصص مثالية	ميجيل دي ثربانتس	علي عبد الرءوف البمبي
٥٥٣-	مدخل للشعر الفرنسي الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤-	مصر في عهد محمد علي	عفاف لطفي السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥-	الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادي والعشرين	أناتولي أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالي
٥٥٦-	جان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدي الجابري
٥٥٧-	الماركيز دي ساد	ستوارت هود وجراهام كرولي	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨-	الدراسات الثقافية	زيودين ساردارويورين ڤان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩-	الماس الزائف	تشا تشاجي	عبدالحي أحمد سالم
٥٦٠-	صلصلة الجرس	نخبة	جلال السعيد الحفناوي
٥٦١-	جناح جبريل	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوي
٥٦٢-	بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣-	ورود الخريف	خاثينتو بينابينتي	صبري محمدي التهامي
٥٦٤-	عُش الغريب	خاثينتو بينابينتي	صبري محمدي التهامي
٥٦٥-	الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا. ج. جيرنر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦-	تاريخ أوروبا في العصور الوسطى	موريس بيشوب	علي السيد علي
٥٦٧-	الوطن المغتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨-	الأصولي في الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر
٥٦٩-	موقع الثقافة	هومي. ك. بابا	ثائر ديب
٥٧٠-	دول الخليج الفارسي	سير رويرت هاي	يوسف الشاروني
٥٧١-	تاريخ النقد الإسباني المعاصر	إيميليا دي ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢-	الطب في زمن الفراعنة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣-	فرويد	ريتشارد ابيجناسي وأسكار زارتي	جمال الجزيري
٥٧٤-	مصر القديمة في عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين عبد العزيز السباعي
٥٧٥-	الاقتصاد السياسي للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦-	فكر ثربانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشري محمد
٥٧٧-	مغامرات بينوكيو	كارلو كولودي	محمد قدري عمارة
٥٧٨-	الجماليات عند كيتس وهنت	أيومي ميزوكوشي	محمد إبراهيم وعصام عبد الرءوف
٥٧٩-	تشومسكي	جون ماهر وجودي جرونز	محيي الدين مزيد
٥٨٠-	دائرة المعارف الدولية (جـ١)	جون فيذر وبول سيترجز	محمد فتحي عبدالهادي
٥٨١-	الحمقى يموتون	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢-	مرايا الذات	هوشنك كلشيري	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣-	الجيران	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان

٥٨٤-	سفر	محمود دولت آبادى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥-	الأمير احتجاب	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦-	السينما العربية والأفريقية	ليزبيث مالكموس وروى آرمز	سهام عبد السلام
٥٨٧-	تاريخ تطور الفكر الصينى	نخبة	عبدالعزيز حمدى
٥٨٨-	أمنحوتب الثالث	أنييس كابرول	ماهر جويجاتى
٥٨٩-	تمبكت العجيبة	فيلكس ديبواء	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠-	أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	محمود مهدى عبدالله
٥٩١-	الشاعر والمفكر	هوراتيوس	على عبدالتواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢-	الثورة المصرية	محمد صبرى السوربونى	مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣-	قصائد ساحرة	بول فاليرى	بكر الحلو
٥٩٤-	القلب السمين	سوزانا تامارو	أمانى فوزى
٥٩٥-	الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ٢)	إكوادو بانولى	نخبة
٥٩٦-	الصحة العقلية فى العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧-	مسلمو غرناطة	خوليو كاروباروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨-	مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومى على قنديل
٥٩٩-	فلسفة الشرق	هرداد مهرين	محمود سلامة علاوى
٦٠٠-	الإسلام فى التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١-	النسوية والمواطنة	ريان فوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلى
٦٠٢-	ليوتار:نحو فلسفة ما بعد حداثية	چيمس ويليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣-	النقد الثقافى	آرثر أيزابرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى
٦٠٤-	الكوارث الطبيعية (جـ١)	باتريك ل. آبوت	توفيق على منصور
٦٠٥-	مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكى الصغير	مصطفى إبراهيم فهمى
٦٠٦-	قصة البردى اليونانى فى مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدنى
٦٠٧-	قلب الجزيرة العربية (جـ١)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٨-	قلب الجزيرة العربية (جـ٢)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٩-	الانتخاب الثقافى	أجنر فوج	شوقى جلال
٦١٠-	العمارة المدجنة	رفائيل لوبث جوثمان	على إبراهيم منوفى
٦١١-	النقد والأيديولوجية	تيرى إيجلتون	فخرى صالح
٦١٢-	رسالة التفسية	فضل الله بن حامد الحسينى	محمد محمد يونس
٦١٣-	السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	محمد فريد حجاب
٦١٤-	بيت الأقصر الكبير	فوزية أسعد	منى قطان
٦١٥-	عرض الأحداث التى وقعت فى بغداد	أليس بسيرينى	محمد رفعت عواد
٦١٦-	أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
٦١٧-	الفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
٦١٨-	نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيلبس	جلال البنا
٦١٩-	مفاتيح أورشليم القدس	ريمون استانبولى	عايدة الباجورى
٦٢٠-	السلام الصليبى	توماش ماستناك	بشير السباعى
٦٢١-	النوبة المعبر الحضارى	وليم. ى. آدمز	فؤاد عكود
٦٢٢-	أشعار من عالم اسمه الصين	آى تشينغ	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى

٦٢٣-	نوادر جحا الإيرانى	سعيد قانعى	يوسف عبدالفتاح
٦٢٤-	أزمة العالم الحديث	رينيه جينو	عمر الفاروق
٦٢٥-	الجرح السرى	جان جينيه	محمد برادة
٦٢٦-	مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	نخبة	توفيق على منصور
٦٢٧-	حكايات إيرانية	نخبة	عبدالوهاب علوب
٦٢٨-	أصل الأنواع	تشارلس داروين	مجدى محمود المليجى
٦٢٩-	قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولاس جويات	عزة الخميسى
٦٣٠-	سيرتى الذاتية	أحمد بللو	صبرى محمد حسن
٦٣١-	مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر	نخبة	بإشراف حسن طلب
٦٣٢-	المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا	دولورس برامون	رانيا محمد
٦٣٣-	الحب وفنونه	نخبة	حمادة إبراهيم
٦٣٤-	مكتبة الإسكندرية	روى ماكلويد وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنساوى
٦٣٥-	التثبيت والتكيف فى مصر	جودة عبد الخالق	سمير كريم
٦٣٦-	حج يولندة	جناب شهاب الدين	سامية محمد جلال
٦٣٧-	مصر الخديوية	ف. روبرت هنتر	بدر الرفاعى
٦٣٨-	الديمقراطية والشعر	روبرت بن ورين	فؤاد عبد المطلب
٦٣٩-	فندق الأرق	تشارلز سيميك	أحمد شافعى
٦٤٠-	ألكسياد	الأميرة أنّاكومنينا	حسن حبشى
٦٤١-	برتراندرسل (مختارات)	برتراند رسل	محمد قدرى عمارة
٦٤٢-	داروين والتطور	جوناثان ميلر وبورين فان لون	ممدوح عبد المنعم
٦٤٣-	سفرنامه حجاز	عبد الماجد الدريابادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٦٤٤-	العلوم عند المسلمين	هوارد د.تيرنر	فتح الله الشيخ
٦٤٥-	السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية	تشارلز كجلى ويوجين ويتكوف	عبد الوهاب علوب
٦٤٦-	قصة الثورة الإيرانية	سپهر ذبيح	عبد الوهاب علوب
٦٤٧-	رسائل من مصر	جون نينيه	فتحى العشرى
٦٤٨-	بورخيس	بياتريث سارلو	خليل كلفت
٦٤٩-	الخوف وقصص خرافية أخرى	نخبة	سحر يوسف
٦٥٠-	الدولة والسلطة والسياسة فى الشرق الأوسط	روجر أوين	عبد الوهاب علوب
٦٥١-	ديليسبس الذى لا نعرفه	وثائق قديمة	أمل الصبان
٦٥٢-	آلهة مصر القديمة	كلود ترونكر	حسن نصر الدين
٦٥٣-	مدرسة الطغاة	إيريش كستنر	سمير جريس
٦٥٤-	أساطير شعبية من أوزبكستان (جـ١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الخميسى
٦٥٥-	أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦-	حزن الشعب والأرض الحمراء	ألفونسو ساسترى	ممدوح البستاوى
٦٥٧-	محاكم التفتيش والموريسكيون	مرثيديس غارثيا- أرينال	خالد عباس
٦٥٨-	حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	صبرى التهامى
٦٥٩-	قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	عبداللطيف عبدالحليم
٦٦٠-	نافذة على أحدث العلوم	ريتشارد فايفيلد	هاشم أحمد محمد
٦٦١-	روائع أندلسية إسلامية	نخبة	صبرى التهامى

٦٦٢-	رحلة إلى الجذور	داسو سالدييار	صبرى التهامى
٦٦٣-	امرأة عادية	ليوسيل كليفتون	أحمد شافعى
٦٦٤-	الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان - إنا راى هارك	عصام زكريا
٦٦٥-	عوالم أخرى	بول دافيز	هاشم أحمد محمد
٦٦٦-	تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	وولفجانج اتش كليمن	مدحت الجيار
٦٦٧-	الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى	ألفن جولدنر	على ليلة
٦٦٨-	ثقافات العولمة	فريدريك جيمسون - ماساو ميوشى	ليلى الجبالى
٦٦٩-	ثلاث مسرحيات	وول شوينكا	نسيم مجلى
٦٧٠-	أشعار جوستاف أدولفو	جوستاف أدولفو	ماهر البطوطى
٦٧١-	قل لى كم مضى على رحيل القطار؟	جيمس بولدوين	على عبدالأمير صالح
٦٧٢-	مختارات قصائد فرنسية للأطفال	نخبة	إبتهال سالم
٦٧٣-	ضرب الكليم	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٦٧٤-	ديوان الإمام الخمينى	آية الله العظمى الخمينى	محمد علاء الدين منصور
٦٧٥-	أثينا السوداء (جـ٢، مج١)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٦-	أثينا السوداء (جـ٢، مج٢)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٧-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج١)	إدوارد جرانڤيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٨-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٢ ، مج٢)	إدوارد جرانڤيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٩-	مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	وليام شكسبير	توفيق على منصور
٦٨٠-	سنوات الطفولة	وول سوينكا	سمير عبد ربه
٦٨١-	هل يوجد نص فى هذا الفصل؟	ستانلى فش	أحمد الشيمى
٦٨٢-	نجوم حظر التجوال الجديد	بن أوكرى	صبرى محمد حسن

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٤٣٩٥ / ٢٠٠٤



هذه مجموعة من القصص [illegible]

بن أوكرى فيها بين الطاقة [illegible] السلطوى

فى هذه القصص [illegible]

العامرة بالفوضى [illegible] وفى قلب [illegible]

نجد أن بن أوكرى يعطل أو يرجئ كل قوانين [illegible]

[illegible]: السبب والمسبب. هى عالم تتغير خلاله

حيا[illegible] لهم [illegible] اتجاهها بشكل يثير

الرعب [illegible] الكوابيس.

وبن أوكرى [illegible] راويا قصصيا رائعا يكتب عن

أفريقيا [illegible] ويكاد يكون هاذيا أيضا.

ويقتادنا من خلال ذلك [illegible] ليدخل بنا إلى كل ما هو خرافى

وخزعبلاتى [illegible] ما هو هادئ وطبيعى. وكل م[illegible]

عنيف عنفا عشوائيا.